

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاج بشير آغاء دار السعادة الشريفة
سنة ثمان وخمسين
ومائة
وألف





هذه النسخة اللطيفة من وقف مولانا صاحب الخيرات الحسان
حضرت آغاء دار السعادة الحاج بشير وقفه للخير المزيد
من هو على كل شيء قدير حرره الفقير الى الله تعالى
محمد امين المفتش باوقاف الحرمين المحترمين
عفي عنه



بسم الله الرحمن الرحيم وبه

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد واله اجمعين
ولعلك تقول هذه الآيات التي اوردتها في القسم الثاني تشتمل
على اصناف من العلوم والاعمال مختلطة فهل يمكن تميز مقاصدها
وشرح جملها على وجه من التفصيل والتحصيل يمكن التفكر في كل واحدة
منها على حيالها ليعلم الانسان تفصيل ابواب السعادة في العلم والعمل
ويتيسر عليه تحصيل مفاتيحها بالمداومة والتفكر فاقول نعم ذلك
يمكن فانه ينقسم جمل مقاصدها الى علوم واعمال والاعمال تنقسم
الى ظاهرة وباطنة والباطنة تنقسم الى تزكية وتحلية فهي اربعة اقسام
علوم واعمال ظاهرة واخلاق مذمومة يجب التزكية عنها واخلاق
محمودة يجب التحلية بها وكل قسم يرجع الى عشرة اصول واسم هذا القسم
كتاب الاربعين في اصول الدين فمن شاء ان يكتبه مفردا فليكتبه
فانه يشتمل على زبدة علوم القران **القسم الاول** في جمل العلوم
واصولها وهي عشرة **الاصل الاول** في الذات فنقول الحمد لله الذي
اقول
تعرف الى عباده بكتابه المنزل على لسان نبيه المرسل بانه في ذاته
واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له متوحد لا ند له وانه
قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا نهاية له

قيوم

قيوم لا انقطاع له دايم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا
بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضا بتصرم الاماد والانقراض
الاجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن **الاصل الثاني**
في التقديس وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر
وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه
ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل
موجود وليس كمثله شي ولا هو مثل شي وانه لا يحده المقدار
ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستو
على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها
عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش
بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته
وهو فوق العرش وفوق كل شي الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده
قربا الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه
رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود
وهو اقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شي شهيد
اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام
وانه لا يحل في شي ولا يحل فيه شي تعالى عن ان يحويه مكان

نل موجودا ولا يماثله صح



كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه باين بصفاته من خلقه ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم

الاصل الثالث في القدرة

وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والقوة والجبروت له القدرة والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته

الاصل الرابع في العلم

وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري في تخوم الارضين الى اعلى السموات

لا يعزب

لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضماير وحركات الخواطر وخفيات السراير بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال

الاصل الخامس في الارادة

وانه مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة او عصيان الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمشيئته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيئته عجزوا عن ذلك وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقا تها

كما اراده في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه
وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور بلا ترتيب افكار وتربص
من تلبث وتوقف
زمان فلذلك لا يشغله شان عن شان اعلم ان هذا المقام مزلة
الاقدام والقد زلت فيه اقدام الاكثرين لان تمام تحقيقه مستمد
من تيار بحر عظيم وراء بحر التوحيد وهم يطلبونه بالبحث والجدال
ولقد قال صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى الا اوتوا
اي اعطوا
الجدل ويستدلون بآيات القرآن ماولين وليسوا من اهل
التاويل ولو نال كل احد مقام التاويل لما قال صلى الله عليه وسلم
داعيا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ولما قال
يعقوب ليوسف وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث
قال صاحب الكشاف يعني معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض
مقاصدها
واشتبه على الناس من اغراضها تفسرها لهم وتشرحها وتدلهم على
مودعات حكمها وانما زلت الاقدام الاكثرين في هذا المقام لانهم
يتبعون الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء
تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم وهولاء ليسوا
براسخين بل قاصرون العاجزون فلقصورهم لم يطيقوا ملاحظة
كنه هذا الامر فالجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع مع ساير

القاصرين

القاصرين فقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه فقال
ابهذا امرتم ام بهذا ارسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين
تنازعوا في هذا الامر عزمت عليكم عزمت عليكم في هذا الامر
لا تنازعوا فيه وعن ابي جعفر قال قلت ليونس بن عبيد مررت
بقوم يختصمون في القدر فقال يونس لو همتهم ذنوبهم ما اختصموا
في القدر واامتلاء مشكوة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله
وكان زيتهم صافيا ولو لم تمسسه نار فاشتعل نورا على نور فاشرقت
اقطار الملكوت (اطراف) بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي
عليه فقيل لهم تأدبوا باداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا
فلذلك امسك عمر لما سئل عن القدر فقال للسائل بحر عميق لا تلجه
ولما كرر السؤال فقال طريق مظلم لا تسلكه ولما كرر الثالثة قال سر
الله قد خفي عليك فلا تفتشه ومن اراد معرفة اسرار الملوك فليلازم
بابهم بالمحبة والاخلاص والصدق والاعراض عن اعدائهم
والامتثال باوامرهم والسعي فيما يرضيهم وكذلك من احب معرفة
اسرار الربوبية فليلازم باب الله بالمحبة والصدق والاخلاص

والتعظيم والحياء والامتثال بالاوامر والانتهاء عن المناهي
والمجاهدة والاقبال بكنه الهمة والتعرض لنفحاته والسعي
فيما يرضى وان لم يطق ذلك فعليه ان يعتقد في هذا البحث ما
عليه ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله حيث قالوا احداث الاستطاعة
في العبد فعل الله واستعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة
لا مجازا والقدرية انكروا قضاء الله تعالى وراوا الخير والشر
من انفسهم ارادوا بذلك تنزيه الله عن الظلم وفعل القبيح و
لكن ضلوا ونسبوا العجز الى الله في ضمن ذلك ولم يدروا والجبرية
اعتمدوا على القضاء وراوا الخير والشر من الله ولم يروا من انفسهم
فعلا ارادوا بذلك تنزيه الله عن العجز فضلوا اذ نسبوا الظلم اليه
في ضمن ذلك واضلوا سفهاءهم فكانوا يعصون الله وينسبون
الى الله كالشيطان حيث قال بما اغويتني فالحاصل ان القدرية
اثبتوا اختيارا الكلي للعبد في جميع افعال العباد وانكروا قضاء الله
وقدره بالكلية في افعال العباد والجبرية نفوا الاختيار بالكلية
في افعال العبد واعتمدوا على القضاء فينبغي للباحث معهم ان يجرهم
ويمزق ثيابهم وعمائمهم ويخرش وجوههم وينتف اشعارهم
وشواربهم ولحاهم ويعتذر بما اعتذر هؤلاء في ساير افعالهم

العبد

القبيحة الصادرة والمعتزلة اضافوا الشر فقط الى انفسهم ومنهم
اثبتوا لانفسهم الاختيار الكلي تحرزا عن نسبة القبيح الى الله والظلم
ولكن نسبوا الى الله العجز في ضمن ذلك ولم يدروا تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا واهل السنة والجماعة توسطوا فلم ينفوا الاختيار عن انفسهم
بالكلية ولم ينفوا القضاء والقدر عن الله تعالى بالكلية بل قالوا افعال
العباد من الله من وجه ومن العبد من وجه وللعبد اختيار في
ايجاد فعله واعلم ان قضاء الله على اربعة اوجه قضاء الطاعة
والمعصية والنعمة والشدة والمذهب المستقيم في ذلك اذا اقتضى عليه
الطاعة فعليه ان يستقبل بالجهد والاخلاص حتى يكرمه بالتوفيق لقوله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يعني الذين جاهدوا
في طاعتنا وفي ديننا لنوفقنهم بذلك واذا اقتضى المعصية فعليه
ان يستقبل بالاستغفار والتوبة لقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين واذا اقتضى النعمة فعليه ان يستقبل بالشكر والسخاء حتى يكرمه
بالزيادة لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الاية واذا اقتضى الشدة
فعليه ان يستقبل بالصبر والرضاء حتى يعطيه الكرامة في الاخرة لقوله
تعالى ان الله يحب الصابرين وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب الاية ثم اذا وقع في المعصية يرى قضاء من الله عدلا

اليم

والندامة حتى يرزقه قبول التوبة صح

ولا جبر ولا يرضى من نفسه الوقوع فيه ويتوب ويستغفر لان
القدرية لا يرى عدلاً والجبرية لا يرى الملامة من نفسه والمعتزلي
لا يرى المغفرة بغير توبة فاذا رايت قضاء الوقوع من الله عدلاً
فقد تبرأت من القدرية وعلمت بهذه الآية قل كل من عند الله
واذا استوجبت الملامة لنفسك فقد تبرأت من الجبرية وعلمت
بهذه الآية ربنا ظلمنا انفسنا الآية **الاصل السادس** في السمع والبصر
وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي
ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع
رؤيته ظلام يرى من غير حدقة ولا اجفان ويسمع من غير اصمخة
ولا اذان كما يعلم من غير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير
آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق
الاصل السابع في الكلام وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام
ازلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث
من انسلال الهواء واصطكاك الاجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة
وتحريك لسان وان القران والتورية والانجيل والزبور كتبه المنزلة
على رسله وان القران مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف
محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل
الانفصال

الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى
عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات
الله سبحانه من غير شكل ولا لون واذا كانت له هذه الصفات كان حيا
عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحيوة والعلم والقدرة والارادة
والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات **الاصل الثامن** في الافعال
وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على احسن
الوجوه واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته
لا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره
ولا يتصور الظلم من الله سبحانه فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه
فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض
وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه
بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاء بعد ان لم يكن شيئا اذ كان
في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق اظهارا
لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته
لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف
لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل
والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا ان يصب على عباده

انواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل الله ذلك
لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده
على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا
يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه
في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل
ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره
ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا
به **الاصل التاسع** في اليوم الآخر وانه يفرق بالموت بين الارواح
والاجسام ثم يعيدها اليها عند الحشر والنشور فيبعث من في القبور
ويحصل ما في الصدور ويرى كل مكلف ما عمله من خير او شر محضرا
ويصادف دقيق ذلك وجليه مسطرا في كتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها ويعرف كل احد مقدار عمله خيره وشره بمعيار
صادق يعبر عنه بالميزان وانه لا يساوي ميزان الاعمال ميزان
الاجسام الثقال كما لا يساوي الاصطرلاب الذي هو ميزان
المواقيت والمسطرة التي هي ميزان المقادير والعروض الذي هو
ميزان الاشعار ساير الموازين ثم يحاسبهم على افعالهم واقوالهم
وسرايرهم وضمايرهم ونياتهم وعقايدهم ما ابدوه واخفوه

وانهم

وانهم يتفاوتون فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح
فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وانهم يساقون الى صراط
وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء ومنازل السعداء
احد من السيف وادق من الشعر يخف عليه من استوى
في الدنيا على الصراط المستقيم الذي يوازيه في الخفاء والدقة
ويتعثر به من عدل عن سواء السبيل المستقيم الا من عفي
عنه بحكم الكرم وانهم عند ذلك يسئلون فيسئل من شاء من
الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب
المرسلين ومن شاء من المبتدعة عن السنة ومن شاء من
المسلمين عن اعمالهم فيسئل الصادقين عن صدقهم
والمنافقين عن نفاقهم ثم يساق السعداء الى الرحمن
وفدا والمجرمون الى جهنم وردا ثم يامر باخراج الموحدين
من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في النار من في قلبه مثقال
ذرة من الايمان ويخرج بعضهم قبل تمام العقوبة والانتقام
بشفاعة الانبياء والعلماء والشهداء ومن له رتبة بالشفاعة
ثم يستقر اهل السعادة في الجنة متنعمين ابد الآبدين متلذذين
بالنظر الى وجه الله تعالى ويستقر اهل الشقاوة في النار خالدين

بحث انواع العذاب مبعدين عن النظر بالحجاب الى وجه الله
تعالى ذى الجلال والاكرام **الاصل العاشر** في النبوة وانه خلق
الملائكة وبعث الانبياء وايدهم بالمعجزات وان الملائكة
كلهم عباده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وان الانبياء رسله الى خلقه وينتهى
اليهم وحيه بواسطة الملائكة فينطقون عن وحي يوحى لا
عن الهوى وانه بعث النبي الامي القرشي محمد المصطفى
صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس
فنسخ شرع الشرايع وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان
بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم يقترن بها شهادة
الرسول وهو قول محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع
ما اخبر عنه في امر الدنيا والآخرة والزمهم اتباعه والاقتداء
به وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلم
يغادر شيئا يقربهم من الله تعالى الا امرهم به ودلهم على سبيله
ولا شيئا يقربهم الى النار ويبعدهم عن الله سبحانه الا نهاهم
عنه وعرفهم طريقه وان ذلك امور لا يستقل بمجرد العقل والذكاء
بل هي اسرار يكاشف بها من حضرة القدس قلوب الانبياء

والحمد

والحمد لله على ما ارشد وهدى واظهر من المعاني الحسنى وصفاته
العلى والصلوة على محمد المصطفى خاتم الانبياء وعلى آله واصحابه
وسلم كثيرا آمين رب العالمين **خاتمة** في التنبيه على
الكتب التي يطلب فيها حقيقة هذه العقيدة اعلم ان ما ذكرناه
هو الحاصل من علوم القران اعني جمل ما يتعلق منها بالله و
اليوم وهي ترجمة العقيدة التي لا بد ان ينطوي عليها قلب
كل مسلم المعنى انه يعتقده ويصدق به تصديقا جزما ووراء
هذه العقيدة رتبتان احديهما معرفة ادلة هذه العقيدة
الظاهرة من غير غوص على اسرارها والثانية معرفة اسرارها
ولباب معانيها وحقيقة ظواهرها والرتبتان جميعا ليستا
واجبتين على جميع العوام اعني ان نجاتهم في الآخرة غير
موقوفة عليها والفوزهم موقوف عليها وانما الموقوف عليها
كمال السعادة واعني بالنجاة الخلاص من العذاب واعني با
لفوز الحصول على اصل النعيم واعني بالسعادة نيل غايات
النعيم فالسلطان اذا استولى على بلدة فتحها عنوة فالذي
لم يقتله ولم يعذبه ناج وان اخرجه عن البلد والذي لم يعذبه
ومع ذلك مكنه من المقام في بلده مع اهله واسباب معيشته

فهو مع ذلك فايزة بالنجاة والذي خلع عليه واشركه في ملكه و
والمتخلف مع مملكته وامارته فهو مع النجاة والفوز سعيد ثم زيادات
درجات السعادات لا ينحصر واعلم ان الخلق في الاخرة ينقسمون
الى هذه الاصناف واكثر منها وقد شرحنا ما امكن من شرحه في كتاب
التوبة فاطلبه فيه والرتبة الاولى من الرتبتين وهي معرفة ادلة (ظاهر)
هذه العقيدة فقد اودعناها الرسالة القدسية في قدر عشرين
ورقة وهي احد فصول كتاب قواعد العقايد من كتاب الاحياء
واما ادلتها مع زيادة تحقيق وزيادة تانق في ايراد الاسولة
والاشكالات فقد اودعناها كتاب الاقتصاد في الاعتقاد في
مقدار مائة ورقة فهو كتاب مفرد براسه يحوي لباب علم المتكلمين
ولكنه ابلغ في التحقيق واقرب الى قرع ابواب المعرفة من الكلام
الرسمي الذي يصادف في كتب المتكلمين وكل ذلك يرجع الى الاعتقاد
لا الى المعرفة فان المتكلم لا يفارق العامي في كونه عارفا وكون
العامي معتقدا بل هو ايضا معتقد عرف مع اعتقاده ادلة الاعتقاد
ليوكد الاعتقاد ويستمره ويحرسه عن تشويش المبتدعة ولا تنحل
عقدة الاعتقاد الى انشراح المعرفة فان اردت ان تستنشق شيئا
من روايح المعرفة صادفت منها مقدارا صالحا يعرفك كيفية باب

المعرفة

المعرفة في كتاب المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى
لا سيما في الاسماء المشتقة من الافعال وان اردت
صريح المعرفة بحقايق هذه العقيدة من غير تجمجم ومراقبة
فلا تصادفه الا في بعض كتبنا المضنون بها على غير اهلها واياك
ان تغتر وتحدث نفسك باهليته وتشرئب لطلبه فتستهدف
للمشافهة بصريح الرد الا ان تجمع ثلاث خصال احديها الاستقلال
في العلوم الدينية الظاهرة ونيل رتبة الامامة فيها والثانية
انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد محو الاخلاق الذميمة كلها
منه حتى لا يبقى فيك تعطش الا الى الحق ولا اهتمام الا به ولا شغل
الا فيه ولا تعرج الا عليه والثالثة ان يكون قد اتيح لك السعادة
في اصل الفطرة بقريحة وفطنة بليغة لا تكل عن درك غوامض
العلوم ومشكلاتها على سبيل البديهة والمبادرة فان البليد اذا
اتعب خاطره واكد نفسه ربما ادرك بعض الغوامض ايضا و
لكن يدرك منها شيئا يسيرا في مدة طويلة فلن يصلح لاقتباس
معرفة الحقيقة الا قلب صاف كانه مرآة مجلوة واما صيرورته كذلك
بقوة الفطرة وصحة القصد ثم بازالة كدورات الدنيا عن وجهه
فانه الرين والطبع الذي يمنع الله به القلوب عن معرفته وان الله

بحول بين المرء وقلبه **القسم الثاني** في الاعمال الظاهرة وهي
عشرة اصول **الاصل الاول** في الصلوة قال الله تعالى اقم الصلوة
لذكري وقال النبي عليه السلام الصلوة عماد الدين واعلم انك
في صلوتك مناجي ربك فانظر كيف تصلي وحافظ فيها على ثلثة امور
لتكون من جملة المحافظين على الصلوة والمقيمين لها فان الله
سبحانه انما يأمر بالاقامة ويقول تعالى اقم الصلوة لذكري واقيموا
الصلوة وليس يقول صلوا ويثني على المحافظين على الصلوة فيقول
الذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به (القرآن) وهم على صلوتهم يحافظون
الاول المحافظة على الطهارة بان تسبغ الوضوء قبل الصلوة وسبيلها
ان تأتي بجميع سننها واذكارها المروية عند كل وظيفة منها وتحتاط
في طهارة ثيابك وطهارة بدنك وطهارة الماء الذي تتوضأ به احتياطا
لا ينفتح عليه باب الوسواس فان الشيطان يوسوس في الطهارة
فيضيع اكثر اوقات العبادة واعلم ان المقصود من طهارة الثوب
وهو القشر الخارج ثم من طهارة البدن وهو القشر القريب ثم من
طهارة القلب وهو اللب الباطن وطهارة القلب عن نجاسة الاخلاق
اهم الطهارة كما نذكره في القسم الثالث لكن لا يبعد ان يكون لطهارة
الظاهر ايضا تأثير في اشراق نورها على القلب فانك اذا اسبغت
الوضوء

ثيابك ن

الوضوء وخشعت نظافة ظاهرك صادفت في قلبك انشراحا
وصفاء كنت لا تصادفه من قبل وذلك لسر العلاقة التي بين
عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر البدن من عالم الشهادة
والقلب من عالم الملكوت باصل فطرته وانما هبوطه الى عالم الشهادة
كالغريب عن جبلته وكما تنحدر من معارف القلب آثار الى الجوارح
فكذلك قد يرتفع من احوال الجوارح انوار الى القلب ولذلك امروا
بالصلوة مع انها حركات الجوارح التي هي من عالم الشهادة و
لذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ومن الدنيا
وقال حبب الي من دنياكم ثلاث الحديث فلا يستبعد ان
يفيض من طهارة الظاهرة اثر على الباطن ففي بدايع صنع
الله امور اعجب من هذا اذ قد عرف بالتجربة ان المجامع في
حال المباشرة لو ادمن النظر الى بياض مشرق او حمرة قانية
حتى غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك
اللون الذي غلبت عليه وان الجنين اول ما يتحرك في البطن
تميل صورته الى الحسن ان كانت الام مشاهدة في تلك الحالة
لصورة حسنة بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها ولذلك
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم المباشرة عند مباشرته ان يحض

ما مر النساء والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلوة

مطلب
المراة اذا نظرت الى بياض و[illegible]
يظهر في وجه المولود

في قلبه ارادة صلاح المولود ويدعو الله تعالى بذلك فيقول اللهم
جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا حتى يفيض الله تعالى
مبادي الصلاح على الروح التي يخلقها عند القاء البذر في محل
الحرث بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث كما يفيض الله
سبحانه النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على بعض الاجسام
المحاذية للمرآة وبهذا الآن يقرع بابا عظيما في معرفة عجايب
صنع الله تعالى في الملك والملكوت والى قريب منه يرجع سر الحكم
الشفاعة في الآخرة فلنتجاوزه فغرضنا الآن ذكر الاعمال
دون المعارف وقد اشممناك شيا يسيرا من روايح الطهارة الظاهرة
فان كنت اتصادف شيا بعد الطهارة وكاسباغ الوضوء من الصفاء
الذي وصفناه فاعلم ان الدرن الذي عرض على قلبك من
كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال حس القلب فصار
لا يحس باللطايف والاشياء الخفية اللطيفة ولم يبق في قوته
الا ادراك الجليات ان بقي فاشتغل بجلاء قلبك وتصفيته فذلك
اوجب عليك من كل ما انت فيه الى فظة الثانية ان تحافظ
على سنن الصلوة واعمالها الظاهرة واذكارها وتسبيحاتها حتى
تاتي فيها جميع السنن والآداب والهيئات كما جعلناها في

كتاب

كتاب بداية الهداية فان لكل واحد منها سرا او له تاثير في القلب
كما نبهنا عليه في تاثير الطهارة بل اشد وابلغ وشرح ذلك يطول
وانت اذا اتيت بذلك انتفعت به وان لم تعلم اسراره كما ينتفع
شارب الدواء بشربه وان لم يعرف طبايع اخلاطه ووجوه
مناسبته لمرضه واعلم على الجملة ان للصلوة صورة صورها
رب الارباب كما صور الحيوان مثلا فروحها النية والاخلاص
وحضور القلب وبدنها الاعمال واعضاؤها الاصلية الاركان
واعضاؤها الكمالية الابعاض فالاخلاص والنية فيها يجري مجرى
الروح والقيام والقعود يجري مجرى البدن والركوع والسجود
يجري مجرى الراس واليد والرجل واكمال الركوع والسجود و
والطمانينة وتحسين الهيئة يجري مجرى حسن الاعضاء وحسن
اشكالها والوانها والاذكار والتسبيحات المودعة فيها يجري مجرى
الآلات الحسية المودعة في الراس والاعضاء كالعينين والاذنين
وغيرهما ومعرفة معاني الاذكار وحضور القلب عندها يجري مجرى
قوة الحس المودعة في آلات الحس كقوة السمع وقوة البصر و
الشم والذوق في معادنها واعلم انك تتقرب بالصلوة كتقرب بعض
خدم السلطان باهداء وصيفة الى السلطان واعلم ان فقد النية

مطلب تشبيه الصلوة صورة

والاخلاص من الصلوة كفقد الروح من الوصيفة والمهدي
لجيفة الميتة مستهزئ بالسلطان فيستحق سفك الدم وفقد الركوع
والسجود يجري مجرى فقد الاعضاء وفقد الاذكار يجري مجرى
فقد العينين من الوصيفة وجدع الانف والاذنين وعدم
حضور القلب غفلته عن معرفة معاني القرآن والاذكار كفقد
البصر والسمع مع بقاء جرم الحدقة والاذن ولا يخفى عليك
ان من اهدى وصيفة بهذه الصفة كيف يكون حاله عند
السلطان واعلم ان قول الفقيه في الصلوة الناقصة الفاظها
وسننها انها صحيحة كقول الطبيب في الوصيفة المقطوعة اطرافها
انها حية وليست بميتة فان كان ذلك كافيا في التقرب بها الى
السلطان ونيل الكرامة منه فاعلم ان الصلوة الناقصة صالحة
للتقرب بها الى الله سبحانه ونيل الكرامة وان اوشك ان قل يرد ذلك
على المهدي ويزجر فلا يبعد مثل ذلك في الصلوة فانها قد ترد على
المصلي كالخرقة الخلقة كما ورد في الخبر واعلم ان اصل الصلوة
التعظيم والاحترام واهمال اداب الصلوة يناقض التعظيم والاحترام
المحافظة الثالثة ان تحافظ على روح الصلوة وهو الاخلاص
وحضور القلب في جملة الصلوة واتصاف القلب بمعانيها

فلا

فلا تنحني ولا تركع الا وقلبك خاشع متواضع على موافقة ظاهرك
فان المراد خضوع القلب لا خضوع البدن ولا تقول الله اكبر وفي
قلبك شيء اكبر من الله تعالى ولا تقول وجهت وجهي الا وقلبك
متوجه بكل وجهه الى الله ومعرض عن غيره ولا تقول الحمد لله
الا وقلبك طافح بشكر نعمه عليك فرح مستبشر ولا تقول اياك
نعبد وانت تعبد غيره ولا تقول اياك صح
نستعين الا وانت مستشعر ضعفك وعجزك وانه ليس اليك
ولا الى غيرك من الامر شيء وكذلك في جميع الاذكار والاعمال
وشرح ذلك يطول وقد شرحناه في كتاب الاحياء فجاهد نفسك
في ان ترد قلبك الى الصلوة حتى لا تغفل من اولها الى آخرها فانه
لا يكتب للرجل من صلوته الا ما عقل منها فان تعذر عليك الاحضار
والادراك الا اكثر لك فانظر فان كان قدر الغفلة مقدار ركعتين
فلا تقض الصلوة ولكن افهم ان النوافل جوابر الفرائض فتنفل بمقدار
ان يحضر القلب فيها في مقدار ركعتين وكلما زادت الغفلة زد
في النوافل حتى يحضر قلبك مثلا في عشر ركعات بمقدار اربع ركعات
وهو قدر فرضك فمن رحمة الله عليك ان قبل منك جبران الفرائض
بالنوافل فهذه اصول المحافظة على الصلوة **الاصل الثاني** في
الزكوة والصدقة قال الله سبحانه مثل الذين ينفقون اموالهم في

في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة
والله يضاعف لمن يشاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هلك الاكثرون الا من قال بالمال هكذا وهكذا اما علم ان انفاق
المال في الخيرات احد اركان الدين وانما التكليف به بعد ما
يرتبط به من مصالح البلاد والعباد وسد الخلات والفاقات
ان المال محبوب للخلق وهم مامورون بحب الله ويدعون
الحب بنفس الايمان فجعل بذل المال معيارا لحبهم وامتحانا
لصدقهم في دعواهم فان المحبوبات كلها تبذل لاجل المحبوب الاغلب
حبه على القلب فانقسم الخلق فيه على ثلاث طبقات الطبقة الاولى
الاقوياء وهم الذين انفقوا جميع ما ملكوا ولم يدخروا لانفسهم
شيا فهولاء صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الحب كما فعل
ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذ جاء بماله كله فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماذا ابقيت لنفسك فقال الله ورسوله وقال
لعمر رضي الله عنه ماذا ابقيت لنفسك قال مثل ما اتيت
به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكما مثل ما بين كلمتيكما
الطبقة الثانية المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على اخلاء
اليد عن المال دفعة ولكن امسكوه لا للتنعم بل للانفاق عند

ظهور

ظهور محتاج اليه فهم يقنعون في حق انفسهم بما يقويهم على
العبادة واذا عرض محتاج بادروا الى سد خلته وحاجته ولم
يقتصروا على قدر الواجب من الزكوة وانما غرضهم الاظهر في
الامساك ترصد الحاجات الطبقة الثالثة الضعفاء وهم
المقتصرون على اداء الزكوة الواجبة ولا يزيدون عليها ولا
ينقصون منها فهذه درجاتهم ويبذل كل على مقدار حبه وما
اراك تقدر على الدرجة الاولى والثانية ولكن اجتهد حتى تجاوز
الدرجة الثالثة الى اواخر طبقات المقتصدين المتوسطين
فتزيد على الواجب ولو شيا يسيرا فان مجرد الواجب حد البخلاء
قال الله سبحانه ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا اي تستقصي عليكم
تبخلوا فاجتهد ان لا يقضي عليك وقت الا وتتصدق بشيء وراء
الواجب ولو بكسرة خبز فترتفع بذلك عن درجة البخلاء فان
لم تملك شيا فليست الصدقة كلها في المال لكن كل كلمة طيبة وشفاعة
ومعونة في حاجة وعيادة مريض وتشييع جنازة وفي الجملة
ان تبذل شيا مما تقدر عليه من جاه ونفس وكلام لتطيب
قلب مسلم فيكتب جميع ذلك لك صدقة وحافظ في زكوتك وصلوتك
وصدقتك على خمسة امور الاول الاسرار فان في الخبر ان صدقة السر

تطفئ غضب الرب والذي يتصدق بيمينه بحيث لا تعلم شماله
احد السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وقد قال الله تعالى
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وبذلك تتخلص عن
الرياء فانه غالب على النفس وهو مهلك ينقلب في القلب اذا وضع
الانسان في قبره في صورة حية اي يولم ايلام الحية والبخل ينقلب
في صورة عقرب والمقصود في كل الانفاق الخلاص من رذيلة البخل
فاذا امتزج به الرياء كان كانه جعل العقرب غذاء الحية فقد تخلص
من العقرب ولكن زاد في قوة الحية اذ كل صفة من الصفات المهلكات
في القلب غذاؤها وقوتها في اجابتها الى مقتضاها الثاني ان
تحذر من المن وحقيقته ان ترى نفسك محسنا الى الفقير متفضلا
عليه وعلامته ان تتوقع منه شكرا وتستنكر تقصيره في حقك وحماله اعانة
عدوك استنكارا يزيد على ما كان قبل الصدقة فذلك يدل على انك
رايت لنفسك عليه فضلا وعلاجه ان تعرف انه المحسن اليك بقبول
حق الله منك فان من اسرار الزكوة تطهير القلب وتزكيته عن
رذيلة البخل وخبث الشح ولذلك كانت الزكوة مطهرة اذ بها حصلت
الطهارة فكانها غسالة نجاسة ولذلك ترفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واهل بيته من اخذ الزكوة وقال انها اوساخ اموال
الناس

اى بسبب طهرك

الناس واذا اخذ الفقير منك ما هو طهرة لك فله الفضل عليك
ارايت لو كان فصادا افصدك مجانا واخرج من باطنك الدم الذي
تخشى ضرره في الحيوة الدنيا اكان الفضل لك ام له فالذي يخرج
من باطنك رذيلة البخل وضررها في الحيوة الاخرة اولى بان تراه
متفضلا الثالث ان تخرجه من اطيب اموالك واجودها قال الله
سبحانه ويجعلون لله ما يكرهون وقال ولا تيمموا الخبيث منه
تنفقون الآية وقال صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل
الا الطيب يعني الحلال فان المقصود من هذا اظهار درجة الحب
والانسان يؤثر الاحب اليه الانفس دون الاخس الرابع ان تعطي
بوجه طلق مستبشر وانت به فرحان غير مستكره قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة الف درهم وانما اراد
ما يعطيه عن بشاشة وطيب نفس من انفس ماله واجوده
فذلك افضل من مائة الف مع الكراهة الخامس ان تتخير لصدقتك
محلا تزكو به الصدقة وهو المتقي العالم الذي يستعين بها على طاعة
الله عز وجل وتقواه او الصالح المعيل او صاحب العائق او ذو الرحم فان لم تجتمع هذه
الاوصاف فتزكو الصدقة باحادها ايضا ورعاية الصلاح
اصل الامور في الدنيا الا بلغة للعباد وزاد لهم الى المعاد فليصرف

الى المسافرين اليه المتخذين هذه الدار منزلا من منازل الطريق
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل
طعامك الا تقي وقال اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم
المؤمنين **الاصل الثالث** في الصيام قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الله سبحانه كل حسنة بعشر امثالها الى سبع
مائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وقال لكل شي
باب وباب العبادة الصوم وانما كان الصوم مخصوصا بهذه
الخواص لامرين احدهما انه يرجع الى الكف وهو عمل سر لا يطلع
عليه احد غير الله تعالى لا كالصلوة والزكوة وغيرهما والثاني
انه قهر لعدو الله فان الشيطان هو العدو ولن يقوى العدو
الا بواسطة الشهوات والجوع يكسر جميع الشهوات التي هي آلة
الشيطان فلذلك قال عليه السلام ان الشيطان ليجري من
ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاري الشيطان بالجوع وهو
سر قوله صلى الله عليه وسلم اذا دخل رمضان فتحت ابواب
الجنة وغلقت ابواب النيران وصفدت الشياطين ونادى
منادي يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر واعلم ان الصوم
باضافة الى مقداره على ثلاث درجات وبالاضافة الى اسراره

على

على ثلاث درجات اما درجات مقداره فاقلها الاقتصار
على شهر رمضان واعلاها صوم داود عليه السلام وهو ان
يصوم يوما ويفطر يوما ففي الخبر الصحيح ان صوم ذلك افضل
من صوم الدهر وانه افضل الصيام وسره ان من صام الدهر
صار الصوم له عادة فلا يحس بوقعه في نفسه بالانكسار وفي
قلبه بالصفاء وفي شهواته بالضعف فان النفس انما تتأثر
بما يرد عليها لا بما مرنت (اعتادت) عليه فلا يستبعد هذا فان الاطباء ايضا
ينهون عن اعتياد شرب الدواء وقالوا من تعود ذلك لم ينتفع
به اذا مرض اذ يالفه مزاجه فلا يتأثر به واعلم ان طب القلوب
قريب من طب الابدان وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله
ابن عمر رضي الله عنه لما كان يسئله عن الصوم فقال صم يوما
وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال لا افضل من ذلك
ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا صام
الدهر فقال لا صام ولا افطر كما قالت عائشة رضي الله
عنها لرجل كان يقرأ القران بهذرمة (سرعة) ان هذا ما قرأ القران
ولا سكت واما الدرجة المتوسطة فهو ان تصوم ثلث
الدهر ومهما صمت الاثنين والخميس واضفت اليه رمضان

فقد صمت من السنة اربعة اشهر واربعة ايام وهو زيادة
على الثلث لكن لا بد ان ينكسر يوم في ايام التشريق وترجع الزيادة
الى ثلثة ايام ويتصور ان ينكسر في العيدين يومان فتكون
ثلثة ايام فترجع الزيادة الى واحد فتأمل حسابه تعرفه فلا
ينبغي ان ينقص من هذا القدر صومك فانه خفيف على النفس
وثوابه جزيل واما درجات اسراره فثلاث ادناها ان يقتصر
على الكف عن المفطرات ولا يكف جوارحه عن المكاره وذلك
صوم العموم وهو قناعتها بالاسم الثانية ان يضيف اليه كف
الجوارح فيحفظ اللسان عن الغيبة والعين عن النظر بالريبة
وكذا ساير الاعضاء الثالثة ان يضيف اليه صيانة القلب
عن الفكر والوسواس ويجعله مقصورا على ذكر الله عز وجل وذلك
صوم خصوص الخصوص وهو الكمال ثم للصيام خاتمة بها يكمل
وهو ان يفطر على طعام حلال لا على شبهة وان لا يستكثر من
اكل الحلال بحيث يتدارك ما فاته ضحوة فيكون قد جمع بين اكلتين
دفعة فتثقل معدته وتقوى شهوته ويبطل سر الصوم وفايدته
ويفضي الى التكاسل عن التهجد وربما لم يستيقظ قبل الصبح وكل
ذلك خسران ربما لا توازيه فايدة الصوم الاصل الرابع في الحج

قال

قناعتهم صح

اي النظر الى مكان الشبهة

قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال
صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان
شاء نصرانيا وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس الحديث
وللحج اعمال ظاهرة ذكرناها في كتاب الاحياء ونبهك الآن على
آداب دقيقة واسرار باطنة اما الآداب فسبعة الاول ان يرتاد
للطريق رفيقا صالحا ونفقة طيبة حلالا فالزاد الحلال ينور
القلب والرفيق الصالح يذكر الخير ويزجر عن الشر الثاني ان
يخلي يده عن مال التجارة كيلا يتشعب فكره وينقسم خاطره
ولا يصفو للزيارة قصده الثالث ان يوسع في الطريق بالطعام
ويطيب الكلام مع الرفقاء والمكارين الرابع ان يترك الرفث
والجدال والتحدث بالفضول وامر الدنيا بل يقصر لسانه بعد
مهمات حاجاته على الذكر وتلاوة القرآن الخامس ان يركب
راحلة دون المحمل ويكون رث الهيئة اشعث اغبر غير متزين
بل على هيئة المساكين حتى لا يكتب في جملة المترفين السادس
ان ينزل عن الدابة احيانا ترفيها للدابة وتطييبا لقلب المكاري
وتخفيفا للاعضاء بالتحرك ولا يحمل الدابة ما لا يطيق بل يرفق
بها ما امكن السابع ان يكون طيب النفس بما انفق من نفقة

اي يطلب

على الذكر صح

والمكارس

وبما اصابه من تعب وخسران وان يرى ذلك من امارات قبول الحج فيحتسب
الثواب عليه واما اسراره فكثيرة نرمز منها الى خمس احدها انه
وضع بدلا عن الرهبانية التي كانت في الملل كما ورد به الخبر فجعل
الله سبحانه الحج رهبانية لامة محمد صلى الله عليه وسلم فشرف البيت
العتيق واضافه الى نفسه ونصبه مقصد العباد وجعل ما حواليه
حرما للبيت تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه
واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة
الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق شعثا غبرا متواضعين — لرب البيت خ
لرب العالمين خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف
بتنزهه عن ان يكتنفه بيت او يحويه مكان ليكون ذلك ابلغ في
رقهم وعبوديتهم ولذلك كلفهم اعمالا غريبة لا تناسب
الطبع والعقل ليكون اقدامهم بحكم محض العبودية وامتثال
الامر من غير معاونة باعث آخر وهذا سر عظيم في الاستعباد ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا الفصل الثاني
ان هذا السفر وضع على مثال سفر الآخرة فليتذكر المريد بكل عمل من
اعماله امرا من امور الآخرة موازيا له فان فيه تذكرة للمتذكر وعبرة
للمعتبر المستبصر فيتذكر من اول سفره عند وداع اهله وداع الاهل

في سكرات

تشبيه سفر الحج الى سفر الاخرة — في سكرات الموت ومن مفارقة الوطن الخروج عن الدنيا ومن
ركوب الجمل ركوب الجنازة ومن الالتفاف في اثواب الاحرام الالتفاف
في اثواب الكفن ومن دخول البادية الى الميقات ما بين الخروج
عن الدنيا الى ميقات القيامة ومن هول قطاع الطريق سؤال
منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه ومن
انفرادك عن اهلك واقاربك وحشة القبر ووحدته ومن — نداء خ
التلبية اجابة داعي الله عز وجل عند البعث وكذلك في ساير
الاعمال فان في كل عمل سرا وتحته رمز يتنبه له كل عبد بقدر استعداده
للتنبه بصفاء قلبه وقصور همته على مهمات الدين **الاصل الخامس**
في قراءة القرآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل عبادة
امتي قراءة القرآن وقال لو كان القرآن في اهاب ما مسته
النار وقال ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيامة
من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال يقول الله سبحانه
من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته افضل
آداب قراءة القرآن — ثواب الشاكرين واعلم ان للقراءة آدابا ظاهرة واسرارا باطنة
اما الآداب الظاهرة فثلاثة الاول ان تقرأه باحترام وتعظيم
وان تلزم الحرمة قلبك ما لم تلزم هيئة الحرمة ظاهرك وقد عرفت

كيفية علاقة القلب بالجوارح ووجه ارتفاع الانوار منها اليه
وهيئته المحترمة ان تجلس وانت على الطهارة ساكنا مطرقا
مستقبل القبلة غير متكئ ولا متربع ولا نايم كما تجلس بين
يدي المقرئ وتقراه بترتيل وتفخيم وتوءدة حرفا من غير هذرمة
قال ابن عباس رضي الله عنه لان اقرا اذا زلزلت والقارعة سرعة
اتدبرهما احب الي من ان اقرا البقرة وآل عمران تهذيرا
الثاني ان تتشوق في بعض الاوقات الى اقصى درجات الفضل
منه وذلك بان تقراه في الصلوة قايما خصوصا في المسجد وبالليل
لان القلب بالليل اصفا لانه افرغ فانك وان خلوت بالنهار فتردد
الخلق وحركاتهم في اشغالهم تحرك باطنك وتشغلك عن ان كنت
تتوقع ان تطلب شغلا من الاعمال والاشغال وكيف ما قراته
ولو مضطجعا من غير طهارة فلا تخلو عن الفضل فان الله تعالى
اثنى على الجميع وقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
الآية ولكن ما ذكرناه في زيادة الفضل فان كنت من مريدي
الآخرة فلا يسهل عليك ترك الفضل وقد قال علي رضوان الله
عليه من قرا القرآن وهو قايم في الصلوة فله بكل حرف خمسون
حسنة ومن قرا القرآن في غير صلوة وهو على طهارة فخمس

وعشرون

وعشرون حسنة ومن قراه على غير وضوء فعشر حسنات
الثالث في مقدار القراءة وله ثلاث درجات ادناها ان تختم
في الشهر مرة واقصاها ان تختم في ثلاثة ايام مرة وقال
صلى الله عليه وسلم من قرا القرآن في اقل من ثلاث لم يفقه
واعدلها ان تختم في الاسبوع واما الختم في كل يوم فغير
مستحب واياك ان تتصرف بعقلك فتقول ما كان خيرا ونافعا
فكلما كان اكثر كان انفع فان عقلك لا يهتدي الى اسرار الامور
الالهية وانما تتلقاها من قوة النبوة فعليك بالاتباع فان
خواص الامور لا تدرك بالقياس اوما ترى كيف ندبت الى
الصلوة ونهيت عنها جميع النهار وامرت بتركها بعد الصبح
وبعد العصر وعند الطلوع والغروب والزوال وذلك ينتهي
الى قدر ثلث النهار وكيف واثر الفساد ظاهر على قياسك
هذا فانه كقول القائل الدواء نافع للمريض فكلما كان اكثر كان
انفع وانت تعلم ان كثرة الدواء ربما تقتل واما الاسرار الباطنة
فخمسة الاول ان تستشعر في اول قراءتك عظمة الكلام باستشعار
تعظيم المتكلم فتحضر في قلبك العرش والكرسي والسموات والارض
وما بينهما من الجن والانس والحيوانات والنبات وتتذكر

ان الخالق لجميعها واحد وان الكل في قبضة قدرته مترددا بين فضله
ورحمته وانك تريد ان تقرا كلامه وتنظر فيه الى صفة ذاته وتطالع كمال
جمال علمه وحكمته وتعلم انه كما لا يمس ظاهر المصحف الا المطهرون
بظواهرهم وهو محجوب عن غيرهم فكذلك حقيقة معناه وباطنه
محجوب عن باطن القلب الا اذا كان مطهرا من كل رجس وخبث من
خبايث الباطن وعقل بهذا التعظيم كان عكرمة اذا نشر المصحف ربما
غشي عليه ويقول هذا كلام ربي وا علم انه لولا ان
انوار كلامه العزيز وعظمته غشيت بكسوة الحروف لما اطاقت القوة
البشرية سماعه لعظمته وسلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل
موسى عليه السلام لما اطاق سماعه مجردا عن كسوة الحروف والاصوات
كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حتى صار دكا الثاني ان تقرا بتدبر معانيه
ان كنت من اهله وكلما تجري على لسانك بنوع غفلة فاعده ولا تعقه
من عملك لان الترتيل في الظاهر للتمكن من التدبر قال علي رضي الله عنه
لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واياك ان تصير
مشعوفا بعدد الختمات على نفسك فلان تردد آية واحدة ليلة
تتدبرها خير لك من ختمين فقد قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وقال ابو الدردا،
رضي

رضي الله عنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام
باية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك الآية وقام تميم الداري
ليلة بقوله سبحانه ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام
سعيد بن جبير ليلة بقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون ولعل
الاليق بك كما قال بعض العارفين اذ قال لي في كل جمعة ختمة وفي
كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما
فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات التدبر فان القلب في بعض
الاوقات لا يحتمل التدبر الطويل فليكن للتدبر الطويل ختمة خاصة
والثالث ان تجتني في تدبرك ثمار المعرفة من اغصانها وتقتبسها
من اوطانها ولا تطلب الترياق من حيث تطلب منه الجواهر ولا الجواهر
من حيث يطلب منه المسك والعود فان لكل ثمرة غصنا ولكل جوهر
معدنا وانما يتيسر لك هذا بان تعرف الاصناف العشرة التي
حصرنا فيها اقسام القران وهي عشرة معادن فما يتعلق من
القران بالله تعالى وصفاته وافعاله فاقتبس منه معرفة الجلال
والعظمة وما يتعلق بالارشاد الى الصراط المستقيم فاقتبس منه معرفة
العزة والاستغناء والقهر والتجبر وما يتعلق باحوال الانبياء
فاقتبس منه معرفة اللطف والنعم والفضل والكرم وكذلك

في كل صنف ما يليق به فلا تنظرن اليه بعين واحدة وشرح ذلك
يطول الرابع ان تتخلى موانع الفهم وهي الاكنة التي تمنع من
الفقه قال الله عز وجل انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان
الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء
واعلم ان معاني القران من جملة الملكوت وما عدا حروفها من عالم
الشهادة والاكنة التي يبتلى بها المتقي المتعطش الى الحق نوعان
اما ما يبتلى به الضعيف الايمان من حجاب الشك والجحود واما ما
ابتلي به المنهمك في الدنيا من حجاب الشهوات المستغرقة للقلب
فذلك جلي لا يخفى كونه مانعا في فهم لطائف القران واقتباس
انواره وبها حجب اكثر الخلق واما العباد المتجردون لطريق الله
في وجل يحجبون بنوعين احدهما الوسواس الصارف للقلب
الى التفكر في النية وانها كيف كانت في الابتداء وهل بقيت الآن
وهل هو مخلص في الحال هذا ان كان في الصلوة او الوسواس الصارف
للهم الى تصحيح مخارج الحروف والتشكك فيها واعادتها لاجل
ذلك وهذا يجري في الصلوة وغيرها فكيف يطالع اسرار الملكوت
قلب محجوب مصروف الى مطالعة الشفتين وكيفية انطباقهما
واللسان

واللسان والحنك وكيفية انسلال الهواء من اصطكاكهما
وهو مع تقطيع الحروف وتصحيحها النوع الثاني التقليد لظواهر
معاني القرآن والجمود عليها وذلك حجاب عظيم عن الفهم
ولست اعني به التقليد الباطل كتقليد المبتدع بل التقليد
الحق ايضا فان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له درجات
وله مبدأ ظاهر وهو كالقشر والمثال (صورة) وله غور باطن وهو
كاللباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظاهرا
وباطنا وحدا ومطلعا فالجامد على الظاهر الظان انه ليس
وراءه مرقى (اي محل الاطلاع) يرتقي اليه كيف يتصور ان تنكشف له الاسرار فقد
كلف الخلق مثلا ان يعتقدوا ان الله تعالى يرى ولكن للرؤية ظاهر
وسر فمن اعتقد ان رؤية الله تعالى مناسبة للرؤية التي يالفها
الانسان في هذا العالم كيف يتصور ان يطلع على سر قوله تعالى
لن تراني وكيف يفهم ان ذلك ممتنع في هذه الحيوة الدنيا بهذه
العين الموقوفة على ملاحظة الجهات والاقطار وكيف يدرك
قوله لا تدركه الابصار مع قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة ويكفيك هذا المثال الواحد فلسنا نكشف لك اكثر من هذا
ولسنا نقصد في هذا الاصل الا التلويحات لمبادي الاسرار

تشويقاً للمستعدين لها الخامس ان لا يقتصر على اقتباس
الانوار بل يضيف اليها اقتباس الاحوال والاثار وذلك ان
لا تقرأ آية الا وان تصير بصفتها فتكون لك بحسب كل فهم حال
ووجدٌ فعند ذكر الرحمة وعند المغفرة تستبشر كانك تطير من الفرح
وعند ذكر الغضب شدة العقاب تتضاءل كانك تموت من الفزع
وعند ذكر الله واسمائه وعظمته تتطأطأ وتتصاغر حتى كانك
تنمحي من مشاهدة الجلال وعند ذكر الكفار ما يستحيل عليه اى على الله
من ولد وصاحبة تنكسر وتغض صوتك كانك تنطمس من الحياء
وكذلك في كل صنف من الاصناف العشرة وذلك ايضاً بطول البطن اذ
ذلك على جوارحك من بكاء عند الحزن وعرق جبين عند الحياء و
واقشعرار الجلد وارتعاد الفرائص عند الهيبة والجلال والانبساط
في الاعضاء وفي اللسان والصوت عند الاستبشار وانقباض
فيها عند الاستشعار فاذا فعلت ذلك اشترك في نيل حظ القرآن
جميع اجزائك وفاضت اثار القرآن على عوالمك الثلاثة اعني
عالم الملكوت وعالم الجبروت وعالم الشهادة واعلم انك مركب
من العوالم الثلاثة ففيك من كل عالم جزء واعلم ان محض انوار
المعرفة تفيض من عالم الملكوت الى سر القلب لانه ايضاً من الملكوت

واما

واما آثارها من الخشية والخوف والسرور والهيبة وساير
الاحوال فانها تهبط من عالم الجبروت ومهبطها الصدر الذي هو عالم
الجبروت وهو عالم آخر من عوالمك كنينا عنه بالصدر كما كنينا عن
الاول بالقلب لان عالم الجبروت بين عالم الملكوت وعالم الشهادة
كما ان الصدر بين القلب والجوارح واما البكاء والشهيق والاقشعرار
وارتعاد الفرائص فينزل من عالم الشهادة ومهبطها الجوارح لانها
من عالم الشهادة وما اراك تفهم من القلب غير اللحم الصنوبري الشكل
ومن الصدر غير العظم المحيط به فانك لا تدرك من كل شيء الا غلافه
وقشره وما ابعدك فان هذا يوجد للبهايم والميت ولا تنزل عليه
انوار المعارف والعلوم والاثار من الخشية والهيبة والسرور
واردت ان تستنشق شيئاً من روايح هذه الاسرار وما اراك
تريد فقد اخذ الشيطان بخنقك بحبال الشهوات فعليك بباب التوحيد
من اول كتاب التوكل ان اردته واعلم ان القرآن كالشمس
وفيضان اسرار المعارف منه على القلب كفيضان انوار الشمس
على الارض وسريان اثار الخوف والخشية والهيبة وساير الاحوال
منه على الصدر كسريان حرارة الشمس في باطن الارض تابعاً
لاشراق الانوار فان الخشية اثر نور المعرفة وانما يخشى الله من

من عبادة العلماء وانتشار الحركات والتغيرات الى الجوارح من
البكاء والعرق والاقشعرار والارتعاد منبعثا من اثار الخشية يساير
احوال كحركة اجزاء الارض بتصاعد الابخرة والادخنة منها
بتصعيد حرارة الشمس فالحركة تبع الحرارة والحرارة تبع النور والنور
تبع وقوع المحاذاة بين الارض والشمس فاجتهد بان تحاذي بوجه
قلبك شطر شمس القران وتستضيء بانواره كذلك وان لم تطق ذلك
جهة
فاصغ الى النداء الوارد من جانب الطور الايمن فان آنست ای فان وجدت
من جوانبه نارا فخذ منه قبسا واشغل منه سراجا فان كان زيتك
يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا امسته النار انبعث منه الضياء
ووجدت على النار هدى وقام في حقك مقام الشمس المنتشرة
الاشراق والضياء **الاصل السادس** ذكر الله عز وجل في
كل حال قال الله سبحانه واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال النبي صلى
الله عليه وسلم واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال صلى الله عليه
وسلم لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل
الله ومن اعطاء المال سحا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم
وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم

فتضربوا

فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول
الله فقال ذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم سبق المفردون
سبق المفردون فقيل ومن هم يا رسول الله فقال المستهترون ای المولعون
بذكر الله وضع ذكر الله عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا
واعلم انه قد انكشف لارباب البصائر ان الذكر افضل الاعمال قشوره
ولكن له ايضا ثلثة بعضها اقرب الى اللب من بعض وله لب وراء
القشور الثلثة وانما فضل القشور لكونها طريقا اليه فالقشر
الاعلى منه ذكر اللسان فقط والثاني ذكر القلب اذ كان القلب
ای مع طبعه
يحتاج الى موافقته حتى يحضر مع الذكر ولو ترك وطبعه لاسترسل
في اودية الافكار والثالث ان يتمكن الذكر من القلب ويستولي
عليه بحيث يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره كما احتيج في
ای في القران
الثاني الى تكلفه في قراره معه ودوامه عليه والرابع وهو اللباب
ای الله عز وجل
ان يتمكن المذكور من القلب وينمحي الذكر ويخفى وهو اللباب
المطلوب وذلك بان لا يلتفت الى الذكر ولا الى القلب بل يستغرق
المذكور جملته ومهما ظهر له في اثناء ذلك التفات الى الذكر فذلك
حجاب شاغل وهذه الحالة التي يعبر عنها العارفون بالفناء
وذلك بان يفنى عن نفسه حتى لا يحس بشيء من ظواهر جوارح

ولامن الاشياء الخارجة عنه ولامن العوارض الباطنة فيه بل
يغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا الى ربه اولا ثم
ذاهبا فيه آخراً وان خطر له في اثناء ذلك انه فني عن نفسه
بالكلية فذلك شوب وكدورة بل الكمال في ان يفنى عن نفسه
ويفنى عن الفناء ايضا فان الفناء عن الفناء غاية الفناء
وهذا قد يظنه الفقيه الرسمي طامات غير معقولة وليس كذلك
بل هذه الحالة لهم بالاضافة الى محبوبهم كحالتك في اكثر الاحوال
بالاضافة الى محبوبك من جاهٍ او مال او معشوق فانك قد تكون
مستغرقا لشدة الغضب بالفكر في عدوك ولشدة التفكر في معشوقك
حتى لا يكون فيك متسع لشيء اصلاً فتخاطب فلا تفهم وتجتاز
بين يديك غيرك فلا تراه وعيناك مفتوحتان ويتكلم عندك
فلا تسمع وهو باذنيك صحيح وانت في هذا الاستغراق غافل
عن كل شيء وعن الاستغراق ايضا فان الملتفت الى الاستغراق
معرضٌ عن المستغرق به وانما سموا هذه الحالة فناء وان كان
الشخص والظل باقيان لان الاشخاص والاظلال بل ساير المحسوسات
ليس لها حقيقة الوجود بل الوجود الحقيقي لعالم الامر والملكوت
والقلب من عالم الامر قال الله سبحانه قل الروح من امر ربي

والقوالب

والقوالب من عالم الخلق واعني بالقلب اللطيفة الذاكرة
العارفة التي هي مهبط الانوار الالهية دون القلب الظاهر
فان ذلك من عالم الخلق ولا يفهم من هذا اشارة الى قدم
الروح وحدوث القالب بل هما جميعا حادثان وانما اعني
بالخلق ما يقع عليه المساحة والتقدير وهي الاجسام وصفاتها
واعني بعالم الامر ما لا يتطرق اليه التقدير والعالم الجسماني
ليس له وجود حقيقي بل هو من ذلك العالم كالظل من الاجسام
وليس لظل الانسان حقيقة الانسان وليس للشخص حقيقة
الوجود بل هو ظل الحقيقة والكل من صنع الله تعالى ولله يسجد
من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو و
الآصال وسجود عالم الامر طوعا لله وسجود الظلال
كره وتحته سر بل اسرار تحرك اوائلها سلسلة المجانين
الحمقى فضلا عن اواخرها فلنثن زمامها فقد افهمناك
ما ارادوه بالفناء فدع عنك الغيبة والتكذيب بما لم تحط بعلمه
كما قال تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقال تعالى واذ لم يهتدوا
به فسيقولون هذا افك قديم فاذا فهمت الفناء في المذكور
فاعلم انه اول الطريق وهو الذهاب الى الله عز وجل وانما الهدى

بعد اعني بالهدى هدى الله كما قال الخليل صلوات الله
عليه انّي ذاهب الى ربي سيهدين فاول الامر ذهاب
الى الله ثم ذهاب في الله وذلك هو الفناء والاستغراق
به ولكن هذا الاستغراق اولاً يكون كبرقٍ خاطفٍ
قلّ ما يثبت ويدوم فان دام ذلك صارت عادة راسخة
وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي
الاصفى وانطبع له نقش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت
واول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وارواح
الانبياء والاولياء في صورةٍ جميلةٍ يفيض اليه بواسطتها
بعض الحقايق وذلك في البداية الى ان تعلو درجته عن
عن المثال ويكافح بصريح الحق في كل شيءٍ فاذا رُدّ الى
هذا العالم المجازي الذي هو كالظلال نظر الى الخلق نظر
مترحم عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حضيرة القدس
وتعجب منهم في قناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور
وعالم الخيال فيكون معهم حاضرا بشخصه غايبا بقلبه
متعجبا هو من حضورهم ويتعجبون هم من غيبته فهذه ثمرة
لباب الذكر وانما مبدأه ذكر اللسان ثم ذكر القلب

تكلفا

تكلفا ثم ذكر القلب طبعا ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر وهذا
سر قوله صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة
فليكثر ذكر الله عز وجل بل سر قوله يفضل الذكر الخفي على الذكر الذي
تسمعه الحفظة سبعين ضعفا واعلم ان كل ذكرٍ يشعر به قلبك
تسمعه الحفظة فان شعورهم يقارن شعورك وفيه سر حتى اذا
غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور بالكلية فيغيب
ذكرك عن شعور الحفظة ما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت اليه
فهو معرض عن الله وغير منفك عن شركٍ خفيٍ حتى تصير مستغرقا
بالواحد الحق فذلك هو التوحيد وكذلك القول في المعرفة فمن
طلب المعرفة للمعرفة فقد قال بالثاني [الى ذاته وجماله وجلاله] ومن وجدها كالمثل ان
لا يجدها بل يجد المعروف بها فهو الذي تمكن من حقيقة الوصال
وحل بحبوحة حضيرة القدس فان قلت فلم احتقرت هذه المكاشفات
بجانب الفناء فاعلم ان هذه قصة يطول فيها نظر الناظر وذلك
اذا تاملت لم تقصر عن ان تدرك كون الحواس وعوارض النفس
وشهواتها جاذبة الى هذا العالم المحسوس عالم الزور والغرور
ولذلك ينكشف صريح الحق بالموت لبطلان سلطان الحواس و
الخيالات المولية بوجه القلب الى عالم السفل فان قصر عنك

عنك سلطان الحواس بالنوم طولعت بشيء من الغيب على قدر استعدادك وقبولك وصفتك ولكن بمثال يحتاج الى التعبير وما عندي انك لم تصادف من نفسك رؤيا صادقة اطلعت بها على امر مستقبل لكن الخيال الا في النوم وان ركدت الحواس فلذلك يضعف الاطلاع ولا يخلو من شوب المثال واما الفناء فعبارة عن حالة تركد فيها الحواس ولا تشتغل ويسكن فيها الخيال ولا يشوش فان بقيت في الخيال بقية مغلوبة لم تفتتره الا في محاكاة ما يتجلى من عالم القدس حتى يتمثل الانبياء والملائكة والارواح المقدسة في قوالب الخيال فهذه امور نبهت عليها لتكون متشوقا الى ان تصير من اهل الذوق لها فان لم تكن من اهل العلم بها فان لم تكن من اهل الايمان بها ويرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات واياك ان تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد اذا كوشفت بالحق عند سكرات الموت الذي كنت منه تحيد وقيل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد واعلم

واعلم ان الايمان والعلم والذوق ثلاث درجات متفاوتة فان العنين مثلا يتصور ان يصدق بوجود شهوة الوقاع لغيره بان يقبل ذلك ممن يحسن ظنه به ولا يتهمه بالكذب وذلك ايمان ويتصور ان يعلم بالبرهان وجوده لغيره وهو علم ومأخذه قياس ان ينظر الى شهوة الطعام مثلا فيقيس بها شهوة الجماع وكل ذلك بعيد عن ادراك حقيقة الشهوة بوجود حاله وكذلك المرض يعرفه العامي الصحيح ويؤمن به ويعرفه الطبيب الصحيح بالبرهان وهو علم وما لم يصر مريضا لم يحصل له الذوق فكذلك القول في الفناء في التوحيد فالذوق مشاهدة والعلم قياس والايمان قبول بحسن الظن مع الانفكاك عن التهمة فاجتهد ان تصير من اهل المشاهدة فليس الخبر كالمعاينة فان قلت فقد عظمت امر الذكر فهو افضل ام قراءة القران فاعلم ان قراءة القران افضل للخلق كلهم الا الذاهب الى الله عز وجل وهو افضل للذاهب الى الله عز وجل في جميع احواله بدايته وفي بعض احواله في نهايته فان القران هو المشتمل على صنوف المعارف والاحوال والارشاد الى الطريق فما دام العبد مفتقرا الى تهذيب الاخلاق وتحصيل المعارف فالقران اولى به فان جاوز ذلك واستولى الذكر

على قلبه بحيث يرجى له ان يفضي به ذلك الى الاستغراق فمداومة
الذكر اولى به فان القران يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة
والمريد الذاهب الى الله تعالى لا ينبغي ان يلتفت الى الجنة ورياضها
بل ينبغي ان يجعل همه همًّا واحدا وذكره ذكرا واحدا حتى يدرك
درجة الفناء والاستغراق ولذلك قال الله عز وجل ولذكر الله اكبر
وكذلك من ينتهي الى درجة الاستغراق ولا يدوم ولا يغيب عليه
فاذا رد الى نفسه فقد ينفعه تلاوة القران وهذه حالة نادرة
عزيزة كالكبريت الاحمر يتحدث به ولا يوجد فتكون تلاوة القران
افضل مطلقا لانه افضل في كل حال الا في حال من يشغله المتكلم عن
الكلام اذ لباب القران معرفة المتكلم بالقران ومعرفة جلاله والاستغراق
به والقران سائق اليه وهاد نحوه ومن اشرف على المقصد
لم يلتفت الى الطريق فان قلت فاي الاذكار افضل فاعلم ان الافضل
كما ذكرناه الاستيلاء المذكور على القلب وهو شيء واحد لا كثرة فيه
حتى يختار افضله وذلك عين الجمع والتوحيد وانما التفرقة
والكثرة قبل ذلك ما دمت في مقام الذكر باللسان والقلب
وعند هذا قد ينقسم الذكر الى الافضل وغير الافضل والافضلية
بحسب الصفات التي يعبر عنها بالاذكار والصفات والاسماء الواردة

في

في

وبعضها حقيقة في حق العباد ومأول
في حق الله وبعضها حقيقة في
حق الله ومأول في حق العباد

في الله سبحانه تنقسم الى ما هو حقيقة في حق العباد ماولة في حقه
سبحانه كالصبور والشكور والرحيم والمنتقم والى ما هو حقيقة
في حقه سبحانه واذا استعمل في حق غيره كان مجازا ومن اكبر
الاذكار الله لا اله الا الله الحي القيوم فان فيه اسم الاعظم اذ
قال صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم في آية الكرسي واول آل
عمران ولا يشتمل كلاهما الا على هذا وله سر يدق عن فهمك ذكره
والقدر الذي يمكن الرمز اليه ان قولك لا اله الا الله يشعر با
التوحيد ومعنى الوحدانية في الذات والربوبية حقيقي في حق الله
لانه لا يقبل التجزي
عز وجل غير ماول بل هو في حق غيره مجاز وماول وكذلك الحي
فان معنى الحي هو الذي يشعر بذاته ويعلم ذاته والميت هو الذي
لا خبر له من ذاته وهو ايضا حقيقي لله تعالى والقيوم يشعر بكونه
قائما بذاته وان كل شيء قوامه به وهذا ايضا حقيقي له عز وجل
غير ماول ولا يوجد لغيره وما عداها من الاسماء الدالة على
الافعال كالرحيم والمقسط والعدل وغيره فهو دون ما يدل
على الصفات لان مصادر الافعال هي الصفات والصفات اصل والافعال
تبع وما عداها من الصفات التي تدل على القدرة والعلم والارادة
والكلام والسمع والبصر فذلك مما يظن ان الثابت منها لله عز وجل

مفهوم ظواهرها وصيغها فان المفهوم من ظواهرها امور تناسب
صفات الانسان وكلامه وقدرته وعلمه وسمعه وبصره بل لها
حقائق تستحيل ثبوتها للانسان فيستخرج من هذه الاسامي بنوع
من التاويل فهذا انبهك على ما يحتمل فهمك من اختصاص هذه الكلمات
بكونها اعظم ويقرب منه قولك سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر لان سبحان الله تقديس وهو صحيح في حقه فان القدس
الحقيقي لا يتصور الا له تعالى وقولك الحمد لله يشعر باضافة النعم كلها
اليه وهو حقيقي اذ هو المتفرد بالافعال كلها تفردا حقيقيا بلا تاويل
وهو تبارك وتعالى المستوجب الحمد وحده اذ لا شركة لاحد معه في فعله
اصلا البتة كما لا شركة للقلم مع الكاتب في استحقاق المحمدة عند حسن
الخط واعلم ان كل من سواه ممن ترى منه نعمة وهو تعالى مسخر له كالقلم
فهذا مثال ينبهك على تفرده باستحقاق الحمد وقولك لا اله الا الله فقد
عرفت انه التوحيد الحقيقي وقولك الله اكبر فليس المعنى به انه اكبر
من غيره اذ ليس معه سبحانه غيره حتى يقال اكبر منه بل جميع ما سواه فهو
نور من انوار قدرته وليس لنور الشمس مع الشمس رتبة المعية
حتى يقال انها اكبر منه بل رتبة التبعية بل معناه انه عز وجل اكبر من
ان ينال بالحواس او يدرك جلاله بالعقول والقياس بل اكبر من
اى يصل

ان

ان يدرك كنه جلاله غيره بل اكبر من ان يعرفه غيره فانه لا يعرف الله
تبارك وتعالى الا الله فان منتهى معرفة عباده ان يعرفوا انه يستحيل
منهم معرفته الحقيقية ولا يعرف ذلك ايضا بكماله الا نبي او صديق
اما النبي فيعبر عنه ويقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك واما الصديق فيقول العجز عن درك الادراك ادراك
وان تشوقت الى زيادة تحقيق في هذا المعنى واستنكرت قولي لا
يعرف الله الا الله فاطلب معرفة حقيقته بالبرهان من كتاب
المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى ويكفيك الآن هذا القدر
من الرموز الى اسرار الذكر وفضل الاذكار منها **الاصل السابع**
في طلب الحلال قال الله سبحانه كلوا من الطيبات واعملوا صالحا لحا
والحرام خبيث وليس بطيب فقد قرن عز وجل اكل الطيبات
بالعبادات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة
على كل مسلم بعد الفريضة اى بعد فريضة الايمان والصلاة وقال
صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه
واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفي رواية اخرى
زهده الله في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على
بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف

ولا عدل والصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه
وسلم ومن اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله
صلاته ما دام عليه منه شيء وقال عبد الله ابن عمر لو صليتم حتى تكونوا
كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يقبل الله ذلك منكم الا بورع
حاجز وقيل العبادة مع اكل الحرام كالبنيان على السرقين **فصل**
اعلم ان طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب
وتنويره وتاكيد استعداده لقبول انوار المعرفة وفيه سر
لا يحتمل هذا الكتاب ذكره ولكن ينبغي ان تفهم ان درجات الورع اربع
الدرجة الاولى هي التي تجب الفسق باقتحامها وتزول العدالة بزوالها وهي
التي تحرمها فتوى الفقهاء. الثاني ورع الصالحين وهو الحذر عما يتطرق
اليه احتمال التحريم وان افتى المفتي بحله بناء على الظاهر وهو الذي قال
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك. الثالث
ورع المتقين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين
حتى يترك ما لا باس به حذرا او مخافة مما به باس وقال عمر رضي الله
عنه كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام ومن هذا
الاصل كان بعضهم اذا استحق مائة درهم اقتصر على تسعة وتسعين ويترك
الواحد حاجزا بينه وبين النار خوف الزيادة وكان بعضهم يأخذ

ما يأخذ

ما يأخذ بنقصان حبة ويعطي ما يعطي بزيادة حبة ولذلك اخذ
عمر بن عبد العزيز رحمه الله انفه حذرا من ريح المسك لبيت
المال كان يوزن بين يديه وقال هل ينتفع الا بريحه ومن
ذلك ان يتورع عن الزينة واكل الشهوات خيفة من ان تغلب
النفس فتدعوه الى الشهوات المحظورة ومن ذلك ترك النظر الى
تجمل اهل الدنيا فانه يحرك دواعي الرغبة في الدنيا ولذلك
قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
زهرة الحيوة الدنيا ولذلك قال عيسى بن مريم عليه السلام لا تنظروا
الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم
ولذلك قال السلف من رق ثوبه رق دينه والحلال المطلق الطيب
كل حلال انفك من مثل هذه المخافة ولم يوجد فيها آفة **الرابع**
ورع الصديقين وهو الحذر عن كل ما لا يراد بتناوله القوة على
طاعة الله تعالى اذا كان قد يتطرق الى بعض اسبابها معصية
فمن ذلك ما حكي ان ذا النون المصري كان محبوسا جائعا فبعثت
اليه امراة صالحة من طيب مالها طعاما على يد السجان فلم
يأكل منه واعتذر انه جاءني على طبق ظالم اي يد السجان ومن
ذلك ان بشر الحافي كان لا يشرب الماء من الانهار التي حفرها

السلاطين واطفى بعضهم سراجا اشعله غلامه من بيت ظالم وشرب
بعضهم دواء فاشارت عليه امرأته بالمشي والتردد فقال هذه
مشية لا اعرف لها وجها وانا احاسب نفسي على جميع حركاتي وهذه
رتبة اقوام وفقوا بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فعقد واكل ما لم يكن لله تعالى حراما وليس هذا من عشك وعش باحكك
فادرج واجتهد ان تفي بورع العدول الذي يفتي به الفقهاء نعم
ينبغي ان تضيف اليه شيئين احدهما ان تحذر عن مواقع غرورهم
ولا تلتفت الى قولهم من وهب في اخر السنة ماله زوجته والمتوهب
منها مالها سقطت الزكاة عنها فانهم ان عنوا به ان السلطان
لا يطالبهم بالزكوة لان مطمح نظره ظاهر الملك فهو صدق ودرجة
الفقهاء وفتواهم ذكر ما يتعلق بالظواهر فيحكمون بالبراءة اذا اسقط
طلب الساعي ويحكمون بصحة الصلوة اذا امتنع القتل على السلطان
بجريان صورة الصلوة اذ ليس في ايديهم من القوانين الا القانون
الذي يستعمله السلطان في السياسة لينتظم امر المعيشة الدنيوية التي
هي منزل من منازل الطريق كما سبق واما اذا كنت انت تنظر فيما ينفعك
غدا عند جبار الجبابرة وسلطان السلاطين فلا تلتفت الى هذا
واعلم ان مقصود الزكوة ازالة رذيلة البخل فانه مهلك كما قال رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه او هبته وهبته مال الزكوة لاجل درء الزكوة تجعل الشح
مطاعا فانه يصير مطاعا باجابته الى ما يقتضيه وقبل هذا لم يكن
مطاعا فكيف يكون ذلك منجيا وكذلك من يسيء معاشرة زوجته
حتى تنفك وتبرئ له من المهر فلا يحل له المهر بينه وبين الله عز وجل
وان كان الفقيه يفتي بسقوط المهر وصحة الابراء لان الله تعالى
قال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وليس هذا طيبة النفس
بل طيبة القلب والفقيه لا يميز بين الامرين لان شغله بقطع الخصومات
الظاهرة لا غير والحجامة وشرب الدواء البشيع لا تطيب به النفس
بل يطيب به القلب وكذلك كل ما يأباه الطبع ويرتضيه العقل لمصلحة
البدن في العاقبة وهذا باب طويل واصله ان لا تستحل مال غيرك
الا برضى مطلق صاف وينبغي الا تاكل من السوال فان سالت فاحذر
ان تسل على الملاء فربما يعطي بالحياء وذلك ليس مقرونا بالرضا
فان المعطي يوثر الم ازالة الملك على الم الحياء ولا فرق بين ان تاخذ
ماله بضرب ظاهره بالسوط وبين ان تاخذه بضرب باطنه بسوط
الحياء فالكل مصادرة واحذر ايضا ان يعطيك بالدين وذلك
بان يعطيك لظنه انك ورع تقي فتاكل بالدين ويكون من شرط

حلة ان لا يكون في باطنك ما لو اطلع عليه المعطي لامتنع من
الاعطا، فلا فرق بين من ياخذ بالتصوف والتقوى
وليس هو متصفا به باطنا وبين من يزعم انه علوي ليعطي
وهو كاذب وكل ذلك حرام عند ذوي البصائر وان افتى
الفقيه بالحل بنا، على الظاهر **الفرع الثاني** ان تراجع قلبك
وان افتوك فان الاثم حزاز القلوب فالذي يحزك ما حاك
في قلبك ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك
وان افتوك وافتوك وهذا السر طويل ذكره ولكن اعلم على الجملة
ان المحذور من الحرام اظلام القلب والمطلوب من الحلال تنويره
وذلك يتشعب من اعتقادك لا من نفس المعتقد فمن وطئ
امراة على ظن انها اجنبية فاذا هي منكوحة حصل اظلام القلب
ولو وطئ اجنبية على ظن انها زوجته لم يحصل وكذلك في النجاسات
والطهارات المؤثرة في تنوير القلب وحكمه (اي اظلام القلب) واعتقادك
فما امرت ان تصلي وثوبك طاهر بل ان تصلي وانت تعتقد انه
طاهر فاستشعار الطهارة مؤثرة في اشراق القلب ان لم يكن
على وفق الحال ولذلك نقول ان من صلى ثم تذكر انه كان معه
نجاسة فليس عليه اعادة على الاصح لانه صلى الله عليه وسلم

خلع

خلع نعليه في اثنا، صلاته لما اخبره جبرائيل عليه السلام بان عليهما
قذرا او استمر فيها ولذلك يشدد الامام على الموسوس فانه ما لم يطمئن
قلبه باعتقاد الطهارة يجب عليه الاستقصا، والمعاودة واولئك قوم
شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فهلكوا بالاستقصا كما
قال عليه السلام هلك المتنطعون (اي المتكلف) فكذلك في الحلال انت متعبد بما يطمئن
اليه قلبك لا بما يفتي به المفتي فاستفت قلبك **فصل** اياك ان تشدد
على نفسك فتقول اموال الدنيا كلها حرام وقد اخذتها الايدي
العادية والمعاملات الفاسدة فاقنع بالحشيش مترهبا واتناول
من الجميع متوسعا لا افصل فيه بين حلال وحرام بل اعلم قطعا ان الحلال
بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات كذلك كان في عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك يكون ابد الدهر فاستمع من السر الذي ذكرناه
فانك غير متعبد بما هو في نفسه حلال بل بما هو في اعتقادك حلال الا ما تعرف
سببا ظاهرا في تحريمه فقد توضا رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مزادة مشرك وتوضا عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية ولو عطشوا
لشربوا منه وشرب الما، النجس حرام ولكن استصحبوا يقين الطهارة
ولم يتركوها لتوهم النجاسة وكذلك كل مال صادفته في يد رجل مجهول
عندك حاله فلك ان تشتري منه وتاكل من ضيافته تحسينا للظن

بالمسلم فان الاصل انما في يده فهو حلال وما تصادفه في يد رجل
عرفته بالصلاح فهو اولى بان تقبله حلالا ثم يجب الحذر
مما تصادفه في يد سلطان ظالم او رجل عرفته بالربا او
بيع الخمر فيجب الحذر منه حتى تسئل وتستقصي وتعرف
انه من اين حصل له فان ظهر لك جهة حصوله وانه حلال
فلك اخذه والا فالاعتماد على العلامة الظاهرة وهي قرينة
حاله وهذا اذا كان اكثر امواله كذلك فان كان اكثرها
حلالا فلك ان تاكل منه وان تركته فذلك ورع فقد كتب
بعض وكلاء ابن المبارك من البصرة اليه يسئل عن معاملة
الرجل يعامل السلطان فقال ان كان لا يعامل غير السلطان
فلا تعامله وان كان يعامل غيره ايضا فعامله وبالجملة الناس
في حقك ستة اقسام احدها ان يكون مجهولا فكل من ماله
والحذر ليس بواجب بل محض الورع الثاني ان عرفته بالصلاح
فكل منه ولا تتورع فالورع فيه وسوسة فان ادى الى الاذى
والايحاش فهو معصية وحرام لما فيه من الايذاء ولما فيه
من سوء الظن بالرجل (الصالح) الثالث ان عرفته بالظلم والربا
حتى علمت ان كل ماله او اكثره حرام كالسلاطين الظلمة فخرجهم
فما

فالمهم حرام الرابع ان تعرف ان اكثر امواله حلال ولكن لا
يخلو عن حرام كرجل له تجارة وميراث وهو مع هذا في عمل
السلطان فلك الاخذ بالاغلب لكن الترك من الورع المهم
الخامس ان يكون مجهولا عندك لكن ترى عليه علامة الظلم
كالقباء والقلنسوة وهيئة الاتراك والظلمة (واهل الشر) فهذه علامة
ظاهرة توجب الحذر فلا تاكل من ماله الا بعد التفتيش السادس
ان ترى عليه علامة الفسق لا علامة الظلم كطول الشارب وانقسام
شعر الراس قزعا او رايته يشتم عبيدا او ينظر الى امراة فان علمت
له مالا موروثا او تجارة لم يحرم ماله بذلك وان كان امره مجهولا
عندك فهذا فيه نظر لان علامة الفسق اضعف دلالة من علامة
الظلم ولكن الاظهر عندي انه لا يحرم ماله لان ظاهر اليد والاسلام
يدل على الملك دلالة اظهر من دلالة هذه العلامة على التحريم
وليست هذه الدلالة اقوى من دلالة النصرانية والمجوسية على
نجاسة الماء ولم يلتفت اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمر
رضي الله عنه اما علامة الظلم فتضاهي (تشابه) ما اذا راينا ظبية تبول
في ماء ثم وجدنا الماء متغيرا فامكن ان يكون بطول المكث
وامكن ان يكون من البول فانه يجب اجتنابه احالة على السبب

الطاهر ثم وراء ذلك كله عليه ان تستفتي قلبه فاذا وجد في قلبه حزازة
فليجتنبه فالاثم حزازات القلوب وحكاكات الصدور ولكن ههنا
دقيقة يغفل عنها اهل الورع وهي انه حيث يكون الترك من الورع
او من حزازة في النفس فلا يجوز الترك او السؤال بحيث يؤذي المجهول
اذا قدم اليك طعاما فان سألته انه من اين استوحش وتأذى و
الايذاء حرام وسوء الظن حرام وان سألت غيره بحيث يدري زاد
الايذاء وان سألت بحيث لا يدري فقد تجسست واسأت الظن
وبعض الظن اثم وتساهلت بالغيبة والتهمة وكل ذلك حرام وترك
الورع ليس بحرام فليس لك الا التلطف بالترك فان لم يكن الا بايذاء
فعليك ان تاكل فان طيبة قلب المسلم وصيانته عن الايذاء من الورع
فاياك ان تكون من القراء المغرورين الذين لا يدركون دقايق الورع
واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل من صدقة بريرة ولم يسئل عن المتصدق
وكان صلى الله عليه وسلم تحمل اليه الهدايا ولا يسئل نعم يسائل في اول
قدومه الى المدينة عما حمل اليه هل هو هدية او صدقة لان ذلك
ليس فيه ايذاء ولان قرينة الحال كانت تقتضي الامكان والصدقة
والهدية على وتيرة واحدة وكان صلى الله عليه وسلم يدعى الى الضيافات
فيجيب ولا يسئل ولم ينقل السؤال الا نادرا في محل الريبة فان قلت

فان

فان وقع طعام حرام في سوق فهل يشترى من ذلك السوق فاقول
ان تحققت ان الحرام هو الاكثر فلا يشترى الا بعد التفتيش وان
علمت ان الحرام كثير وليس بالاكثر فلك الشراء والتفتيش من الورع
ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يشترون في اسفارهم
من الاسواق مع علمهم بان فيهم اهل الربا والغصب واهل الغلول
في الغنيمة وكانوا لا يتركون المعاملة معهم وهذا الباب يستدعي
شرحا طويلا فان رغبت فيه فطالع كتاب الحلال والحرام من
كتب الاحياء لتشهد عند مطالعته بانه لم يصنف في فنه مثله في التحقيق
والتحصيل والاحاطة بجميع التفاصيل **الاصل الثامن** في القيام بحقوق
المسلمين وحسن الصحبة معهم وهو ركن من اركان الدين اذ الدين معناه
السفر الى الله عز وجل ومن اركان السفر حسن الصحبة في منازل
السفر مع المسافرين والخلق كلهم سفر يسير بهم العمر مسير السفينة
براكبها واعلم ان الانسان يكون في الدنيا وحده او مع خواصه
من اهل وولد وقريب وجار او يكون مع عموم الخلق وفيه ثلثة
احوال وعليه حسن الصحبة واداء الحقوق في جميع هذه الاحوال
الحالة الاولى ان يكون وحده فليعلم انه بنفسه عالم وان باطنه
يشتمل على اصناف من الخلق مختلفي الطباع والاخلاق فان لم يحسن

حقوق الناس

الاحوال ت

صحبتهم ولم يقم بحقوقهم هلك وان جنود الباطن كثيرة و
لا يعلم جنود ربك الا هو وقد استقصينا بعض ذلك في كتاب عجايب
القلب فنذكر الان امر الجنود وفرسها فنقول فيك شهوة تجذب
بها الى نفسك النافع وغضب تدفع به عن نفسك الضار وعقل
تدبر به الامور ورعاية الرعية فانت باعتبار غضبك كلب
وباعتبار شهوتك بهيمة كالفرس مثلا وباعتبار عقلك ملك
وانت مأمور بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم والاستعانة بهم
لتقتنص بمعونتهم سعادة الابد فان رضت الفرس وادبت الكلب
وسخرتهما للملك تيسر لك الظفر بما طلبت وان سخرت العقل في استنباط
الحيل لتحصيل ما يتقاضاه الكلب بغضبه وما جبه والفرس بحرصه وجشعه
اوقيت على العطب فضلا عن ادراك مقصود الطلب وصرت منكوسا
معكوسا فاجرا ظالما لان الظلم وضع الشي في غير موضعه ولو رأيت شخصا
جعل في طاعة ملك كلب وخنزير فلم يزل يضغط الملك الى ان يسجد
للخنزير والكلب فهل تراه ظالما مستوجبا للعنة ولو كوشفت بحالك
عند منامك او عند فنائك عن نفسك لما وصفناه في الاستغراق بالله
لرايت كل من اطاع شهوته وغضبه ساجدا للكلب وخنزير اذ
لم يكن الكلب كلبا لصورته بل لمعناه ولكنك ترى نفسك بعد الموت

لان

لان المعاني في عالم الاخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل
شي بصورة توازي معناه فيحشر المتكبرون في صور الذر يطؤهم
من اقبل وادبر والمتواضعون اعزاء واما في هذا العالم عالم
التلبيس فقد يودع معنى الخنزير والكلب في صورة انسان فلا
تغتر به فان ذلك ينكشف يوم تبلى السرائر فعليك ان تخرج
رفقائك الثلاثة فتكسر شره الشهوة بسطوة الغضب وتقلل
من غلواء الغضب بخداع الشهوة وتسلط احدهما على الآخر
فان ذلك يبلغ حدا في تقويمهما حتى تنقاد للعقل والشرع فيستعملهما
العقل بحيث ينتفع بهما كما يستعمل الصائد الفرس والكلب ويسكنهما
عند الاستغناء وشرح هذه الرياضة والصبر طويل ذكرناه في كتاب
رياضة النفس **الحالة الثانية** صحبتك مع عموم الخلق فاقل
درجات حسن الصحبة كف الاذى عنهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وفوق ذلك ان تنفعهم
وتحسن اليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله
واحبهم الى الله انفعهم لعياله وفوق ذلك ان تحتمل الاذى منهم وتحسن
مع ذلك اليهم وذلك درجة الصديقين قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعلي رضي الله عنه ان اردت ان تسبق الصديقين فصل من

مطلب صحبة الخلق على ثلاث درجات

من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك فهذه جملة
الامر وتفصيل هذه الحقوق كثيرة ونقتصر من جملتها على عشرين
وظيفة فمنها ان لا تحب للناس الا ما تحب لنفسك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سره ان يزحزح عن النار فلتأته منيته
وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس
ما يحب ان يؤتى اليه ومنها ان يتواضع لكل احد ولا يفتخر عليه
فان الله لا يحب كل مختال فخور وان تكبر عليه غيره فليحتمل قال
الله عز وجل خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ومنها
ان توقر المشايخ وترحم الصبيان قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من
لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا وقال صلى الله عليه وسلم من اجلال الله
اكرام ذي الشيبة المسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما وقر شاب
شيخا لسنه الا قيض الله له في شيبته من يوقره وهذه بشارة
بطول الحياة مع الاجر ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا
طلق الوجه قال صلى الله عليه وسلم اتدرون على من حرمت النار
قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين اللين السهل القريب
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق ومنها اصلاح
ذات البين بين المسلمين ولو بالمبالغة والزيادة في الكلام

قال

قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال
خيرا او نمى خيرا وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة
الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح
ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة ومنها ان لا يسمع
بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من
بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقيل من نم
اليك نم عليك ومنها ان لا يزيد في الهجرة عند الوحشة على ثلثة
ايام قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث
وقال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم
القيامة ومنها ان تحسن الى كل احد كان اهلا لذلك او لم يكن
قال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله فان لم تصب
اهله فانت من اهله ومنها ان تخالق كل صنف باخلاقهم ولا
تلتمس من الجاهل والغبي ما تلتمس من الورع العالم قال داود عليه
السلام الهي كيف لي ان يحبني الناس واسلم فيما بيني وبينك
فاوحى الله سبحانه اليه خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق
اهل الاخرة باخلاق الاخرة ومنها ان تنزلهم منازلهم فتزيد في
اكرام ذي المنزلة وان كانت منزلته في الدنيا فان رسول الله صلى الله

عليه وسلم بسط رداءه لبعضهم وقال اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه ومنها
ان تستر عورات المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى امرء
من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم
يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين
ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته
ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته ومنها ان تتقي مواضع
التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن والسنتهم عن الغيبة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم وكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم احدى نسائه فمر به رجل فقال يا فلان انها زوجتي صفية
فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني لا اظن فيك فقال ان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم ومنها ان تسعى في قضاء حوائج المسلمين ولو
بشفاعة قال صلى الله عليه وسلم اشفعوا الي تؤجروا اني اريد الامر
واؤخره كي تشفعوا الي فتؤجروا وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في
حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف
شهرين وقال صلى الله عليه وسلم قيامك مع اخيك ساعة خير من اعتكاف
سنة ومنها ان تبادر بالسلام على كل مسلم وتصافحه ليكون لك فضل البداية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت

بينهما

بينهما سبعون رحمة تسع وستون لاحسنهما بشرا ومنها ان تنصر
اخاه في غيبته فترد عن عرضه وماله قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من مسلم ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل
حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته وما من احد يخذل
مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته الا خذله الله [يوم القيامة] في موضع يحب
فيه نصرته ومنها ان تداري اهل الشر ليسلم منهم قالت عائشة
استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له
فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده
منزلة فلما خرج راجعته في ذلك فقال يا عائشة ان شر الناس منزلة
عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه وقال صلى الله
عليه وسلم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وقال صلى الله عليه
وسلم خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب ومنها ان تحذر
مجالسة الاغنياء وتكثر مجالسة المساكين قال صلى الله عليه وسلم
اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن هم قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين
وكان سليمان عليه السلام اذا رأى في المسجد مسكينا جلس اليه وقال
مسكين جالس مسكينا وقال موسى عليه السلام الهي اين اطلبك

ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا

فاز عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ومنها ان لا يجالس الا من يفيده
في الدين فايدة او من يستفيد منه فاما اهل الغفلة فيحذر منهم
قال صلى الله عليه وسلم الوحدة خير من الجليس السوء والجليس
الصالح خير من الوحدة فاذا اكثر من مجالسة اهل الغفلة فينقص
من دينه بكل جلسة شيء فليقدر ان كل واحد منهم لو كان يأخذ منه
في كل جلسة سلكا من ثوبه او شعرة من شعر لحيته اما كان يحذره
خيفة ان يصير على القرب اجرد عاريا فالحذر لاجل الدين اولى
ومنها ان يعود مريضهم ويشيع جنائزهم ويزور قبورهم ويدعو لهم
في الغيبة ويشمت العاطس وينصف الناس من نفسه وينصح اذا
استنصح الى غير ذلك من حقوق كثيرة فيها الاخبار آثرنا فيها الاختصار
جملتها ان تعمل في حقهم ما تحب ان يعمل في حقك من احسان
واهتمام وكف اذى **الحالة الثالثة** الصحبة مع من يدلي بسوى
عموم الاسلام بخاصية كجوار او قرابة او ملك قال صلى الله عليه وسلم
اول خصمين يوم القيامة جاران وقال صلى الله عليه وسلم اذا رميت
كلب جارك فقد آذيته وقيل له صلى الله عليه وسلم ان فلانة تقوم
النهار وتصلي الليل وتؤذي الجيران فقال هي في النار وقال صلى الله
عليه وسلم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك

اقرضته

اقرضته وان افتقر جدت عليه وان مرض عدته وان مات
اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته
مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه
واذا اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا
ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك
الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي
بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله واما القرابة فقد
قال صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى انا الرحمن وهذه
الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
بتته وقال صلى الله عليه وسلم صلة الرحم تزيد في العمر وقال صلى
عليه وسلم توجد رائحة الجنة على مسيرة خمس مائة عام ولا
يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين
افضل من الصلوة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله
عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الوالد ضعفين
وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين اولادكم بالعطية واما
المملوك فقد قال فيه صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فيما ملكت
ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم

من العمل ما لا يطيقون فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كفى احدكم مملوكه طعاما فكفاه حره وعلاجه
وقربه اليه فليجلسه فليأكل معه او ليأخذ لقمة فليروغها وليضعها
في يده وليقل كل هنيئا وسئل صلى الله عليه وسلم كم نعفو عن المملوك
في اليوم والليلة قال سبعين مرة فجملة حق المملوك ان يشركه في
طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ويعفوا عن زلته ولا ينظر
اليه بعين الكبر والازدراء ويعلمه مهمات دينه واما حقوق المنكوحة
فنزيد على هذا اذ يجب لها مع القيام بواجباتها حسن العشرة والملاطفة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي
وكان صلى الله عليه وسلم من افكه الناس مع نسائه والاخبار
في ذلك اكثر من ان تحصى **فصل** من اصول الدين هي المحبة والتحاب
الاخوان في الله عز وجل قال الله تعالى لبعض انبيائه اما زهدك
في الدنيا فقد استعجلت بك الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت
بي فهل واليت فيّ وليا وهل عاديت فيّ عدوا وقال صلى الله عليه
وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم
في ظلي يوم لا ظل الا ظلي واوحى الله سبحانه الى عيسى بن مريم عليه السلام
لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض وحب في الله ليس

لطيفة

وبغض

وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئا وقال صلى الله عليه
وسلم ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور
ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون
والشهداء فقالوا يا رسول الله حلهم لنا فقال المتحابون
في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله عز وجل واعلم
ان كل حب لا يتصور دون الايمان بالله واليوم الآخر فهو
حب في الله ولكنه على درجتين احدهما ان تحبه لتنال منه
في الدنيا نصيبا يوصلك الى الآخرة كحبك استاذك وشيخك بل تلميذك
الذي ينمو علمك بتعليمه بل خادمك الذي يفرغ قلبك عن كنس
بيتك وغسل ثوبك لتتفرغ بسببه لطاعة الله تعالى بل المنفق عليك
من ماله اذا كان غرضك من ذلك افراغ القلب لعبادة الله تبارك
وتعالى الثانية وهي اعلى ان تحبه لانه محبوب عند الله عز وجل
ومحب الله وان لم يتعلق به غرض لك في الدنيا والآخرة من
علم او معونة على دين او غيره وبهذا احمل الان الحب اذا غلب
تعدى الى كل من هو من المحبوب بسبب حتى يحب الانسان
محب محبوبه ومحبوب محبوبه بل يميز بين الكلب الذي هو
في سكة محبوبه وبين ساير الكلاب وانما سراية الحب بقدر

ذي سوق محبوبه

غلبة الحب ومن احب لقاء الله لم يمكنه ان لا يحب عباده الصالحين
المرضيين عنهم الا ان ذلك قد يقوى حتى يحمل على ان يسلك بهم مسلك
نفسه بل يؤثرهم على نفسه وقد يقصر عن ذلك ويفضلهم عنه ينقسم
بقدر رجته وقوته وكذلك يبغض لا محالة من يعصيه ويخالف
امره ويظهر اثر ذلك في مجانبته ومهاجرته له وتقطيبه الوجه عند
مشاهدته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي
يدا فيحبه قلبي حذرا من ان يقدح ذلك في البغض في الله وبالجملة
من لا يصادف من نفسه الحب في الله والبغض في الله بهذه الاسباب
فهو ضعيف الايمان وهذا له تحقيق وتفصيل فاطلبه من كتاب
الصحبة والاخوة في الله تعالى **الاصل التاسع** في الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر قال الله سبحانه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض الآية وقال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وقال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه في خطبته ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتتاولونها
على خلاف تاويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

ما من

ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل
الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وقالت عائشة رضي الله
عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية
عشر الفا عملهم اعمال الانبياء قالوا يا رسول الله كيف ذلك قال لم
يكونوا يغضبون لله عز وجل ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر
فصل كل من شاهد منكرا ولم ينكره وسكت عليه فهو شريك فيه
فالمستمع شريك المغتاب ويجري هذا في جميع المعاصي حتى في مجالسة
من يلبس الديباج ويتختم بالذهب ويجلس على الحرير والجلوس في دار
او في حمام على حيطانها صور او فيها اوان من ذهب او فضة او الجلوس
في مسجد يسيء الناس الصلوة فيه فلا يتمون الركوع والسجود والجلوس
في مجلس وعظ يجري فيه ذكر البدعة او في مجلس مناظرة او مجادلة
يجري فيها الايذاء والايحاش بالسفه والشتم وبالجملة من خالط الناس
كثرت معاصيه وان كان تقيا في نفسه الا ان يترك المداهنة ولا
تاخذه في الله لومة لائم ويشتغل بالحسبة والمنع وانما يسقط
عنه الوجوب بامرين احدهما ان يعلم انه ان انكر لم يلتفت اليه ولم
يترك المنكر ونظر اليه بعين الاستهزاء وهذا هو الغالب في منكرات
يرتكبها الفقهاء ومن يزعم انه من اهل الدين فههنا يجوز السكوت

عدم الالتفات وعدم الترك بالمنكر والنظر بعين الاستهزاء

ولكن يستحب الزجر باللسان اظهار الشعار الدين مهما لم يقدر
على غير الزجر باللسان ويجب ان يفارق ذلك الموضع فليس يجوز مشاهدة
المعصية بالاختيار ومن جلس في مجلس الشرب فهو فاسق وان لم يشرب
ومن جالس مغتابا او لابس حرير او آكل ربا او حرام فهو فاسق
فليقم من موضعه الثاني ان يعلم انه يقدر على المنع من المنكر
بان يرى زجاجة فيها خمر فيرميها فيكسرها او يسلب آلة الملاهي
من يده فيكسرها ويضربها على الارض ولكن يعلم انه يضرب او يصاب
بمكروه فهاهنا يستحب الحسبة لقوله تعالى وانه عن المنكر واصبر على ما
اصابك ولا يجب الا ان المكروه الذي يصيبه له درجات كثيرة يطول
النظر فيها ذكرناها في كتاب الامر بالمعروف من الاحياء وعلى الجملة
فلا يسقط الوجوب الا بمكروه في بدنه بالضرب او في ماله بالاهلاك
او في جاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح في مروته فاما خوف
استيحاش المنكر عليه وخوف تعرضه له باللسان وعداوته له او
توهم سعيه له في المستقبل بما يسوءه او يحول بينه وبين
زيادة خير يتوقعها فكل ذلك موهومات وامور ضعيفة لا يسقط
الوجوب بها فصل عمدة الحسبة شيئان احدهما اللطف
والرفق والبداية بالوعظ على سبيل اللين لا على سبيل العنف
والترفع

والترفع والادلال بدالة الصلاح فان ذلك يؤكد داعية
المعصية ويحمل العاصي على المناكرة وعلى الايذاء ثم اذا اذاه
ولم يكن حسن الخلق غضب لنفسه وترك الانكار لله عز وجل
واشتغل بشفاء غليله منه فيصير عاصيا بل ينبغي ان يكون كارها
للحسبة يود لو ترك العاصي المعصية بقول غيره فاذا احب
ان يكون هو المتعرض كان ذلك لما في نفسه من دالة الاحتساب
وعزته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يامر بالمعروف ولا
ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم
فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يامر به فقيه فيما ينهى عنه
ووعظ المامون واعظ بعنف فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله
من هو خير منك الى من هو شر مني فامره بالرفق فقال تعالى فقولا
له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وروى ابو امامة ان غلاما شابا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتاذن لي بالزنا فصاح الناس
به فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقروه ادن مني فدنا
منه فقال صلى الله عليه وسلم اتحبه لامك فقال لا جعلني الله
فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم ثم قال صلى الله عليه
وسلم اتحبه لابنتك قال لا قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم

حتى ذكر له الاخت والبنت والخالة ويقول وكذلك الناس لا يحبونه
ثم وضع يده على صدره ثم قال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن
فرجه فلم يكن بعد ذلك شيء ابغض اليه من الزنا وقال بعضهم
للفضيل ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما اخذ
منهم الا دون حقه ثم خلا به وعاتبه بالرفق فقال يا ابا علي
ان لم نكن من الصالحين فانا نحب الصالحين النعمة الثانية
ان يكون المحتسب قد بدا بنفسه فهذبها وترك ما ينهى عنه اولا
قال الحسن البصري اذا كنت تامر بالمعروف فكن من آخذ الناس
به والا هلكت فهذا هو الاولى حتى ينفع كلامه والا كالنهي
به وليس هذا شرطا بل يجوز الاحتساب للعاصي ايضا قال
انس قلنا يا رسول الله الا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى
عن المنكر حتى نجتنبه كله قال بلى مروا بالمعروف وان لم تعملوا به
كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله قال الحسن البصري يريد
ان لا يظفر الشيطان منكم بهذه الخصلة وهو ان لا تامروا بالمعروف
حتى تاتوا به كله يعني ان هذا يؤدي الى حسم باب الحسبة
فمن ذا الذي يعصم عن المعاصي الاصل العاشر في اتباع السنة
اعلم ان مفتاح السعادة اتباع السنة والاقتداء برسول الله

صلى

اتباع سنة رسول الله

صلى الله عليه وسلم في جميع مصادره وموارده وحركاته وسكناته
حتى في هيئة اكله وقيامه ونومه وكلامه لست اقول ذلك
في آدابه فقط لانه لا وجه لاهمال السنن الواردة فيها بل ذلك
في جميع امور العادات فبذلك يحصل الاتباع المطلق قال الله
سبحانه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال
تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك
ان تلبس السراويل قاعدا وتتعمم قائما وتبتدئ باليمين
في تنعلك وتاكل بيمينك وتقلم اظفارك وتبتدئ بمسبحة
اليد اليمنى وتختم بابهامها وفي الرجل تبتدئ بخنصر اليمنى
وتختم بخنصر اليسرى وكذلك في جميع حركاتك وسكناتك
فقد كان محمد بن اسلم لا ياكل البطيخ لانه لم ينقل كيفية اكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم له وسها بعضهم فابتدا في لبس
الخف باليسرى فكفر عن ذلك بكر حنطة فلا ينبغي ان تتساهل
في امثال ذلك فتقول هذا مما يتعلق بالعادات فلا معنى للا تباع
فيه لان ذلك يغلق عنك بابا عظيما من ابواب السعادة
فصل لعلك تشتهي الآن الوقوف على السبب المرغب في الاتباع
في هذه الافعال وتستبعد ان يكون تحت ذلك امر مهم يقتضي

بهذا التشويه العظيم في المخالفة فاعلم ان ذكر السر في احاد
ذلك الاشياء يطول ولا يحتمل هذا الكتاب شرحه لكن ينبغي
ان تفهم ان ذلك ينحصر في ثلثة انواع من الاسرار الاول
انا نبهناك في مواضع على العلاقة التي بين الملك والملكوت
وبين الجوارح والقلب وكيفية تأثر القلب بعمل الجوارح وان
القلب كالمرآة لا تتجلى فيه حقائق الاشياء الا بتصقيله وتنويره
وتعديله اما تصقيله فبازالة خبث الشهوات وكدورة الاخلاق
الذميمة واما تنويره فبانوار الذكر والمعرفة ويعين على ذلك
العبادة الخالصة اذا اديت على كمال الحرمة بمقتضى السنة
واما تعديله فبان يجري جميع حركات الجوارح على قانون العدل
اذ اليد لا تصل الى القلب حتى تقصد تعديله وتحدث فيه هيئة
معتدلة صحيحة لا اعوجاج فيها وانما التصرف في القلب
بواسطة تعديل الجوارح وتعديل حركاتها ولهذا كانت الدنيا
مزرعة الاخرة ولهذا تعظم حسرة من مات قبل التعديل
لانسداد طريق التعديل بالموت اذ تنقطع علاقة القلب
عن الجوارح فمهما كانت حركات الجوارح بل حركات الخواطر
ايضا موزونة بميزان العدل حدث في القلب هيئة عادلة

مستوية

مستوية تستعد لقبول الحقائق على نعت الصحة والاستقامة
كما تستعد المرآة المعتدلة لمحاكاة الصور الصحيحة من
غير اعوجاج ومعنى العدل وضع الاشياء مواضعها ومثاله
ان الجهات مثلا اربع فقد خص منها جهة القبلة بالتشريف
فالعدل ان تستقبل في احوال الذكر والعبادة والوضوء
وان تنحرف عنها عند قضاء الحاجة وكشف العورة اظهارا
لفضل ما ظهر فضله واليمين زيادة على اليسار غالبا بالفضل
والقوة فالعدل ان تفضلها على اليسار وتستعملها في بعض الاعمال
الشريفة كاخذ المصاحف والطعام وتترك اليسار للاستنجاء
وتناول القاذورات وقلم الاظفار مثلا تطهير لليد وهو
اكرام فينبغي ان يبتدأ بالاكرم والافضل وربما لا يستقل عقلك
بالتفطن للترتيب في ذلك وكيفية البداية فاتبع فيه السنة
وابتدئ بالمسبحة من اليمنى لان اليد افضل من الرجل واليمنى
افضل من اليسرى والمسبحة التي بها الاشارة في كلمة التوحيد
افضل من سائر الاصابع ثم بعد ذلك تدور من يمين المسبحة
والكف ظهر ووجه فوجهه ما يقابل فاذا جعلت الكف
وجه اليد كان يمين المسبحة من جانب الوسطى فقدر

اليدين متقابلتين بوجهيهما وتفرّق الاصابع كانها اقتناص
فيعود المواض من المسبحة الى ان تختم بابهام اليمنى كذلك فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم والحكمة في ذلك ما ذكرناه واذا
انت تعودت رعاية العدل في دقايق الحركات صارت
العدالة والصحة هيئة راسخة في التطبيق فيما يذكر من
خواص الاشيا في الحجامة والاحجار والادوية لا تحقق
سيد البشر محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه فيما حكم
به عنها وانت تعلم انه صلى الله عليه وسلم مكاشف من العالم الاعلى
بجميع الاسرار وهذا ينبهك على الاتباع فيما لا تفهم وجه الحكم
فيه على ما ذكرناه في السر الاول السر ليس قلبك واستوت
صورها وبذلك تستعد لقبول صور السعادة ولذلك قال الله
تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فروح الله عز وجل
مفتاح ابواب السعادة ولم يكن نفخها الا بعد التسوية ومعنى
التسوية يرجع الى التعديل وفي ذلك سر طويل يطول شرحه ورده
وانما نرمز الرمز الى اصله فان كنت لا تقوى على فهم حقيقه
فالتجربة تنفعك فانظر الى من تعود الصدق كيف يصدق رؤياه
غالبا لان الصدق حصل في قلبه هيئة صادقة يتلقى اللوايح

الغيب

الغيب في النوم على الصحة وانظر كيف تكذب رؤيا الكذاب
بل رؤيا الشعراء لتعوده التخيلات الكاذبة فاعوج لذلك
صورة قلبه فان كنت تريد ان تلج جنات القدس
فاترك ظاهر الاثم وباطنه واترك الفواحش ما ظهر
منها وما بطن واترك الكذب حتى في حديث النفس
ايضا السر الثاني ان تعلم ان الاشيا المؤثرة في بدنك
بعضها انما يعقل تاثيرها بنوع من المناسبة الى الحرارة و
البرودة والرطوبة واليبوسة كقولك ان العسل يضر
المحرورين وينفع البارد مزاجه ومنها ما لا يدرك بالقياس
ويعبر عنه بالخواص وتلك الخواص لم يوقف عليها بالقياس
بل مبدا الوقوف عليها وحي او الهام فالمغناطيس اسم قاش
يجذب الحديد والسقمونيا يجذب خلط الصفرا من
اسم نبات وهو مسهل
اعماق العروق لا على القياس بل بخاصية وقف عليها اما
بالالهام او بالتجربة واكثر الخواص عرفت بالالهام واكثر
التاثيرات في الادوية وغيرها من قبيل الخواص فكذلك
فاعلم ان تاثيرات الاعمال في القلب تنقسم الى ما تفهم وجهه
مناسبته كعلمك بان اتباع الشهوة الدنيوية يؤكد علاقته

مع هذا العالم فيخرج من العالم منكوس الراس مولّيا وجهه الى
هذا العالم اذ فيه محبوبه ولعلك ان المداومة على ذكر الله تعالى
تؤكد الانس بالله سبحانه وتوجب الحب حتى تعظم اللذة به
عند فراق الدنيا والقدوم على الله سبحانه اذ اللذة على قدر
الحب والحب على قدر المعرفة والذكر ومن الاعمال ما يؤثر في
الاستعداد لسعادة الآخرة او لشقاوتها بخاصية ليست على
القياس لا يوقف عليها الا بنور النبوة فاذا رايت النبي صلى الله
عليه وسلم قد عدل عن احد المباحين الى الآخر وآثره عليه مع
قدرته عليهما فاعلم انه اطلع بنور النبوة على خاصية فيه وكوشف
به من عالم الملكوت كما قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس
ان الله امرني ان اعلمكم مما علمني واؤدبكم فلا يكثرن احدكم
الكلام عند المجامعة فانه يكون منه خرس الولد ولا ينظرن احدكم
الى فرج امراته اذ هو جامعها فانه يكون منه العمى ولا يقبلن
احدكم امراته اذ هو جامعها فانه يكون منه الصمم صمم الولد
ولا يديمن احدكم النظر في الماء فانه يكون منه ذهاب العقل
وهذا امثال مما ذكرناه واوردناه تنبيهك على اطلاعه على خواص
الاشياء بالاضافة الى امور الدنيا لتقيس به اطلاعه صلى الله عليه
وسلم

وسلم على ما يؤثر بالخاصية في السعادة والشقاوة فلا ترضى
لنفسك ان تصدق محمد بن زكريا الرازي المتطبب فيما يذكره
من خواص الاشياء في الحجامة والاحجار والادوية ولا
تصدق سيد البشر محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه
فيما يخبر به عنها وانت تعلم انه صلى الله عليه وسلم مكاشف
من العالم الاعلى بجميع الاسرار وهذا ينبهك على الاتباع
فيما لا يفهم وجه الحكمة فيه على ما ذكرناه في السر الاول
السر الثالث ان سعادة الانسان في ان يتشبه بالملائكة في
النزوع عن الشهوات وكسر النفس الامارة بالسوء ويبعد
عن مشابهة البهيمة المهملة سدى التي تسترسل في اتباع
الهوى بحسب ما يقتضيه طبعها من غير حاجز ومهما
تعود الانسان في جميع اموره ان يفعل ما يشاء من غير
حاجز الف اتباع مراده وهواه وغلب على قلبه صفة البهائم
فمصلحته ان يكون في جميع حركاته ملجما بلجام يصده عن
طريق الضلالة الى طريق الهداية كيلا تنسى نفسه العبودية وتلزم الصراط
المستقيم فيكون اثر العبودية ظاهرا عليه في كل حركة
اذ لا يفعل شيئا بحسب طبعه بل بحسب الامر فلا ينفك في

في جميع احواله في مصادمات الزمان عن ايثار البعض الامور
على بعض ومن القى زمامه الى يد كلب مثلا حتى لم يكن ترددّه
بحكم طبعه بل بحكم طبع غيره فنفسه اقوم الى قبول الرياضة
الحقيقية واقوى ممن جعل زمامه في يد هواه يسترسل
بها استرسال البهايم وتحت هذا ايضا سر عظيم في تزكية
النفس وهذه فائدة تحصل بوضع الشارع صلى الله عليه
وسلم كيف ما وضعه والفائدة الحكمية والخاصية لا تتغير
بالوضع وهذا تتغير بالوضع فان المقصود ان لا يكون مخلّى
مع اختياره وذلك يحصل بالمنع عن احد الجانبين اي جانب
كان وفي مثل هذا يتصور ان يختلف الشرايع لانه ثمرة الوضع
فيكفيك هذه التنبيهات الثلاث على فضل ملازمة الاتباع في
جميع الحركات والسكنات **فصل** هذا التحريض كله الذي ذكرته
انما هو في العادات واما في العبادات فلا اعرف لترك السنة
من غير عذر وجها الا كفرا خفيا او حمقا جليا بيانه ان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا قال تفضل صلوة الجماعة على صلوة
الفذ بسبع وعشرين درجة فكيف تسمح نفس المؤمن بتركها
من غير عذر نعم يكون السبب في ذلك اما حمق او غفلة بان

اي في الترك

لا

لا يتفكر في هذا التفاوت العظيم ومن يستحق غيره اذا اثر واحدا
على الاثنين كيف لا يستحق نفسه اذا اثر واحدا على سبع
وعشرين لا سيما فيما هو عماد الدين ومفتاح السعادة
الابدية واما الكفر فهو ان يخطر بباله ان هذا ليس
عطف على قوله اما حمق
كذلك وانما ذكره للترغيب في الجماعة والا فلا مناسبة
بين الجماعة وبين هذا العدد المخصوص من بين ساير
الاعداد وهذا كفر خفي قد ينطوي عليه الصدر وصاحبه
لا يشعر به فما اعظم حماقة من يصدق المنجم والطبيب في امور
ابعد من ذلك ولا يصدق النبي المكاشف باسرار الملكوت
فان المنجم اذا قال لك اذا انقضى سبعة وعشرون يوما من
اول تحويل طالع العالم اصابتك نكبة فاحترز في ذلك اليوم واجلس
في بيتك فلا تزال في تلك المدة تستشعر وتترك جميع اشغالك
ولو سألت المنجم عن سببه لقال لك انما قلت ذلك لان بين
درجة الطالع وموضع زحل سبعا وعشرين درجة فتتاخر
النكبة في كل درجة يوما او شهرا فاذا قيل لك هذا هوس
اذ لا مناسبة له فلا تصدق به فلا يخلو قلبك عن الاستشعار
اي كلام المنجم
وتقول في افعال الله تعالى عجايب لا نعرف مناسبتها وعللها

خواص لا تدركه وقد عرفت بالتجربة ان ذلك مما يؤثر وانك لم
يعرف مناسبته ثم اذا انت الامر الى خبر النبوة عن الغيب انكرت
مثل هذه الخواص وطلبت المناسبة الصريحة فهل لهذا سبب
الا شرك خفي لا بل كفر جلي اذ لا يحتمل سواه وسبب هذا التكاسل
كله انك لا يهمك امر اخرتك فان امر دنياك لما كان يهمك تحتاط
فيه بقول المنجم وبالاختلاج والفال وتحمل الامور البعيدة عن المناسبة
غاية البعد وتنقاد الى الاحتمالات البعيدة لان الشفيق
بسوء الظن مولع ولو تفكرت لعلمت ان هذا الاحتياط بالحظ
الابدي اليق فان قلت ففي اي جنس من الاعمال ينبغي ان تتبع
السنة فاقول في كل ما وردت فيه السنة والاخبار في ذلك
كثيرة وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم من احتجم يوم السبت
والاربعاء فاصابه برص فلا يلومن الا نفسه وقد احتجم
بعض المحدثين يوم السبت وقال هذا الحديث ضعيف فبرص
وعظم ذلك عليه حتى راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
فشكى اليه ذلك فقال لم احتجمت في اليوم السبت فقال لان
الراوي كان ضعيفا قال اليس كان قد نقل عني فقال تبت
يا رسول الله فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفاء

فاصبح

فاصبح وقد زال ما به وقال صلى الله عليه وسلم من احتجم يوم
الثلثاء لسبع عشر كان دواء السنة وقال صلى الله عليه وسلم
من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه وقال
صلى الله عليه وسلم اذا انقطع شسع احدكم فلا يمش في نعل
واحدة حتى يصلح شسعه وقال صلى الله عليه وسلم اذا ولدت
امراة فليكن اول ما تاكل الرطب فان لم يكن فتمر فانه لو
كان شيء افضل منه لاطعمه الله عز وجل مريم حين ولدت
عيسى عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتي احدكم
بالحلواء فليصب منه واذا اتي بالطيب فليمس منه وامثال
ذلك في العادات كثيرة ولا يخلو شيء منها عن سر
في ترتيب الاوراد وتنعطف على الامور العشرة اعلم ان
هذه العبادات التي فصلناها منها ما يمكن الجمع بينها كا
الصوم والصلوة والقراءة ومنها ما لا يمكن الجمع بينها كالقراءة
والذكر وكالقيام بحقوق الناس والصلوة فينبغي ان يكون
من اهم امورك توزيع اوقاتك على اصناف الخيرات من
صباحك الى مسائك ومن مسائك الى صباحك وتعلم ان مقصود
العبادات تاكيد الامر بذكر الله عز وجل والانابة الى دار الخلود

مطلب وقت اوراد

يعني تقطع شسع نعله

الا من قدم على الله سبحانه محبا له ولا يكون محبا له الا من كان
عارفا به مكثر الذكره ولا تحصل المعرفة والحب الا بالفكر والذكر
الدايم ولكن يدوم الذكر في القلب الا بالمذكرات وهي العبادات
المستغرقة للاوقات على التعاقب ولاختلاف اصنافها زيادة
تاثير في التذكير ومنع الملال وسقوط اثره عن القلب بالدوام
الذي ينتهي الى حد الاعتياد نعم ان كنت والها بالله عز وجل
مستغرقا به لم يفتقر الى ترتيب الاوراد بل ورد لك واحد وهو
ملازمة الذكر وما اراك تكون كذلك فان ذلك من اعز الامور
فاذا لم تكن والها مستهترا فعليك ان ترتب اورادك فاجل الاوراد
هو من وقت انتباهك من النوم الى طلوع الشمس وينبغي ان تجمع
في هذا الوقت الشريف بعد الفراغ من الصلوة بين الذكر والدعاء
والقراءة والتفكر فان لكل واحد اثرا في تنوير القلب ثم تعرف كيفية
ذلك وتفصيله من كتاب بداية الهداية وكتاب ترتيب الاوراد
وكذلك تفصل بين الطلوع والزوال وبين الزوال والغروب
وبين الغروب والعشاء فانها من اشرف الاوقات لان النشاط
انما يتوفر بان يتميز ورد كل وقت لتكون في كل وقت عبادة اخرى
تنتقل من بعضها الى بعض هذا ان كنت من العباد فان كنت متعلما

او

او متعلما او واليا فالاشتغال بذلك اولى في بياض النهار وافضل من
العبادات البدنية لان اصل الدين العلم الذي به يحصل التعظيم
لامر الله سبحانه والنفع الذي يصدر عن الشفقة على خلق الله
تعالى وكذلك ان كنت معيلا محترفا فالقيام بحق العيال بكسب الحلال
افضل من العبادة البدنية ولكن في جميع لا ينبغي ان تخلو وتنفك
عن ذكر الله بل يكون كالمستهتر بمعشوقه المدفوع الى شغل من
الاشغال لضرورة وقته فهو يعمل ببدنه وهو غايب عن عمله حاضر بقلبه
مع معشوقه حكي عن ابي الحسن الجرجاني انه كان يعمل بالمسحاة دايما وكان
يقول اعطينا اليد واللسان والقلب فاليد للعمل واللسان للخلق
والقلب للحق ولنقتصر على هذا القدر في قسم الطاعات الظاهرة ففيه
الكفاية ان شاء الله تعالى **القسم الثالث** في تزكية القلب عن
الاخلاق المذمومة قال الله تعالى قد افلح من تزكى وقال قد افلح من
زكاها والتزكية هي التطهير وقال رسول الله عم الطهور شطر الايمان
فافهم منه ان كمال الايمان بتزكية القلب عما لا يحبه الله وتحليته بما يحب
الله فالتزكية شطر الايمان وكيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة
فلنذكر الاخلاق المذمومة وهي كثيرة ولكن نحتاج ان نرد شعبها
الى عشر اصول **الاصل الاول** شره الطعام وهو من الامهات لان

لان المعدة ينبوع الشهوات اذ منها تتشعب شهوة الفرج ثم اذا
غلبت شهوة الماكول والمنكوح يتشعب منهما شره المال ولا
يتوصل الى قضاء الشهوتين الا به ويتشعب من شهوة المال
شهوة الجاه اذ يعسر كسب المال دونه ثم عند حصول المال والجاه
وطلبهما تزدحم الآفات كلها كالكبر والرياء والحسد والحقد
والعداوة وغيرها ومنبع جميع ذلك البطن فلهذا عظم
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الجوع فقال ما من عمل احب
الى الله من الجوع والعطش وقال لا يدخل ملكوت السماء
من ملأ بطنه وقال سيد الاعمال الجوع وقال الفكر نصف
العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال افضلكم عند الله
اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله كل اكول نؤوم شروب
وقال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم
لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث
لشرابه وثلث لنفسه وقال ان الشيطان ليجري من ابن ادم
مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وقال لعائشة
رضي الله عنها اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قالت وكيف
ذلك وكيف نديم قال بالجوع والظما وقال كلوا واشربوا في
انصاف

انصاف البطون فانه جزء من النبوة فصل لعلك تشتهي
ان تعلم السر في تعظيم الجوع ومكانته لطريق الآخرة فاعلم ان
له فوايد كثيرة ولكن يرجع افضلها الى سبع احدها صفاء
القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي
القلب قال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته
وفطن قلبه ولا يخفى ان مفتاح السعادة المعرفة ولا
تنال الا بصفاء القلب فلذلك كان الجوع قرع باب الجنة
الثانية رقة القلب حتى يدرك به لذة المناجاة ويتاثر
بالذكر والعبادة قال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين قلبه مخلاة
من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة ولا يخفى عليك
ان احوال القلب من الخشية والخوف والرقة والمناجاة و
الانكسار بالهيبة من مفاتيح ابواب الجنة واذا كان باب
المعرفة فوقه فالجوع قرع لهذا الباب الثالثة ذل النفس
وزوال البطر والطغيان منها فلا تنكسر النفس بشيء كالجوع
والطغيان داع الى الغفلة عن الله تعالى وهو باب الجحيم
والشقاوة والجوع اغلاق لهذا الباب وفي اغلاق باب
الشقاوة فتح باب السعادة ولذلك لما عرضت الدنيا

عليه صلى الله عليه وسلم قال اجوع يوما واشبع يوما فاذا
جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت الرابعة
ان البلاء من ابواب الجنة لان فيه مشاهدة طعم
العذاب وبه يعظم الخوف من عذاب الاخرة ولا يقدر
الانسان على ان يعذب نفسه بشيء كالجوع فانه لا يحتاج
فيه الى تكلف ويرتبط بها فوايد اخرى فيكون مشاهدا
بلاء الله تعالى على الدوام الخامسة كسر ساير الشهوات
التي هي منابع المعاصي قال علي رضي الله عنه ما شبعت
قط الا عصيت او هممت وقالت عايشة رضي الله عنها
اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع
ان القوم اذا شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا
السادسة خفة البدن للتهجد والعبادة وزوال النوم
المانع من العبادة فان راس مال السعادة العمر والنوم
ينقص العمر اذ يمنع من العبادة واصله كثرة الاكل قال ابو سليمان
الداراني من شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة العبادة
وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع
ظن ان الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات

وان

وان ساير المومنين يدورون حول المساجد وهو يدور حول
المزابل السابعة خفة المؤنة وامكان القناعة بقليل من
الدنيا وامكان ايثار الفقر فان من تخلص من شره بطنه
لم يفتقر الى مال كثير فيسقط عنه اكثر هموم الدنيا فمهما اراد
ان يستقرض لقضاء شهوة البطن استقرض من نفسه وترك
شهوته كان اذا قيل لابراهيم بن ادهم في شيء انه غال (مع قليل الوجود)
قال ارخصوه بالترك فصل لعلك تقول قد صار الشبع
والاكثار في الاكل عادة فكيف اتركها فاعلم ان ذلك يسهل
على من اراده بالتدريج وهو ان ينقص كل يوم من طعامه لقمة
حتى ينقص رغيفا في مقدار شهر فلا يظهر اثره ويصير التقليل
عادة ثم اذا اذعنت بالتقليل فلك نظر في الوقت والقدر
والجنس اما القدر فله ثلاث درجات اعلاها وهي درجة
الصديقين الاقتصار على قدر القوام وهو الذي يخاف
من النقصان منه على العقل والحياة وهو اختيار سهل التستري
وكان يرى ان الصلوة قاعدا مع الضعف بالجوع افضل من الصلوة
قايما مع قوة الاكل الثانية ان تقنع بنصف مد كل يوم وهو
ثلث البطن وعلى ذلك كان عمر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة

مطلب

اذ كان قوتهم في الاسبوع صاعا من شعير الثالثة المرة الواحدة
وما جاوز ذلك فهو مشاركة مع اهل العادة وعدول عن طريق السالكين
المسافرين الى الله تعالى وقد يتغير في المقادير باختلاف الاحوال
والاشخاص وغير ذلك فالاصل ان يمد اليد اذا صدق جوعه ويكف
وهو بعد صادق الاشتهاء وعلامة صدق الجوع ان يشتهي اي
خبز كان من غير ادم فاذا استثقل الاكل بغير ادم فهو علامة الشبع
واما الوقت ففيه درجات اعلاها ان يطوي ثلاثة ايام فما
فوقها فقد كان الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام وابراهيم
بن ادهم والثوري سبعا وبعضهم انتهى الى اربعين يوما وقيل
من طوى اربعين يوما ظهرت له لا محالة اشياء من عجائب الملكوت
ولا يمكن ذلك الا بتدريج واما الاوسط بان يطوي يومين و
الادنى ان ياكل كل يوم مرة واحدة فمن اكل مرتين لم تكن له حالة جوع
اصلا فيكون قد ترك فضيلة الجوع واما الجنس فاعلاه خبز البر
مع الادام وادناه خبز الشعير بلا ادام والمداومة على الادام
مكروه جدا قال عمر رضي الله عنه كلوا مرة خبزا ولحما ومرة
خبزا ولبنا ومرة خبزا وملحا ومرة خبزا قفارا ومرة ...
على الاحسن في اهل العادة واما السالكون الطريق فقد بالغوا

في

في ترك الشهوات جملة حتى كان بعضهم يشتهي الشهوة عشر
سنين او عشرين سنة وهو يخالف نفسه ويمنعها شهوتها
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا
بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام
وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام وقد شرحنا طريق
السلف في ترك الشهوات في كتاب كسر الشهوتين **الاصل**
الثاني شره الكلام وذلك لا بد من قطعه فان الجوارح
كلها تؤثر اعمالها في القلب لكن اللسان اخص به لانه يؤدي
عن القلب ما فيه من الصور فيقتضي كل كلمة صورة في القلب
محاكية لها فلذلك اذا كان كاذبا حصل في القلب صورة كاذبة
واعوج به وجه القلب اذا كان في شيء من الفضول مستغنى عنه
اسود به وجه القلب واظلم حتى ينتهي كثرة الكلام الى اماتة القلب
ولذلك عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امر اللسان فقال من
توكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة وسئل عن
اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج وقال وهل
يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال من صمت
نجا وقال له معاذ رضي الله عنه اي الاعمال افضل فاخرج لسانه

ووضع عليه يده وقال ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه
وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت
وقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه
ومن كثرت ذنوبه فالنار اولى به ولهذا كان الصديق رضي
الله عنه يضع حجرا في فيه ليمنع نفسه من الكلام فصل
اعلم ان اللسان عشرين آفة شرحناها في كتاب افات
اللسان ويطول ذكرها ويكفيك العمل بآية واحدة قال
الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف
او اصلاح بين الناس الآية ومعناه ان لا تتكلم فيما لا يعنيك
وتقتصر على المهم ففيه النجاة قال انس رضي الله عنه استشهد
غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع
فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه
ويمنع ما لا يضره وحد ما لا يعني هو الذي لو ترك لم يفت به
ثواب ولم ينجر به ضرورة ومن اقتصر من الكلام على هذا قل كلامه
فليحاسب العبد نفسه عند ذكره ما لا يعنيه انه لو ذكر الله تعالى
بدلا عن تلك الكلمة لكان ذلك كنزا من كنوز السعادة فكيف

يسمح

يسمح العقل بترك كنز مكنوز واخذ مدرة بهذا ولو لم يكن فيه
اثم فان كان فقد استبدل بترك كل كنز واخذ شعلة من النار
ومن جملة ما لا يعني حكاية الاسفار واحوال الاطعمة والبلاد
وعاداتهم واحوال الناس واحوال الصناعات والتجارات
وهو من جملة ما ترى الناس يخوضون فيه فصل لعلك
تريد ان تعرف تفصيل بعض هذه الآفات فاعلم ان الغالب
على الالسنة من جملة العشرين آفة خمس الكذب والغيبة
والممارات والمدح والمزاح الاولى الكذب وقد قال صلى الله
عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله
كذابا وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك
الناس منه ويل له ويل له وقيل يا رسول الله ايزني المؤمن ايسرق
المؤمن قال قد يكون ذلك فقيل له ايكذب فقال انما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال الا انبئكم باكبر
الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فقعد
قال وقول الزور وقال كل خصلة يطبع الله عليها المؤمن
الا الخيانة والكذب فصل اعلم ان الكذب حرام في كل شيء
الا الضرورة حتى قالت امرأة لولدها الصغير تعال حتى اعطيك

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما ذا كنت تعطينه لو جاء فقالت
تمرة قال اما لو لم تفعل كتبت عليك كذبة فليحذر الانسان الكذب
حتى المتخيل وحديث النفس فان ذلك تثبت في النفس صورة
معوجة حتى تكذب الرؤيا فلا تنكشف في النوم اسرار الملكوت
والتجربة تشهد بذلك نعم انما رخص في الكذب اذا كان الصدق
يفضي الى محذور آخر اشد من الكذب فيباح كما تباح الميتة
اذا ادى تركها الى محذور اشد من اكلها وهو فوات الروح قالت
ام كلثوم رضي الله عنها ما رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد الصلاح
والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته وهذه لان
اسرار الحرب لو وقف عليها العدو اجترأ او اسرار الزوج لو وقف
عليها المرأة نشأ منه فساد اعظم من فساد الكذب وكذلك
المتخاصمان تدوم بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن الاصلاح
بكذب فذلك اولى فهذا ما ورد فيه الخبر وفي معناه كذب الانسان
ليستر مال غيره عن ظلم او انكاره لستر عيبه بل انكاره لمعصية نفسه
فان المجاهرة بالفسق واظهاره حرام وانكاره جناية نفسه
على غيره لتطييب قلبه وانكاره مع زوجته ان تكون ضرتها احب
اليه

اليه وكل ذلك يرجع الى دفع المضرات والايباح لجلب زيادة
مال وجاه ومنه يكون كذب اكثر الناس ثم اذا اضطر الى الكذب
فليعدل الى المعاريض ما امكن حتى لا يعتاد نفسه الكذب
كان ابراهيم النخعي اذا طلب في الدار قال للخادمة قولي له اطلبه
في المسجد وكان الشعبي يخط دايرة ويقول للخادمة ضعي الاصبع
فيها وقولي ليس ها هنا وكان بعضهم يعتذر عند الامير
ويقول منذ فارقتك ما رفعت جنبي من الارض الا ما شاء
الله تعالى وكان بعضهم ينكر ما قال فيقول ان الله ليعلم ما قلت
من ذلك من شيء فيوهم النفي بحرف ما وهو يريد غير ذلك وتباح
المعاريض لغرض خفيف كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
عجوز وتحملك على ولد البعير وفي عيني زوجك بياض لان
هذه الكلمات اوهمت خلاف ما اراد فيباح مثل ذلك مع
النساء والصبيان لتطييب قلوبهن بالمزاح وكذلك من
يمتنع عن الطعام فلا ينبغي ان يكذب ويقول لا اشتهي اذا
كان يشتهي ويعدل الى المعاريض قال النبي صلى الله عليه وسلم
لامرأة قالت ذلك لا تجمعي كذبا وجوعا الآفة الثانية الغيبة
قال الله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال

وقال النبي صلى الله عليه وسلم الغيبة اشد من الزنا واوحى الله
تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من
يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال
صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم
باظفارهم فقيل لي هؤلاء الذين يغتابون الناس واعلم ان
حد الغيبة كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تذكر اخاك
بما يكرهه لو بلغه وان كنت صادقا سواء ذكرت نقصانا في
نفسه او عقله او ثوبه او فعله او قوله او نسبه او داره او دابته
او شيء مما يتعلق به حتى لقولك انه واسع الكم او طويل الذيل وحكي
ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ما اعجزه فقال
اغتبتموه واشارت عائشة رضي الله عنها بيدها الى امراة انها
قصيرة فقال اغتبتيها فبهذا يعلم ان الغيبة لا تقتصر على اللسان
بل لا فرق بان يحصل التفهيم باليد او بالرمز او بالاشارة او بالحركة
او بالمحاكات او التعريض المفهم كقولك ان بعض اقربائنا وبعض
اصدقائنا كذا واعلم ان اخبث الغيبة غيبة القراء يقولون
مثلا الحمد لله الذي لم يبتلينا بالدخول على السلطان لطلب الدنيا
او نعوذ بالله من قلة الحياء وهم يفهمون المقصود بذلك يقولون
ما احسن

ما احسن احوال فلان لولا انه تبلى بمثل ما ابتلي به امثالنا وهو
قلة الصبر عن الدنيا فنسال الله تعالى ان يعافينا وغرضهم
بذلك الغيبة فيجمعون بين الغيبة والريا واظهار التشبه اي القراء
باهل الصلاح في التحرز من الغيبة وهذه خباثة يفترون
بها ويظنون اي القراء انهم تركوا الغيبة وكذلك قد يغتاب واحد فيغفل
عنه الحاضر فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى ينتبه القوم
الى الاصغاء فيستعمل ذكر الله في تحقيق خبثه ويقول قلبي
مشغول بفلان تاب الله علينا وعليه وليس غرضه الدعاء بل
التعريف ولو قصد الدعاء لاخفاه ولو اغتم قلبه لاجل كتم عيبه
ومعصيته وكذلك قد يظهر تعجبا من كلام المغتاب حتى يزيد نشاطه المستمع
في الغيبة والمستمع احد المغتابين كذلك قاله رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكيف اذا حرك نشاطه بالتعجب وكذلك قد يقول
دع غيبة الناس وهو بقلبه غير كاره انما غرضه ان يعرف
بالورع وذلك لا يخرجه عن اثم الغيبة ما لم يكرهها بقلبه ويتورط اي يوقع
في اثم الريا بل يخرج من الاثم بان يكرهه قلبه ويكذب المغتاب
ولا يصدقه عليه لانه فاسق يستحق التكذيب والمسلم المذكور
بالغيبة يستحق احسان الظن به قال رسول الله صلى الله عليه

ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وماله وان يظن به ظن السوء
فالغيبة بالقلب حرام كما انها باللسان حرام الا ان يضطر الى
معرفته بحيث لا يمكنه التجاهل فصل انما يرخص في الغيبة في
ستة الاول منها المتظلم يذكر ظلم الظالم عند السلطان ليدفع
ظلمه فاما عند غير سلطان وعند غير من يقدر على الدفع فلا اغتيب
الحجاج عند بعض السلف فقال ان الله لينتقم للحجاج ممن اغتابه
كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه الثاني الذي يستعان به على تغيير
المنكر يجوز ان يذكر ايضا الثالث المستفتي اذا افتقر الى ذكر
السؤال كما قالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني
وهذا كله شكاية ولكن انما يحل اذا كانت فيها فائدة الرابع
تحذير المسلم من شر الغير اذا علم انه لو لم يذكر لقبلت شهادته
كما يذكر المزكي او يعامل او يناكح فيتضرر به فيذكر لمن يتوقع
تضرره به فقط الخامس ان يكون معروفا باسم فيه عيب
كالاعمش والاعرج فالعدول الى اسم اخر اولى السادس
ان يكون مجاهرا بذلك العيب لا يكرهه كالمخنث وصاحب
الماخور وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق
المعلن بالفسق والامام الجائر وهؤلاء يجمعهم انهم مجاهرون

لا

مطلب في كف النفس عن الغيبة

لا يكرهون الذكر والصحيح ان ذكر الفاسق بمعصية يخفيها ويكره
ذكرها لا يجوز من غير عذر فصل علاج النفس في كفها
عن الغيبة ان يتفكر في الوعيد الوارد فيها في قوله صلى الله عليه
وسلم ان الغيبة اسرع في حسنات العبد من النار في اليبيس
وورد ان حسنات المغتاب تنقل الى ديوان المظلوم بالغيبة
فينظر في قلة حسناته وكثرة غيبته وانه ينتهي الى افلاسه
على القرب ثم يتفكر في عيوب نفسه فان كان فيه عيب فيشتغل
بنفسه عن غيره وان كان قد ارتكب صغيرة فيعلم ان ضرره من
صغيرة نفسه اكثر من ضرره من كبيرة غيره وان لم يكن فيه عيب
فيعلم ان جهله بعيوب نفسه اعظم عيب ومتى يخلو الانسان
من عيب ثم ان خلا عنه فليشكر الله تعالى بدلا من الغيبة فان ثلب
الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب فليحذر منه ثم مهما سبق
لسانه الى الغيبة فينبغي ان يستغفر الله تعالى ويذهب الى المغتاب
ويقول ظلمتك فاعف عني فيتحلله فان لم يصادفه فليكثر من
الثناء عليه ومن الدعاء له ومن الحسنات حتى اذا نقل بعضها
الى ديوان المظلوم بقي له ما يكفيه فهي كفارة الغيبة الآفة
الثالثة المراء والمجادلة قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء

مطلب المراء والمجادلة

وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بني له بيت
في ربض الجنة وهذا لان الترك على المحق اشد وقال صلى الله عليه وسلم
اى البناء في اعلى الجنة في الاول وفي اسفل الجنة في الثاني
لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وهو محق وحد
المراء هو الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ
واما في المعنى والباعث عليه تارة الترفع باظهار الفضل وسببه
خبث الرعونة واما السبعية التي في الطبع المتشوقة الى
اى الجاذبة
تنقيص الغير وقهره فالمراء والمجادلة تقوية لهذين الخبثين
المهلكين بل الواجب ان يصدق ما سمعه من الحق ويسكت
عما سمعه من الخطاء الا اذا كان في ذكره فائدة دينية وكان
اى اللطف
يسمع منه فيذكره برفق لا بعنف الآفة الرابعة المزاح و
الافراط فيه يكثر الضحك ويميت القلب ويورث الضغينة ويسقط
المهابة والوقار قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة
اى يسقط
تضحك بها جلساؤه فيهوي بها الى النار ابعد من الثريا وقال اى النبي
لا تمار اخاك ولا تمازحه واعلم ان اليسير منه في بعض الاوقات
اى المجادلة
لا باس به لاستجماع النساء والصبيان تطييبا لقلوبهم فعل ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه قال اني لا امزح ولا اقول
الا حقا ويعسر على غيره ضبط ذلك وقد روي انه سابق عائشة
اى النبي صلى الله · اى المزاح

رضي الله عنها بالعدو وقال للعجوز لا تدخل الجنة عجوز اي لا يبقى
في الجنة عجوز وقال للصبي يا ابا عمير ما فعل النغير والنغير ولد العصفور
كان يلعب به الصبي وقال صلى الله عليه وسلم لصهيب وهو ياكل
التمر أتاكل التمر وانت رمد وقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم
رسول صلى الله عليه وسلم فهذا وامثاله من المفاكهة لا باس
بها بشرط الا يتخذها عادة الآفة الخامسة المدح كما جرت
اى صاحب الحشمة
به عادة الناس عند المحتشمين من ابناء الدنيا وكما جرت
عادة القصاص والمذكرين فانهم يمدحون من يحضر مجالسهم
من الاغنياء وفي المدح ست آفات اربع على المادح واثنتان
على الممدوح اما المادح فالآفة الاولى فيه انه قد يفرط فيذكره
بما ليس فيه فيكون كذابا الثانية انه قد يظهر له من الحب
ما لا يعتقده فيكون منافقا مرائيا الثالثة انه يقول ما لا يحققه
فيكون مجازفا كقوله انه عدل وانه ورع وغير ذلك مما لا يتحقق
اى كذابا
مدح رجل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال
ويحك قطعت عنق صاحبك ان كان لا بد من كون احدكم مادحا
اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا احسبه الله
ان كان يرى انه كذلك الرابعة انه يفرح الممدوح وربما كان
يعني يظن · اى بالمدح

ظالما فيمضي باد خال السرور على قلبه وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله ليغضب اذا امدح الفاسق وقال الحسن من دعا
لفاسق بالبقا، فقد احب ان يعصى الله تعالى في ظالم
والفاسق ينبغي ان يذم لتفتر رغبته في الظلم والفسق واما
الممدوح فاحدى الافتين فيه ان تحدث فيه كبرا او اعجابا
وهما مهلكان ولذلك قال قطعت عنق صاحبك الثانية
ان يفرح به فيفتر عن العمل ويرضى عن نفسه وقال صلى الله
عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من
ان يثني عليه في وجهه واما اذا سلم المدح من هذه الافات
في المادح والممدوح فلا باس به وربما ندب اليه قال صلى الله
عليه وسلم لو وزن ايمان ابي بكر رضي الله عنه بايمان العالمين
لرجح وقال لو لم ابعث لبعثت يا عمر ولقد اثنى على كثير من
الصحابة اذ علم ان ذلك يزيد في نشاطهم ولا يورثهم عجبا
فصل حق على الممدوح ان يتامل في خطر الخاتمة ودقايق
الريا، وافات الاعمال ويتذكر ما يعرف من نفسه من القبايح
الباطنة لا سيما في افكاره وحديث نفسه مما لو عرفه المادح
لكف من المدح وينبغي ان يظهر كراهة المدح ويكره بالقلب

واليه

والى الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه
المداحين وقال بعضهم لما اثني عليه اللهم ان عبدك يتقرب
الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه
لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني بما يقولون
واجعلني خيرا مما يظنون والله اعلم الاصل الثالث في
الغضب اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة ومن غلب عليه فقد نزع
الى عرق الشيطان فانه مخلوق من النار وكسر شدة الغضب
من المهمات في الدين قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد
بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
وقال الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال
ما غضب احد قط الا اشفى على جهنم وقال رجل يا رسول الله
اي شيء اشد فقال غضب الله قال فما يبعدني من غضب
الله قال ان لا تغضب وقال رجل لرسول صلى الله عليه مرني
بعمل واقلل فقال عليه السلام لا تغضب فاعاد عليه مرارا
وهو يقول لا تغضب فكيف لا تعظم افة الغضب وهو يحمل
في الظاهر على الضرب والشتم واطالة اللسان وفي الباطن

مطلب الغضب

ما يبعدني ع

على الحقد والحسد واظهار السوء والشماتة والعزم على افشاء
السر وهتك الستر والفرح بمصيبة المغضوب عليه والغم
بمسرته وكل واحد من هذه الخبائث مهلك فصح عليك
المغضوب في صفة الغضب وظيفتان احديهما كسره بالرياضة
ولست اعني بكسره اماطته فانه لا يزول اصله ولا ينبغي ان يزول
بل ان زال وجب تحصيله لانه آلة القتال مع الكفار والمنع
من المنكرات وكثير من الخيرات وهو كالكلب الصائد انما رياضته
في تاديبه حتى ينقاد للعقل والشرع فيهيج باشارة العقل
والشرع ويسكن باشارتهما لا بحالة غيرهما كما ينقاد الكلب
للصياد وهذا ممكن بالمجاهدة وهو اعتياد الحلم والاحتمال
مع التعرض للمغضبات الثانية ضبط الغضب عند الهيجان
بالكظم ويعين عليه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم انه لا سبب
لغضبه الا انه انكر ان يجري الشيء على مراد الله لا على مراده وهذا
غاية الجهل والآخر ان يعلم ان غضب الله عليه اعظم من غضبه
وان فضل الله اكثر وكم عصاه وخالف امره فلم يغضب عليه
ان خالف غيره فليس امره الزم على غيره واهله ورفقته
من امر الله عليه واما العمل فهو ان يقول اعوذ بالله من الشيطان

الرحيم

الرحيم اذ يعلم ان ذلك من الشيطان فان لم يسكن جلس ان
كان قايما ويضطجع ان كان قاعدا كذلك ورد الخبر باختلاف
الحال انه يؤثر في التسكين وان لم يسكن فتوضأ قال صلى
الله عليه وسلم ان الشيطان خلق من النار وانما تطفى النار
بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا وقال الا ان الغضب
جمرة في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه
فمن وجد من ذلك شيئا فليضرب خده بالارض وهذه اشارة فليلصق
الى تمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع ليكسر الكبر فانه
السبب الاعظم في الغضب ليعلم انه عبد ذليل فلا يليق به الكبر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بالحلم درجة
الصايم القايم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته
وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه
امضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة امنا وايمانا وقال ما من
جرعة احب الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد
الا ملأ الله عز وجل جوفه ايمانا **الاصل الرابع** في الحسد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات
كما تاكل النار الحطب وقال ثلاث لا ينجو منهن احد الظن

والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت
فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وقال
(النبي عم) دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي
الحالقة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو
لنعمتي متسخط لقضائي غير راض لقسمتي التي قسمت بين عبادي
واعلم ان الحسد حرام وهو ان تحب زوال النعمة من غيرك
او تحب نزول مصيبة به ولا تحرم المنافسة وهو ان تغبطه
وتشتهي لنفسك مثله ولا تحب زوالها عنه ويجوز ان تحب
زوال النعمة ممن يستعين بها على الظلم والمعصية لانك لا تريد
زوال النعمة وانما تريد زوال الظلم وعلامته انه لو ترك الظلم
والمعصية لم تحب زوال نعمته وسبب الحسد اما الكبر واما
العداوة واما خبث النفس اذ يبخل بنعمة الله على عباده
من غير غرض له فيه **فصل** اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة
للقلب ومرض القلب لا يداوى الا بمعجون العلم والعمل فاما العلاج
العلمي فهو ان يعلم ان حسده يضره ولا يضر محسوده بل ينفعه
اما انه يضره فهو انه يبطل حسناته ويعرضه لسخط الله عز وجل
اذ يسخط قضاء الله (اي الحاسد) ويستقبح نعمته التي قسمها (اي يبخل) من خزائنه على
عباده

عباده وهذا ضرره في دينه واما ضرره في دنياه فهو انه
لا يزال في غم دائم وكمد لازم وذلك مراد عدوه منه فان
اهم اغراض عدوه (اي عدم الزوال من النعم) واكمل النعمة عليه حزن حاسده فقد
كان يريد المحنة لعدوه فحصلت له والمحسود لا يخلو قط
من النعم والمحنة اذ لا يزال اعداؤه او واحد منهم في نقمة
واما انه ينفع عدوه والاخرة فلان النعمة لا تزول بالحسد
وانه يضاعف حسناته اذ تنقل حسنات الحاسد اليه (اي المحسود)
لا سيما اذا اطلق اللسان فيه فانه مظلوم من الحاسد فقد
طلب الحاسد زوال النعمة الدنيا منه فاضاف (الله تعالى) اليه نعمة الآخرة
وحصل لنفسه مع عذاب الدنيا عذاب الآخرة فهو كمن رمى
عدوه بحجر فلم يصب حلقه وعادت الى عينيه فاعمته وزادت
عليه شماتة عدوه ابليس به فانه فاتته النعمة وفاته
الرضاء بالقضاء ولو رضي به لكان فيه ثواب لا سيما اذا
حسد على العلم والورع فان محب العالم يعظم ثوابه واما
العمل فهو ان يعرف حكم الحسد وما يقتضاه من قول وفعل
فيخالفه ويعمل بنقيضه فيثني على المحسود ويظهر الفرح بنعمته
ويتواضع له وبذلك يعود المحسود صديقا له ويزايل الحسد

ويتخلص عن اثمه وألمه قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم **فصل**
لعلك نفسك لا تطاوعك على التسوية بين عدوك وصديقك
بل تكره مساءة الصديق دون العدو وتحب نعمة الصديق
دون العدو ولست مكلفا بما لا تطيق فان لم تقدر على
ذلك فتخلص من الاثم بامرين احدهما ان لا تظهر الحسد
بلسانك وجوارحك واعمالك الاختيارية بل تخالف موجبها
والثاني ان تكره من نفسك حبها زوال نعمة الله تعالى عن عبد
من عباده فاذا اقترنت الكراهة عن باعث الدين بحب
زوال النعمة الذي اقتضاه الطبع اندفع عنك الاثم وليس
عليك تغيير الطبع فان ذلك لا تقدر عليه في اكثر الاحوال
وعلامة الكراهية ان تكون بحيث لو قدرت على ازالة
نعمة لم تقدم على الازالة مع حبك لها ولو قدرت على
معونته في دوام نعمته او في زيادتها فعلت مع كراهيتك
لذلك فاذا كنت كذلك فلا اثم عليك فيما يقتضاه طبعك
فان الطبع انما يصير مقهورا في حق المستهتر بالله الذي
انقطع نظره عن الدنيا وعن الخلق بل علم ان المنعم عليه

ان كان

ان كان في النار فما وقع بهذه النعمة وان كان في الجنة
فاي نسبة لهذه النعمة الى الجنة بل يرى كل الخلق عباد
الله تعالى فيحبهم لانهم عباد محبوبه ويحب ان يظهر اثر
نعمة محبوبه على عباده وهذه حالة نادرة لا تدخل تحت
التكليف **الاصل الخامس** البخل وحب المال واعلم ان
البخل من المهلكات العظيمة قال الله تعالى ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وقال الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والبخل
فانه اهلك من كان قبلكم وقال صلى الله عليه وسلم السخاء
شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة
تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع الحديث وقال شر ما في الرجل
شح هالع وجبن خالع وقال ان الله تعالى يبغض البخيل
في حيوته ويحب السخي عند موته وقال السخي الفاجر احب
الى الله من العابد البخيل وقال لا يجتمع في مؤمن البخل
وسوء الخلق **فصل** اعلم ان اصل البخل حب المال وهو

مذموم ومن لا مال له لا يظهر بخله بالامساك لكن يظهر بحب
المال ورب رجل سخي لكنه يحب المال ويسخو به ليذكر بالسخاء
وذلك ايضا مذموم لان حب المال يلهي عن ذكر الله عز وجل
ويصرف وجه القلب الى الدنيا ويحكم علاقته فيها حتى يثقل عليه
الموت الذي فيه لقاء الله تعالى قال الله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى
انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى الهاكم التكاثر وقال
صلى الله عليه لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وقيل اي امتك
اشر فقال الاغنياء وقال من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه
اخذ حتفه وهو لا يدري وقال رجل يا رسول الله اني لا احب
الموت قال هل لك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب
الرجل مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان اخره احب
ان يتخلف وقال اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم
وقال الناس ما خلف وقال تعس عبد الدرهم تعس عبد
الدينار تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش **فصل** اعلم
ان المال ليس مذموما من كل وجه وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال الدنيا مزرعة
الاخرة

الاخرة وكيف يكون مذموما مطلقا والعبد مسافر الى الله
تعالى والدنيا منزل من منازل سفره وبدنه مركبه ولا يمكنه
السفر الا به ولا يبقى البدن الا بمطعم وملبس ولا وصول
اليهما الا بالمال لكن من فهم غاية المال وعلم انه آلة
علف الدابة لسلوك الطريق لم يعرج عليه ولم يأخذ الا قدر
الزاد فان اقتصر على ذلك سعد به كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم لعائشة رضي الله عنها اذا اردت اللحوق بي فاقنعي
عن الدنيا بزاد الراكب ولا تخلعي قميصا حتى ترقعيه وقال
اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وان زاد على قدر الكفاية
هلك كما قال عليه السلام من اخذ من الدنيا فوق ما
يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وكذلك المسافر اذا اخذ ما
يزيد على زاد الطريق مات تحت ثقله ولم يبلغ مقصد سفره
فالزيادة على قدر الكفاية مهلكة في ثلاثة اوجه احدها
ان يدعو الى المعاصي فانها تمكن منها ومن العصمة ان لا
تقدر وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء والصبر مع القدرة
اشد والثاني ان يدعو الى التنعم بالمباحات وهو اقل الدرجات
فينبت على النعيم جسده ولا يمكنه الصبر عنه وذلك لا يمكن

لمستدامة الا بالاستعانة بالخلق والالتجاء الى الظلمة وذلك
يدعو الى النفاق والكذب والرياء والعداوة والبغضاء
ويتشعب منه جملة المهلكات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
حب الدنيا راس كل خطيئة والثالث انه يلهى عن ذكر الله
عز وجل الذى هو اساس السعادة الاخروية اذ يزدحم على
القلب خصومة الفلاحين ومحاسبة الشركاء والتفكر
فى تدبير المزرعة وتدبير استنماء المال وكيفية تحصيله اولا
وحفظه ثانيا واخراجه ثالثا وكل ذلك مما يسود القلب
ويزيل صفاءه ويلهى عن الذكر كما قال تعالى الهيكم التكاثر الى
اخر السورة **فصل** لعلك تشتهى ان تعرف مقدار الكفاية و
تقول ما من غنى الا ويدعى ان ما فى يده دون مقدار الكفاية
اى اقل مقدار الكفاية
فاعلم ان الضرورة انما تدعو الى المطعم والملبس فقط فان
تركت التجمل فى الملبس فيكفيك فى السنة ديناران لشتائك
وصيفك فتتخذ بهما ثوبا خشنا يدفع عنك الحر والبرد وان
تركت التنعم فى طعامك والشبع من الطعام فى جميع
احوالك فيكفيك فى كل يوم مد فيكون فى السنة خمس
مائة رطل ويكفيك لادامك ان لم تتوسع فيه واقتصرت

على

على اليسير منه فى بعض الاوقات ثلثة دينار على التقريب فى
السنة عند رخاء الاسعار فاذا بلغ كفايتك خمسة دنانير
وخمس مائة رطل وهو القدر الذى نقدره اذا فرضنا نفقة
الزوج فان كنت معيلا فخذ لكل واحد منهم مثل ذلك فاذا
كنت كسوبا وكسبت فى اليوم ما يكفيك ليومك فانصرف
واشتغل بعبادتك فان طلبت الزيادة صرت من اهل الدنيا
وان لم تكن كسوبا وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت
اى التكسب
ضيعة يدخل منها هذا القدر دائما فارجو ان لا تصير بذلك
من اهل الدنيا لا سيما فى هذه الاعصار وقد تغيرت القلوب
واستولى عليها الشح وانصرفت الهمم عن تفقد ذوى الحاجات
والفاقات هذا اولى من السؤال وهذا بشرط ان يكون يودك
ان تتخلص من التعرض الى الجوع والبرد لتطرح الضيعة وتتركها
ولا تكون كارها للموت ولا محبا للضيعة ولتكن الضيعة
وهو مدخل طعامك كالخلاء الذى هو موضع فراغك فانما
تريده للضرورة ويودك لو تخلصت منه لتخرج عن النهى
فى قوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا فانك
اذا قصدت القواعد للاستعانة بها على الدين كنت متزودا

اي يقسم

مسافر الامر جا على الضيعة وربما لا يحتمل بعض الاشخاص القناعة
بالقدر الذى ذكرت الابتلاء ومشقة ولا حرج في الدين فى
ازدياد الضعيف على هذه القدر اذ لا يصير من ابناء الدنيا
ولا يخرج من حزب ابناء الاخرة والمسافرين الى الله تعالى ما دام
يقصد بذلك دفع الالم الشاغل عن الذكر والعبادة دون
التلذذ والتنعم في الدنيا ثم ما فضل من الطعام صرفه الى
اللباس والادام فلا تبقى بعد هذه الرخصة داعية الى الزيادة
الا التنعم او التصدق او الاستظهار لو اصاب المال آفة اما
التنعم فاعراض عن الله تعالى واشتغال بالدنيا واما التصدق
فترك المال افضل منه قال عيسى صلوات الله عليه يا طالب
الدنيا لتبر تركك الدنيا ابر وابر واما الاستظهار بخوف
آفة فذلك لامر دله وهو سوء الظن لا اوله بل ينبغي ان تدفع
ذلك بحسن الظن بتدبير الله عز وجل وهو ان تتصور ان تصيب
المال آفة من حيث لا يتوقع فيتصور ان ينفتح للرزق ايضا
باب من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وان فرض على التقدير خلافه فلا ينبغي
ان يعتقد العبد ان سلامته طول عمره عن البلاء محتوم

بل

بل البلاء بعد الذى يصقل القلب ويزكيه ويخلصه من
الخبايث كلها ولهذا كان موكلا بالانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل فاتكل على فضل الله واعلم انك لا يجيئك
الا ما فيه خيرك وخيرتك فان مدبر الملك والملكوت
اعلم بمصالحك **فصل** هذا الذى ذكرته تقريب يمكن
الزيادة عليه والنقصان منه بالاجتهاد في بعض الاشخاص
وفي بعض الاحوال ولكن تعتقد قطعا ان المال
كالدواء النافع منه قدر مخصوص والافراط فيه
قاتل والقرب من الافراط ممرض ان لم يقتل فعليك بالتقليل
والحذر من الافراط والرفاهية فذلك خطر عظيم وليس
في التقليل الا مشقة قليلة في ايام قلائل وذو الحزم لا يثقل
عليه ان يجوع نفسه لوليمة الفردوس ليعلم ان اللذة (اي ذو العقل)
على قدر الجوع **فصل** لعلك ترغب في معرفة حد البخل
اذ الشخص الواحد قد يشك انه بخيل ام لا ويختلف الناس
فيه فاعلم ان حد البخل منع ما يوجبه الشرع او المروة
ولا تظن ان من سلم الى زوجته وقريبه ما فرضه القاضي
وضايق وراء ذلك في لقمة فليس ببخيل وان كان له ذلك

مطلب حد بخل

اى لا تظن ليس ببخيل بل بخيل

في الشرع فان منع الشرع في هذه الامور قطع خصومة البخلاء
بتقدير مقدار يطيقه البخيل ولذلك قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم
تبخلوا بل لا بد من مراعاة المروة ودفع قبح الاحدوثة
وذلك يختلف بالاشخاص وقدر المال ومن له مال وامكنه
ان يقطع هجو شاعر وذمه عن نفسه بقدر يسير فلم يفعله
فهو بخيل وان لم يكن ذلك واجبا عليه اذ قال صلى الله عليه
وسلم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة والتحقيق فيه
ان المال خلق لفائدة لاجلها يمسك وقد يبذله ايضا لفائدة
فمهما ظهر له ان فائدة البذل اعظم من فائدة الامساك ثم شق
عليه البذل فهو بخيل محب للمال والمال لا ينبغي ان يحب لذاته
بل لفائدته فيصرفه الى اقوى فائدة وحفظ المروة افضل واقوى
من التنعم بالاكل الكثير مثلا وقد يحمل البخل وحب المال على ان يجهل
اقوى الفائدتين ولا يهتدي وذلك غاية البخل فان علم وعسر
عليه البذل فهو بخيل ايضا ولو بذل تكلفا بل انما يبرا عن البخل
بان لا يثقل عليه بذل المال فيما ينبغي ان يبذل فيه عقلا وشرعا
واما درجة السخاء فلا تنال الا ببذل ما يزيد على واجب
الشرع والمروة جميعا **فصل** لعلك تريد ان تفهم علاج
البخل

البخل فاعلم ان دواءه معجون مركب من العلم والعمل اما العلم
فهو ان يعلم ما في البخل من الهلاك في دار الاخرة والمذمة
في الدنيا ويعلم ان المال لا يتبعه ان يبقى الى قبره وانما المال
لله تعالى مكنه منه ليصرفه الى اهم اموره ويعلم ان امساك
المال ان كان للتنعم في الشهوات فحسن الاحدوثة وثواب
الاخرة اكثر منه فقصد الشهوة سجية البهائم وهلكه
سجية العقلاء وان كان ليتركه لولده فكانه يترك ولده
بخير ويقدم على ربه بشر وهذا عين الجهل كيف وولده ان كان
صالحا فالله تعالى يكفيه وان كان فاسقا فيستعين به على المعصية
ويكون هو سبب تمكينه منها فيتضرر هو وينتفع غيره واما العمل
فهو ان يحمل نفسه على البذل تكلفا ولا يزال يفعل ذلك حتى
يصير له عادة ومن نوادر حيله فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم
وتوقع المكافاة حتى يرغب في البذل وبعد ذلك يتدرج
ايضا الى قمع هذه الصفات **الاصل السادس** الرعونة وحب الجاه
قال الله سبحانه وتعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا الآية وقال عليه السلام حب
المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل

فصل حب جاه وحب المال

وقال عليه السلام ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم
باكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم وقال
عليه السلام في مدح الخمول رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه
له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا
النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في
صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الخلق لوسعهم وقال
سليمان بن حنظلة بينما نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه
اذ راه عمر رضي الله عنه فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين
ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقال الحسن
ان خفق النعال خلف الرجل قل ما يثبت معه قلوب الحمقاء وقال
ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه فقد عرفت
بهذا مذمة الشهرة والجاه الآن يشتهر الله عبدا في الدين من غير
طلب منه كما يشتهر الانبياء والخلفاء الراشدين والاولياء والعلماء

فصل حقيقة الجاه هي ملك القلوب ليتسع لذي الجاه على حسب
مراده وتطلق اللسان بالثناء عليه وتسعى في حاجته وكما ان معنى
المال ملك الدراهم ليتوصل بها الى الاغراض كذلك معنى الجاه ملك
القلوب لكن الجاه احب لان التوصل به الى المال ايسر من التوصل

بالمال



بالمال الى الجاه ولانه محفوظ عن ان يسرق ويغصب او يتعرض
له الآفة ولانه يسير وينمو من غير تكلف فان من ملك قلبه
باعتقاد التعظيم فلا يزال يثني ويقتنص قلوب ساير الناس
لصاحبه وفيه سر آخر وهو ان الجاه معناه العلو والكبرياء
والعز وهي من الصفات الالهية والالهية محبوبة للانسان
بالطبع بل هو الذ الاشياء عنده وذلك لسر خفي في مناسبة
الروح للامور الالهية وعنه العبارة بقوله قل الروح
من امر ربي فهو امر رباني شغفه من حيث طبيعته الاستبداد
والانفراد بالوجود وهو حقيقة الالهية اذ ليس مع الله
موجود بل الموجودات كلها كالظل من نور القدرة فلها رتبة
التبعية لا رتبة المعية فليس في الوجود مع الله تعالى غيره
وكان الانسان يشتهي ذلك بل في كل نفس ان يقول انا ربكم
الاعلى لكن اظهره فرعون واخفاه غيره لكن ان فاته الانفراد
بالوجود فيشتهي ان لا يفوته الاستعلاء والاستيلاء على الموجودات
كلها ليتصرف فيها على حسب مراده وهو الالهية لكن تعذر على
الانسان ذلك في السموات والكواكب والبحار والجبال فاشتهى
الاستيلاء على جميعها بالعلم لان العلم نوع استيلاء ايضا كما ان

من عجز عن وضع الاشيا العجيبة فيشتهى ان يعرف كيفية الوضع
وكذلك يشتهى ان يعرف عجايب البحر وما تحت الجبال ويتصور
ان تسخر له الاعيان التي على وجه الارض من الحيوان والمعادن
والنبات فيحب ان يملكها ويتصرف فيها ويتصور ان يتسخر له الانسان
فيحب ان يستسخره بواسطة قلبه ويملك قلبه بالقاء التعظيم فيه
ويحصل التعظيم بان يعتقد فيه كمال الخصال فان الاجلال
يتبع اعتقاد الكمال فلهذا يحب الانسان ان يتسع جاهه
وينتشر صيته حتى الى البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطأها ولا يرى
اهلها الا ان كل ذلك يناسب صفات الربوبية وكلما صار اعقل
كانت هذه الصفة عليه اغلب وشهواته البهيمية فيه اضعف
فصل لعلك تقول فاذا كان ذلك فلم كان طلب الرفعة مذموما
وهو من نتايج العقل وخواص الروح المناسبة للامور الربانية
فاعلم ان الرفعة الحقيقية طلبها محمود غير مذموم اذ مطلوب
الكل هو القرب من الله تعالى عز وجل وذلك هو الرفعة والكمال
اذ هو عز لا ذل فيه وغنا لا فقر معه وبقا لا فنا بعده ولذة
لا كدورة لها وطلب ذلك محمود وانما المذموم طلب الكمال
الوهمي دون الحقيقي والكمال الحقيقي يرجع الى العلم والحرية
والقدرة

والكمال الوهمي يرجع الى مناصب الدنيا

والقدرة وهو ان لا يكون مقتدرا بغيره فلا يتصور للعبد
حقيقة القدرة فان قدرته انما تكون بالمال والجاه وذلك
كمال وهمي فانه امر عارض لا بقا له ولا خير فيما لا بقا
له بل قيل اشد الغم عندي في سرور يتقص عنه صاحبه
انتقالا كيف وهذه القدرة العارضة مع سرعة انقضائها
بالموت وما قبلها فانه لا تصفو عن الكدورات في توهمها
كمالا قدر اله بل الكمال في الباقيات الصالحات التي بها القرب
من الله سبحانه ولا تزول بالموت بل تتضاعف تضاعفا غير محدود
وذلك هو المعرفة المحققة بذات الله تعالى وصفاته وافعاله
وهو العلم بكل الموجودات اذ ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله
لكن قد ينظر فيها الناظر لا من حيث انها افعال الله تعالى كالذي
ينظر في التشريح لغرض الطب او ينظر في هيئة العالم لمعرفة الاستدلال
باحكام النجوم فهذا لا قدر له ومن الكمال الحقيقي الحرية وهو
انقطاع علاقتك عن جميع علائق الدنيا بل عن كل ما يفارقك
بالموت والاقتصار في الالتفات الى ما لازمك الذي لا بد لك منه
وهو الله تعالى كما اوحى الى داود يا داود انا بدك اللازم فالزم
بدك والعلم والحرية من الباقيات الصالحات وهما كمالان

حقيقيان والمال والبنون زينة الحيوة الدنيا وهي كمالات
وهميات والمنكوسون هم الذين عكسوا الحقيقة فاعرضوا
عن طلب الكمال الحقيقي واشتغلوا بطلب الكمال الوهمي وهم
الذين يحترقون عند الموت بنيران الحسرة اذ يشاهدون
انهم خسروا الدنيا والاخرة اما الآخرة فلانهم لم يطلبوها
ولم يحصلوا اسبابها من المعرفة والحرية واما الدنيا فلانها
ودعتهم وانقلبت الى اعدائهم وهم ورثتهم ولا تظنن
ان العلم والايمان يفارقانك بالموت بل ينهدم محل العلم اصلا
وليس الموت عدما حتى تظن انك اذا عدمت عدمت
صفاتك بل معنى الموت قطع علاقة الروح من البدن الى
ان تعاد اليه واذا تجرد عن البدن فهو على ما كان عليه قبل
الموت من العلم والجهل وفهم هذا طويل وتحته اسرار لا يحتمل
هذا الكتاب كشفها **فصل** اذا عرفت حقيقة الجاه وماهيته
وانه كمال وهمي فقد عرفت ان طريق العلاج في قمع حبه من
القلب اذ علمت ان اهل الارض لو سجدوا لك مثلا لما بقي الى
مدة قريبة لا الساجد ولا المسجود له كيف ويشتغل الدهر عليك
بان يسلم لك الملك في محلتك فضلا عن قريتك او بلدتك فكيف

ترضى

ترضى ان تترك ملك الابد والجاه الطويل العريض عند الله تعالى
وعند ملائكته بجاهك الحقير المنغص عند جماعة من الحمقى لا يغنون
ولا يغنى عنك ولا يملكون لك موتا ولا حياة ولا رزقا ولا اجلا
نعم ملك القلوب كملك الاعيان وانت محتاج منه الى قدر يسير
لتحرس نفسك عن الظلم والعدوان وعما يشوش عليك بالك
وفراغك التي تستعين بها على دينك لهذا القدر مباح بشرط
القناعة كما في المال وبشرط ان لا تكتسبه بالمرايات بالعبادة
فذلك حرام كما سبق وان لا تكتسبه بالتلبيس بان تظهر من
نفسك ما انت خال عنه فلا فرق بين من يملك القلوب بالتلبيس
وبين من يملك الاموال فاذا حصلت الجاه بطريقه واقتصرت
على قدر التحرز من الافات فترجى لك السلامة الا انك في خطر
عظيم اكثر من خطر المال لان قليل الجاه يدعو الى كثيره فانه اقرض من
المال ولذلك لا يسلم القرين بجانب الآمل على مجهول لا يعرف كما
فهمت ذلك من الاخبار **فصل** من البواعث على طلب الجاه
حب المدح فان الانسان يتلذذ به من ثلثة اوجه احدها انه
يشعر صاحبه بكمال نفسه والشعور بالكمال لذيذ لان الكمال من
الصفات الالهية والثاني انه يشعر بملك قلب المادح وقيام

للجاه عنده وكونه مسخراً له الثالث انه يشعر صاحبه بان المادح
يسعى الى مدحه فيشتهر بسببه جاهه فكذلك اذا صدر المدح
من بصير بصفات الكمال واسع الجاه والقدرة في نفسه
وكان على ملاء من الناس تضاعف لذة المدح وتزول
اللذة الاولى بان يصدر عن غير اهل البصيرة فانه لا يشعر
بالكمال وتزول الثانية بان يصدر عن خسيس لا قدرة
له لان ملك قلبه لا يعتد به وتزول الثالثة بان يمدح في
الخلوة لا في الملاء من حيث يتوقع انه ايضا يمدح
في الملاء واما الذم فانه مكروه لنقيض هذه الاسباب
واكثر الخلق اهلكهم حب المدح وكراهية الذم وحملهم
ذلك على المراياة وفنون المعصية وعلاج ذلك ان يتفكر في
اللذة الاولى فان مدح بكثرة المال والجاه ويعلم انه كمال
وهمي وهو سبب فوات كمال حقيقي فهو جدير بان يحزن
لاجله لا ان يفرح به وان مدح بكمال العلم والورع فينبغي
ان يكون فرحه بوجود تلك الصفات وشكره لله تعالى عليها لا
يشكر غيره هذا ان كان متصفا به واما ان كان غير متصف به
ففرحه به حماقة كفرح من يثني عليه غيره ويقول ما اطيب

العظ

العظ الذي في احشائك وامعائك وهو يعلم ما فيها من الاقذار
والانتان وهذا حال من يفرح بالمدح بالورع والزهد والعلم
وهو يعلم من باطن نفسه انه خال عنه واما اللذة الثانية
والثالثة وهو لذة الجاه عند المادح وغيره فعلاجه ما
ذكرناه في حب الجاه **الاصل السابع** حب الدنيا واعلم ان حب
الدنيا راس كل خطيئة وليس الدنيا عبارة عن المال
والجاه فقط بل هما حظان من حظوظ الدنيا وشعبتان
من شعبها وشعب الدنيا كثيرة ودنياك عبارة عن حالتك قبل الموت
واخرتك عبارة عن حالتك بعد الموت وكل ما لك فيه حظ قبل
الموت فهو من دنياك الا العلم والمعرفة والحرية وما يبقى معك
بعد الموت فانها ايضا لذيذة عند اهل البصائر ولكنها ليست
من الدنيا وان كانت في الدنيا ولهذه الحظوظ الدنيوية تعاون
وتعلق بما فيه الحظ وتعلق باعمالك المتعلقة باصلاحها
فهي ترجع الى اعيان موجودة والى حظك منها والى شغلك في
اصلاحها اما الاعيان فهي الارض وما عليها قال الله تعالى
انا جعلنا ما على الارض زينة لها الآية ومطلوب الادمي من
الارض اما عينها فللمسكن والحرث واما نباتها فللتداوي

حب الدنيا

والاقتيات واما معادنها فللنقود والاواني والالات واما
حيواناتها فللمركب والمأكل واما الادميون منها فللمنكح و
الاستسخار وقد جمع الله سبحانه ذلك في قوله زُيِّنَ لِلنَّاسِ
حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ الآية واما حظك منها فقد عبر
القران الكريم عنه بالهوى فقال وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى
وقال تفصيلا له اِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ الآية وذلك يندرج فيه
جميع المهلكات الباطنة من الغل والكبر والحسد والرياء و
النفاق والتفاخر والتكاثر وحب الدنيا وحب الثناء وهي
الدنيا الباطنة واما الاعيان هي الدنيا الظاهرة واما شغلك
في اصلاحها فهي جملة الحرف والصناعات التي الخلق مشغولين
بها وقد نسوا فيها انفسهم ومبدأهم ومعادهم لاستغراقهم
باشغالهم وانما شاغلهم العلاقتان فان علاقة القلب بحب
حظوظها وعلاقة البدن بشغل اصلاحها فهذه هي الحقيقة
التي حبها راس كل خطيئة وانما خلقت للتزود منها الى الاخرة
ولكن كثرت اشغالها وفنون شهواتها انست الخلق سفرهم و
مقصدهم فقصروا عليها همتهم فكانوا كالحاج في البادية

يشتغل

يشتغل بتعهد الناقة وعلفها وتسمينها عن الرفقة حتى
يفوته الحج وتهلكه سباع البادية فمع هذه الدنيا
المذمومة المهلكة هي بعينها مزرعة الاخرة في حق من
مثل — ذم دنيا
عرفها اذ يعرف انها منزل من منازل السايرين الى الله عز
وجل وهي كرباط بني على الطريق اعد فيها العلف والزاد
واسباب السفر فمن تزود منها الآخرة واقتصر منها على
قدر الضرورة التي ذكرناها في المطعم والملبس والمنكح
وساير الضرورات فقد حرث وبذر وسيحصد في الآخرة
ما زرع ومن عرج عليها واشتغل بلذاتها هلك ومثل الخلق
فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت الى جزيرة فامرهم
مثل — صورة اهل دنيا
الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وخوفهم المقام واستعجال
السفينة فتفرقوا فيها فبادر بعضهم وقضى حاجته ورجع
الى السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا ووقف بعضهم
يب ينظر في ازهار الجزيرة وانوارها وطرايف احجارها وعجايب
غياضها ونغمات طيورها فرجع الى السفينة فلم يجد الا
مكانا ضيقا حرجا واكب بعضهم على تلك الاصداف والاحجار
واعجبه حسنها فلم تسمح نفسه الا بان يستصحب شيئا منها فلم يجد

في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ثقلا وضيقا فلم
يقدر على رميها ولم يجد لها مكانا فحملها على عنقه وهو
ينوء باعبائها وتولج بعضهم الغياض ونسي المركب
واشتغل بالتفرج في تلك الازهار والتناول من تلك
الثمار وهو في تفرجه غير خال من خوف السباع والحذر
من السقطات والنكبات فلما رجع الى السفينة فلم
يصادفها فبقي على الساحل فافترسته السباع ومزقته
الهوام فهذه صورة اهل الدنيا بالاضافة الى الدنيا والاخرة
فتاملها واستخرج وجه الموازنة فيها ان كنت ذا بصيرة **فصل**
حد
من عرف نفسه وعرف ربه وعرف الدنيا وعرف الاخرة شاهد
بنور البصيرة وجه عداوة الدنيا للاخرة اذ ينكشف له قطعا
ان لا سعادة في الاخرة الا لمن قدم على الله سبحانه عارفا
به محبا له فان المحبة لا تنال الا بدوام الذكر وان المعرفة
لا تنال الا بدوام الطلب والفكر ولا يتفرغ لهما الا من
اي المعرفة والحب
اعرض عن اشغال الدنيا ولا تستولي المعرفة والحب
على القلب ما لم يفرغ من حب غير الله تعالى ففراغ القلب
عن غير الله ضرورة لاشتغاله بحب الله تعالى ومعرفته ولن يتصور
ذلك

ذلك الا بمعرض عن الدنيا فاخذ منها بقدر الزاد والضرورة
هلة
فان كنت من اهل البصيرة فقد صرت من اهل الذوق والمشاهدة
وان لم تكن كذلك فكن من اهل التقليد والايمان وانظر الى
[illegible] اي اهل البصيرة والذوق والمشاهدة
تحذير الله سبحانه اياك بالكتاب والسنة وقد قال عز وجل
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
فيها الاية وقال تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على
الاخرة الاية وقال عز اسمه فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا
الاية ولعل ثلث القران في ذم الدنيا واهلها وقد قال صلى
الله عليه وسلم الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ما كان لله
تعالى منها وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار
الاخرة وهو يسعى لدار الغرور وقال الدنيا حلوة خضرة وان
الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وقال ان الله عز وجل
لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ
خلقها وقال من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله
في شيء والزم قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه وشغلا
لا يتفرغ عنه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ
منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم يا ابا
هريرة

الا اريك الدنيا جميعها قلت نعم فاخذ بيدي الى مزبلة فيها رؤس
اناس وعذرات وخرق وعظام وقال يا ابا هريرة هذه
الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتامل آمالكم ثم هي اليوم عظام
بلا جلد ثم ستصير رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتهم
اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم
فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت
رياشهم ولباسهم فاصبحت فالرياح تصفقها وهذه
العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف
البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك وقال صلى الله عليه وسلم
ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم
الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون و
يصومون ويأخذون هنية من الليل فاذا عرض لهم شي
من الدنيا وثبوا عليه وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب
الدنيا والاخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في
اناء واحد وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا
فانها اسحر من هاروت وماروت وقال عيسى عليه السلام
يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين

كما

كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وقال
عيسى عليه السلام للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش
ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا
والاخرة وروي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا
فرآها في صورة عجوز شوهاء عليها من كل زينة فقال لها
كم تزوجت فقالت لا احصيهم فقال اطلقوك ام ماتوا
عنك فقالت لا بل قتلت كلهم فقال عليه السلام بؤسا
لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين فصل
اعلم ان من ظن انه يلابس الدنيا ببدنه ويخلو عنها بقلبه
فهو مغرور وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل صاحب الدنيا
كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا يبتل
قدماه وكتب علي رضي الله تعالى عنه الى سلمان الفارسي رضي الله
عنه مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض
عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت
من فراقها وكن انس ما تكون بها احذر ما تكون منها فان
صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنه مكروه وقال
عيسى عليه السلام مثل الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد

شربا ازداد عطشا حتى يقتله واعلم ان من اطمأن الى الدنيا
وهو يتيقن انه راحل عنها هو في غاية الحماقة بل مثل الدنيا مثل
دار هيأها صاحبها وزينها للضيافة الواردين والصادرين
فدخل واحد داره فقدم اليه طبقا من ذهب عليه بخور و
ريحان ليشمها ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه فجهل رسمه وظن انه
وهب ذلك له فلما تعلق به قلبه استرجع منه فضجر وتوجع (اي على انه عدم ملكه)
ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب
وانشراح صدر فكذلك سنة الله في الدنيا فانها دار ضيافة
على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها ما ينتفعون به
كما ينتفع بالعارية ثم يتركونها لمن يلحق بعدهم بطيبة نفس
من غير تعلق القلب بها لا كمن يتعلق القلب بها **الاصل الثامن**
في الكبر قال الله سبحانه كذلك يطبع الله (اي يطبع قلب فرعون) على كل قلب متكبر جبار وقال
تعالى فبئس مثوى المتكبرين وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته (اي قطعة عن رحمتي) وقال
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة
من خردل من كبر وقال يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة
في صور الذر (اي صغير النمل) يطؤهم الناس لهوانهم على الله عز وجل وقال

صلى

صلى الله عليه وسلم لبلال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على
الله سبحانه ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه (اي لازم على عقابه وعيده)
وقال اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبر وقال لا ينظر الله تعالى الى
من جر ثوبه خيلاء وقال (النبي عم) من تعظم في نفسه واختال في مشيته
لقي الله وهو عليه غضبان وقال (النبي عم) في فضيلة التواضع ما زاد الله
عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال (النبي عم) طوبى
لمن تواضع في غير مسكنة (ومذلة) واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه
خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد لله رفعه الله الى السماء
السابعة وقال ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا
رحمكم الله وقال (النبي) انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة
لاهله يدفع به الكبر عن نفسه **فصل** حقيقة الكبر ان يرى نفسه
فوق غيره في صفات الكمال (اي بالتخيل) فيحصل فيه نفخة وهزة من هذه
الرذيلة والعقيلة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من
نفخة الكبر ولذلك استاذن بعضهم عمر (في زمان خلافته) رضي الله عنه ليعظ الناس
بعد الصبح فقال لا اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا ثم تهلكه النفخة (اي نفخ الكبر)

يصدر منها افعال على الظاهر كالترفع في المجالس والتقدم في الطريق
والنظر بعين التحقير والغضب اذا لم يبدأ بالسلام وقصر في حوائجه
وتعظيمه ويحمله على ان يأنف اذا وعظ ويعنف اذا وعظ ويجحد

اي يحمل انكار الحق

الحق اذا ناظر وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير وانما عظم الكبر حتى
لا يدخل الجنة من في قلبه ذرة منه لان تحته ثلاثة انواع من الخبائث
العظيمة اولها انه منازعة الله تعالى في خصوص صفة اذ الكبرياء
رداؤه كما قال فان العظمة لا تليق الا به ومن اين تليق العظمة با
لعبد الذليل العاجز الذي لا يملك من امر نفسه شيئا فضلا عن امر غيره
الثانية انه يحمل على جحد الحق وازدراء الخلق قال صلى الله عليه
وسلم في بيان الكبر الكبر من سفه الحق وغمص الناس والانفة
من الحق تغلق باب السعادة وكذا استحقار الخلق وقال بعضهم
ان الله سبحانه خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقرن منها شيئا
فلعل رضا الله فيه وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن منها شيئا
صغيرة كان او كبيرة فلعل سخط الله تعالى فيها وخبأ ولايته
في عباده فلا تحقرن احدا منهم فلعله ولي الله تعالى الثالثة
انه يحول بينه وبين جميع الاخلاق المحمودة لان المتكبر لا يقدر
ان يحب للناس ما يحب لنفسه ولا يقدر على التواضع وعلى

او اقل منها ام
ولعل

ترك

وعلى ترك الانفة والحسد والغضب ولا يقدر على كظم الغيظ
وعلى اللطف في النصح وعلى ترك الرياء وبالجملة فلا يبقى خلق
مذموم الا ويضطر المتكبر الى ارتكابه ولا خلق محمود الا
ويضطر الى تركه **فصل** العلاج الجلي لقمع رذيلة الكبر ان
يعرف الانسان نفسه وان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة
قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ويفهم قوله تعالى قتل
الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره فليعلم انه خلق من كتم العدم
وانه لم يك شيئا مذكورا فلا شيء اقل من العدم ثم خلقه من
تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ليس لها سمع
وبصر وحياة وقدم ثم خلق له ذلك كله وهو بعد في غاية النقصان
يستولي عليه الامراض والعلل وتتضاد فيه الطبايع فيهدم
بعضها بعضا فيمرض كرها ويجوع كرها ويعطش كرها ويريد
ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان ينسى الشيء فيذكره ويكره الشيء
فينفعه ويشتهي الشيء فيضره لا يأمن في لحظة من ان يختلس
روحه او عقله او صحته او عضو من اعضائه ثم آخره الموت
والتعرض للعقاب والحساب فان كان من اهل النار فالخنزير

اي اهلاك الانسان

علاج الكبر

وقذره

اي الانسان

اي من ان يقبض

خير منه فمن اين يليق به الكبر وهو عبد مملوك لا يقدر على شيء
قال الحسن البصري لبعض من يتبختر في مشيته ما هذه مشية
من في بطنه خرء فكيف يليق به الكبر بمن يغسل العذرة بيده
مرتين في كل يوم وهو حامل لها على الدوام فصل علاج الكبر
على التفصيل بالنظر الى ما به التكبر وهي اربع خصال الاولى العلم
قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء وقال لا تكونوا من
جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم وقل ما يخلو العالم من
آفة الكبر فانه يرى نفسه فوق الناس بالعلم الذي هو اشرف
فضيلة عند الله عز وجل فيتكبر تارة بالدين بان يرى نفسه عند الله
عز وجل افضل من غيره وتارة في الدنيا بان يرى حقه واجبا
على الناس ويتعجب منهم ان لم يتواضعوا له وعلاجه بان يسمى جاهلا
اولى لان العلم الحقيقي ان يعرف من ربه ونفسه وخطر خاتمته وحجة
الله عز وجل عليه ويلاحظ الخاتمة ولا يرى جاهلا الا ويقول انه
عصى الله تعالى بجهل وانا عصيته بعلم فحجة الله تعالى علي آكد قال
ابو الدرداء رضي الله عنه من ازداد علما ازداد وجعا قال
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم يكون قوم يقرؤن القرآن

فلا يجاوز

فلا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ
منا ومن اعلم منا ثم التفت وقال اولئك منكم ايتها الامة
اولئك هم وقود النار ومن هذا اشتد حذر السلف حتى
انه صلى حذيفة مرة رضي الله تعالى عنه بقوم فلما سلم قال
لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رأيت في
نفسي انه ليس في القوم افضل مني وينبغي ان يتذكر الانسان
انه كم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه وتحقره
ثم كانت خاتمة عمر كما كانت وذلك المسلم لعله ارتد بعده فكان
المتكبر من اهل النار والمتكبر عليه من اهل الجنة وما من عالم
الا ويتصور ان يختم له بالسوء ويختم للجاهل بالسعادة اي العبرة بالخواتم
فكيف يكون التكبر مع معرفة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم
يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور
بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل النار فيقولون
ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه
فاي عالم سلم عن ذلك فلم لا يشغله خوفه عن التكبر وقد
قال تعالى في بلعم باعورا وهو من اكابر العلماء فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث الاية لانه اخلد الى الشهوة
اسماعيل

يصولون

وقال بعض علماء اليهود كمثل الحمار يحمل اسفارا فلينظر في الاخبار
التي وردت في علماء السوء حتى يغلب خوفه كبره وانما يبقى
الكبر مع هذا لمن اشتغل بعلوم غير نافعة في الدين كالجدل
واللغة وغيرهما او لمن اشتغل بالعلم وهو خبيث الباطن
فازداد خبثه بسببه السبب الثاني الورع والعبادة
ولا يخلو المتعبد في باطنه عن كبر وقد ينتهي الحماقة ببعضهم
الى ان يحمل مصائب الناس ومضراتهم على كرامته فمن آذاه
فمات او مرض يقول قد رايتم ما فعل الله سبحانه به وربما يقول
عند الايذاء ستعرفون ما يجري عليه وليس يدري الاحمق ان
جماعة من الكفار ضربوا الانبياء وآذوهم ثم تمتعوا في
الدنيا ولم ينتقم منهم بل ربما اسلم بعضهم فسعد في الدنيا
والاخرة فكانه يرى نفسه افضل من الانبياء وموذيه اخس
من الكفار وحق العابد اذا نظر الى عالم ان يتواضع له لجهله
وان نظر الى فاسق ان يقول لعل فيه خلقا باطنيا يستر معاصيه
الظاهرة ولعل في باطني حسدا او رياء او خبثا خفيا
مقتني الله سبحانه عليه فلا يقبل اعمالي الظاهرة وان الله
سبحانه ينظر الى القلوب لا الى الصور ومن الخبث الباطن

الكبر

الكبر اذ روي ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني
اسرائيل لكثرة فساده جلس الى عابد بني اسرائيل وقال
لعل الله تعالى يرحمني ببركته فقال العابد في نفسه كيف
يجلس معي مثل هذا الفاسق وقال له قم عني فاوحى الله
سبحانه الى نبي زمانه مرهما ليستأنفا العمل فقد غفرت
للخليع واحبطت عمل العابد وروي ان رجلا وطئ رقبة
عابد من بني اسرائيل وهو ساجد فقال له ارفع فوالله
لا يغفر لك فاوحى الله سبحانه اليه ايها المتألي علي بل لا يغفر
الله لك فالاكياس يحذرون من ذلك ويقولون ما كان يقوله
عطاء السلمي مع شدة ورعه كان اذا هبت ريح او صاعقة
يقول ما يصيب الناس ذلك الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا
وقال بعضهم في عرفات انا ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني
فيهم فانظر كم بين من يخلص العمل والورع ثم يخاف على نفسه
وبين من يتكلف اعمالا ظاهرة لعلها لا تخلو عن الرياء
والآفات ثم يمتن على الله سبحانه بعمله السبب الثالث
الكبر بالنسب وعلاجه ان ينظر في نسبه فان اباه نطفة
مذرة قذرة وجده التراب ولا اقذر من النطفة ولا اذل

مطلب الكبر بالنسب

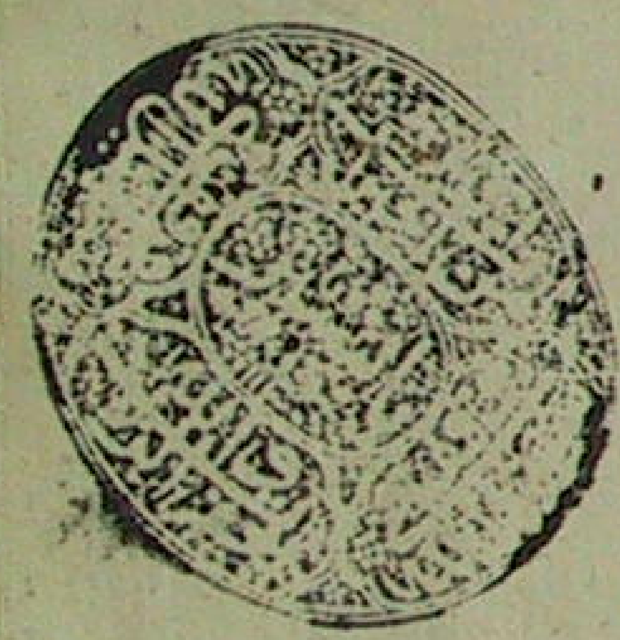
من التراب ثم المفتخر بالنسب يفتخر بخصال غيره ولو نطق اباؤه
لقالوا من انت في نفسك وانما انت دودة من بول من له
خصلة حسنة ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي نسب لقد
صدقت ولكن بئس ما ولدوا وكيف يتكبر بنسب ذوي
الدنيا ولعلهم صاروا حممة في النار يودون لو كانوا خنازير
او كلابا ليتخلصون مما هم فيه وكيف يتكبر بنسب اهل الدين
وهم في انفسهم ما كانوا يتكبرون وكان شرفهم بالدين ومن
الدين التواضع وكان احدهم يقول ليتني تبنة وليتني كنت
طائرا اكلهم قد شغلهم خوف العاقبة عن الكبر مع عظم علمهم
وعملهم فكيف يتكبر بنسبهم من هو عاطل عن خصالهم



السبب الرابع الكبر بالمال والجمال والاتباع والكبر بهم جاهل
فانها امور خارجة عن الذات اعني المال والاتباع وكيف
يتكبر بخصلة تمتد اليها يد السارق والغاصب وكيف يفتخر
بالجمال وهي قشر يغسله والجسد مزبلة ولو تفكر الجميل في اقذار
باطنه لادهشه ذلك عن تزويق ظاهره ولو لم يتعهد الجميل
بدنه اسبوعا بالغسل والتنظيف لصار اقذر من الجيفة من
تغير النكهة والصنان ورائحة العذرة وكراهية الوسخ و

والمخاط

والمخاط والرجيع فمن اين للمزبلة ان يفتخر بجمالها والانسان
بالحقيقة مزبلة فانه منبع الاقذار والنجاسات الاصل
التاسع في العجب قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم
الآية وقال عز وجل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وقال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقال عليه السلام
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وقال ابن مسعود رضي الله عنه الهلاك في اثنتين القنوط
والعجب وانما جمع بينهما لان القانط لا يطلب السعادة
لقنوطه والمعجب لا يطلبها لظنه انه قد ظفر بها وقال صلى الله



عليه وسلم لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو اعظم من ذلك العجب
العجب وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا
فقالت اذا ظن انه محسن ونظر رجل الى بشر بن منصور
وهو يطيل الصلوة ويحسن العبادة فلما فرغ قال لا يغرنك
ما رايت مني فان ابليس عبد الله تعالى وصلى آلاف سنين
ثم صار الى ما صار اليه فصل حقيقة العجب استعظام النفس
وخصالها التي هي من النعم والركون اليها مع نسيان اضافتها
الى المنعم والامن من زوالها فانه اضاف اليه ان راه لنفسه

عند الله حقا وعلامة شيء ذلك اذلال الأمر في الخبر ان صلوة المدل
لا ترتفع فوق راسه وعلامة ادلاله ان يتعجب من رد دعائه و
يتعجب من استقامة حال من يؤذيه والعجب هو سبب الكبر ولكن
الكبر يستدعي متكبرا عليه والعجب مقصورة على الانفراد واما من
راى نعمة الله تعالى على نفسه بمال او علم او غيره وهو خائف على
زواله وفرح بنعم الله تعالى عليه من حيث انه من الله عليه فليس بمعجب
بل العجب ان يامن وينسى الاضافة الى المنعم **فصل** العجب جهل محض
فعلاجه العلم المحض فانه ان اعجب بقوة وجمال او امر مما ليس
يتعلق باختياره فهو جهل اذ ليس ذلك اليه فينبغي ان يتعجب ممن
اعطاه ذلك من غير استحقاق وينبغي ان يتفكر في زوال ذلك بالخوف
على القرب بادنى مرض وضعف وان اعجب بعلمه وعمله وما يدخل
تحت اختياره فينبغي ان يتفكر في تلك الاعمال بماذا تيسرت
له وانها لا تتيسر الا بعضو وقدرة وارادة ومعرفة وان جميع
ذلك من خلق الله عز وجل واذا خلق الله العضو والقدرة
وسلط الدواعي وصرف الصوارف كان حصول الفعل ضروريا
وليس للمضطر ان يعجب بما يحصل منه اضطرارا وهو مضطر الى
اختياره فانه يفعل ان شاء ولكن ان يشاء الله شاء او لم
يشاء

يشاء مهما خلقت فيه المشية قال الله سبحانه وتعالى وما تشاؤن
الا ان يشاء الله فمفتاح العمل انجزام المشية وانصراف الدواعي
الصارفة مع كمال القدرة والاعضاء وكل ذلك بيد الله تعالى
ارايت لو كان بيد ملك مفتاح خزانة فاعطاك فاخذت منها
اموالا اتعجب بجوده اذ اعطاك المفتاح بغير استحقاق او بكمالك
في اخذه واي كمال في الاخذ بعد التمكن **فصل** من العجايب
ان يعجب العاقل بعلمه وعقله حتى يتعجب ان افقره الله تعالى واغنى
بعض الجهال ويقول كيف منع النعمة على العاقل وحرمني فيقال
له كيف رزقك العلم والعقل وحرمهما الجاهل فهذه عطية منه
افتجعلها سببا لاستحقاق عطية اخرى بل لو جمع لك بين العقل
والغنى وحرم الجاهل عنهما جميعا كان ذلك اولى بالتعجب وما
تعجب العاقل منه الا كتعجب من اعطاه الملك فرسا واعطى غيره
غلاما ويقول كيف يعطي الغلام لفلان ولا فرس له ويحرمني
وانا صاحب الفرس وانما صار صاحب الفرس بعطائه فيجعل
عطاؤه سبب استحقاق عطاء اخر وهو عين الجهل بل العاقل
يكون ابدا تعجبه من فضل الله تعالى وجوده من حيث اعطاه
العلم والعقل ووفقه للعبادة من غير تقديم استحقاق منه

مطلب العجب بعلم وعقل

وحرم غيره ذلك وسلط عليه دواعي الفساد واضطره اليه
بصرف دواعي الخير عنه وذلك بغير جريمة سابقة منه واذا شاهد
ذلك تحقيقا غلب عليه الخوف اذ قد يقول قد انعم الله علي في
الدنيا من غير وسيلة وخصني به دون غيري ومن يفعل هذا بغير
سبب فيوشك ان يعذب ويسلب النعم ايضا بغير جناية وسبب
فماذا اصنع ان كان ما افاضه علي من النعم مكرا واستدراجا
كما قال الله تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما
اوتوا اخذناهم بغتة وكما قال تعالى سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون **الاصل العاشر** في الرياء قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم
عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن وقال تعالى انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وقال تعالى فمن كان يرجوا
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك الآية واراد به الاخلاص
وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر
قيل وما هو قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا جازى
العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فانظروا هل
تجدون عندهم الجزاء وقال في حديث طويل يقال للغازي و
العالم والمنفق اذا قال فعلت يقال كذبت اردت ان يقال

فلان

فلان عالم او شجاع او جواد فيذهب به الى النار وقال
صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو
قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقد قال تعالى
من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى
الاغنياء عن الشرك وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم
احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لكيلا يرى الناس
انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ
ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق ولهذا قال
عمر رضي الله عنه لرجل طأطأ رقبته يا صاحب الرقبة ارفع
رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب
وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة باربعة
اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر (اي الخارج عن الدين) يا خاسر اذهب فخذ اجرك
ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال قتادة اذا راءى العبد يقول
الله تعالى انظروا كيف يستهزئ بي وقال الحسن صحبت اقواما ان
كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها نفعته ونفعت اصحابه
وما يمنعه منها الا الشهرة **فصل** حقيقة الرياء طلب المنزلة
في قلوب الناس بالعبادة واعمال الخير وما يرائي به ستة اصناف

الاول الرياء من جهة البدن وبه اظهار النحول والصفار
ليظهر به السهر والصيام واظهار الحزن ليظهر به انه شديد الاهتمام
بامر الدين واظهار شعث الشعر ليظن انه لشدة استغراقه بالدين
ليس يتفرغ لنفسه واظهار ذبول الشفتين ليستدل به على صومه
وخفض الصوت ليستدل به على ضعفه من شدة المجاهدة الثاني
الرياء بالهيئة كحلق الشارب واطراق الراس في المشي
والهدوء في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وتغميض العينين
ليظن انه في الوجد والمكاشفة او غايص في الفكر الثالث
الرياء في الثياب كلبس الصوف والثوب الخشن وتقصيره الى
قريب من الساق وتقصير الكمين وترك الثوب مخرقا ووسخا
ليظن انه مستغرق الوقت عن الفراغ له ولبس المرقعة والسجادة
ليظن انه من الصوفية مع افلاسه عن حقايق التصوف
ولبس الدراعة والطيلسان وتوسيع الاكمام ليظن انه عالم
والتقنع فوق العمامة بازار ولبس الجوارب ليظن انه متقشف
لشدة ورعه من غبار الطريق ثم منهم من يطلب المنزلة في قلوب
اهل الصلاح فيلازم الثوب الخلق ولو كلف لبس ثوبا جديدا حسن
مما يباح في الشرع ولبس السلف لكان عنده كالذبح اذ يخاف

ان

ان يقول الناس قد بدا له في الزهد ومنهم من يطلب المنزلة من
السلاطين والتجار ولو لبس خلقان الثياب لازدروه
ولو لبس فاخر الثياب لم يعتقدوا زهده فيطلب المرقعة
المصبوغة والفوطة الرقيقة والاصواف الرقيقة فيكون
ثيابهم في القيمة والنفاسة كثياب الاغنياء في اللون والهيئة
كثياب الصلحاء ولو كلفوا ان يلبسوا الخلق لكان عندهم كالذبح
خيفة عن السقوط عن اعين الاغنياء ولو كلفوا لبس
الخز والقصبي والدبيقي ومما يباح لبسه وقيمته دون قيمة ثيابهم
لاشتد عليهم خوفا من سقوط منزلتهم عن قلوب الصلحاء اذ يقولون
بدا له من الزهد الرابع الرياء بالقول كرياء اهل الوعظ و
التذكير وتحسين الالفاظ وتسجيعها والنطق بالحكمة والاخبار
وكلام السلف مع ترقيق الصوت واظهار الحزن مع الخلو عن
حقيقة الصدق والاخلاص في الباطن ليظن به ذلك وكالتحلي
حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والمبادرة الى الحديث انه صحيح
او سقيم ليظن به غزارة العلم وكتحريك الشفتين بالذكر والامر
بالمعروف بمشهد الناس مع خلو القلب عن التفجع بالمعصية
وكاظهار الغضب على المنكرات والاسف على المعاصي مع خلو

القلب عن الثنا عليه الخامس الريا بالعمل كتطويل القيام وتحسين
الركوع والسجود واطراق الراس وقلة الالتفات والتصدق
والصوم والحج والاخبات في المشي مع ارخا الجفون مع
ان الله تعالى عالم ان باطنه لو كان خاليا ما فعل شيئا من ذلك
بل تساهل في الصلاة وتسرع في المشي وقد يفعل ذلك في المشي
فاذا شعر باطلاع غيره عليه عاد الى السكينة كي يظن به الخشوع
السادس الريا بكثرة التلامذة والاصحاب وكثرة ذكر الشيوخ
ليظن انه لقي شيوخا كثيرة وكمن يحب ان يزوره العلما والسلاطين
ليقال انه ممن يتبرك به فهذه مجامع ما يرايا به في الدين وكل ذلك
حرام بل هو من الكباير واما طلب المنزلة في قلوب الناس بافعال
ليست بالعبادات واعمال الدين فليست بحرام ما لم يكن فيه
تلبيس كما ذكرنا في طلب الجاه واهل الدنيا قد يطلبون الجاه بكثرة
المال والغلمان وحسن الثياب الفاخرة وحفظ الاشعار
وعلم الطب والحساب والنحو واللغة وغير ذلك من الاعمال الاحوال
ولم يحرم ذلك ما لم يتبعه الى الايذا بالتكبر والى اخلاق اخرى مذمومة
وانما استقصينا اقسام الريا لانه اغلب الاخلاق الذميمة على
النفوس ومن لا يعرف الشر ومواقعه لا يمكنه ان يتقيه فصل

الريا

الريا على درجات خبيثة احدها ان يلبس في الملا غير
ما يلبسه في الخلوة وكالذي ينفق في الضيافات وعلى الاغنيا
اموالا ليعتقد انه سخي لا ليعتقد انه ورع صالح فليس
ذلك بحرام فان تملك القلوب كتملك الاموال نعم القليل منه
صالح نافع والكثير منه يلهي عن ذكر الله تعالى كالكثير من المال
ومهما انصرفت الهمة الى سعة الجاه فيجر ذلك الى الغفلة والمعاصي
فيكون محذورا لذلك لا لنفسه واما اظهار الشمايل التي ذكرناها
ليعتقد الناس فيه التدين والورع حرام لشيئين احدهما انه
تلبيس اذا اراد ان يعتقد الناس انه مخلص مطيع لله تعالى محب وهو
بهذه النية فاسق ممقوت عند الله تعالى ولو سلم الرجل دراهم
الى جماعة يخيل اليهم انه يجود عليهم بها وانما هي ديون لازمة
عصى بتلبيسه وان لم يطلب به ان يعتقد صلاحه لان ملك
القلوب بالتلبيس حرام الثاني انه اذا قصد بعبادة الله
خلق الله فهو مستهزئ ومن وقف بين يدي ملك في معرض
الخدمة وليس غرضه بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك
او جارية من جواريه فانظر ماذا يستحقه من النكال لاستهزائه
بالملك وكانه اذا قصد العباد بالعبادة فقد اعتقد ان عباد الله

اقدر على نفعه وضره من الله تعالى اذ عظمة العباد في قلبه دعته
الى ان يتجمل عندهم بعبادة الله تعالى ولهذا سمي الريا الشرك
الاصغر ثم يزداد الاثم بزيادة فساد القصد والنية ومن المرائين
من لا يطلب الا مجرد الجاه ومنهم من يطلب ان يودع الودايع ويوقف
الاوقاف ومال الايتام ليختزل (اي يقطع) منها وذلك اخبث لا محالة ومنهم
من يرائي ليقصد اليه النساء والصبيان ليتمكن من الفجور او
ليكثر عنده المال ليصرفه الى الخمر والملاهي وهذا هو الاعظم اذ جعل
عبادة الله عز وجل وسيلة الى المخالفة والعياذ بالله **فصل** يعظم تارة
الريا ويتغلظ اثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث عليه ويعظم ايضا
بما به المرايات وبقوة قصد الريا اما ما به المرايات فهي على ثلاث
درجات اغلظها ان يرائي باصل الايمان كالمنافق يظهر انه مسلم وليس
بمسلم بقلبه وكالملحد ومعتقد الاباحة (اي يعتقد ان يكون جميع الاشيا مباحا لهم) يظهر انه مستديم الاسلام
حال مع ما قد انسل منه باطنه الثانية الريا باصل العبادات كمن يصلي ويخرج
الزكاة (اي يخرج) بين يدي الناس والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه
لم يفعل ذلك الثالثة وهي ادناها ان لا يرائي بالفرايض بل يرائي
بالنوافل كالذي يكثر النافلة ويحسن هيئة الفريضة ويخرج الزكاة
من اجود ماله او يتهجد او يصوم يوم عرفة وعاشوراء والله

يعلم

والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل شيئا من ذلك
وهذا ايضا حرام وان كان لا تنتهي شدة العقوبة فيه الى
حد الريا باصل الاصول واما تغليظه بدرجات القصد فهو انه
قد يتجرد قصد الريا حتى يصلي مثلا على غير طهارة لاجل الناس
ويصوم ولو خلا بنفسه لا فطر وقد ينضاف اليه قصد العبادة
ايضا وله ثلاث احوال احديها ان تكون العبادة باعثة مستقلة
لو خلا بنفسه ولكن زاده رؤية غيره نشاطا وخف عليه العمل
بسببه فارجو ان لا يحبط ذلك القصد عمله بل تصح عبادته ويثاب
عليها ويعاقب على قصد الريا او ينقص من ثوابه الثانية ان تكون
قصد العبادة ضعيفا بحيث لو انفرد عن الناس ما اشتغل بالعمل
على العبادة فهذا لا تصح عبادته والقصد الضعيف لا ينفي عنه
شدة المقت الثالث ان يتساوى القصدان بحيث يستقل
كل بالحمل لو انفرد او لا ينبعث للفعل باحدهما بل بمجموعهما فهذا
قد افسد شيئا واصلح مثله فالغالب انه لا يسلم راسا براس
ويحتمل ان يقال اذا تساوى القصدان فاحدهما كفارة للاخر
وقوله انا اغنى الاغنياء عن الشرك يدل على انه لا يقبل ولا
يثيبه عليه اما انه يعاقب عليه ففيه نظر فالاغلب عندي والعلم
حال

عند الله ان لا يخلو عن اثم وعقاب فصل اعلم ان بعض
الرياء جلي وبعضه اخفى من دبيب النمل اما الجلي فما
يبعث على العمل حتى لولاه لم يرغب في العمل واخفى منه
ان لا يستقل بالحمل عليه ولكن يخفف العمل ويزيد في
نشاطه كالذي يتهجد كل ليلة واذا كان عنده ضيف زاد
نشاطه واخفى منه ان لا يزيد نشاطه ولكن لو اطلع غيره
على تهجده قبل فراغه او بعده فرح به ووجد في نفسه
هزة وذلك يدل على ان الرياء كان مستكنا في باطن
القلب استكنان النار تحت الرماد حتى ترشح منه السرور
عند الاطلاع وقد كان غافلا قبله واخفى منه ان لا يسر
بالاطلاع لكن يتوقع ان يبدا بالسلام ويوقر ويتعجب
ممن يسي اليه ولا يسامحه في المعاملة ولا يحترمه وذلك
يدل على انه يمن على الناس بعمله وكانه يتوقع احترامهم
وتوقيرهم بعبادته مع اخفائه عنهم وامثال هذه الخفايا
لا يخلو عنها الا الصديقون وجميع ذلك اثم ويخاف منه احباط
العمل نعم لا باس ان يفرح باطلاع غيره عليه اذا كان فرحه
بالله تعالى من حيث اظهر منه الجميل وستر منه القبيح مع انه قصد
سترهما

سترهما جميعا فيفرح بلطف صنع الله تعالى وكذلك يفرح
لانه يبشره بانه حيث احسن صنعه به في الدنيا فكذلك
يصنع به في الاخرة او يفرح ليقتدى به من يراه او يطلع
الله بحمله له عليه وعلامة هذا ان يفرح ايضا اذا اطلع
على غيره ممن يرتجي قدوته ومن اجل خفاء ابواب
الرياء وشدة استيلائه على الباطن احترز اولوا الحزم
فاخفوا عباداتهم وجاهدوا انفسهم وقد قال علي
رضي الله عنه ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيمة
الم يكن يرخص عليكم في السعر الم تكونوا تبتدؤون بالسلام
الم تكن تقضى لكم الحوائج لا اجر لكم فقد استوفيتم اجوركم
فاجتهد ان اردت الخلاص ان تكون الناس عندك كا
كالبهائم والصبيان فلا تفرق في عبادتك بين وجودهم و
عدمهم وعلمهم بها او غفلتهم عنها وتقنع بعلم الله تعالى
وحده وتطلب الاجر منه فانه لا يقبل الا الخالص كيلا تحرم
عن فائدته في احوج اوقاتك اليه فصل لعلك تقول لا
اقدر على الانفكاك عن الرياء الخفي كما وصفته فان خوطبت
على الجلي فهل تنعقد عبادتي مع ذلك فاعلم ان وارد الرياء
الرياء

من اولو العقل

لا يخلو اما ان يرد مع اول العمل او في دوامه او بعد الفراغ منه
اما ما يقارن الابتداء فيبطله ويمنع انعقاده ان صار باعثا
مؤثرا اي الحمل على العمل بل اول العقد يجب ان يكون خالصا وانما
يبطل بالرياء الباعث على اصل العمل واما اذا لم يحمل الا على المبادرة
في اول الوقت مثلا فاظن والعلم عند الله ان اصل الصلوة تصح
وانما تفوته فضيلة المبادرة ويعصي بقصد المرايات ولكن يسقط
الفرض عنه واما ما يرد في دوام الصلوة ان ابطل باعث الصلوة
فيبطل الصلوة مثاله ان تحضر في اثناء الصلوة او طاره او يتذكر
نسيان شيء ولو خلا القطع الصلوة لكنه اتم حياء من الناس
فهذا لا يسقط الفرض عنه لان النية قد انقطعت وانقطع
باعث العبادة واما اذا لم تنقطع نيته لكن صار مغمورا مغلوبا
كما لو حضر قوم فيغلب على قلبه الفرح باطلاعهم وانتهز باعث
العبادة فغالب الظن انه انقضى ركنه ولم يبادده الباعث
الاصلي فسدت صلاته لانا نستصحب نية البداية بشرط ان لا
يطرأ ما لو قارن ابتداءها لمنع وان لم ينغمر باعث العبادة ولكن
حصل مجرد سرور ولم يؤثر في العمل بل في تحسين الصلوة فقط
فغالب الظن ان الصلوة لا تفسد ويتأدى الفرض واما ما

يطرأ

يطرأ بعد الصلوة من ذكر وسرور ومراياة فلا ينعطف على
ما مضى ولكن يعصي به ويأثم ويكون عقابه بقدر قصده
واظهاره ومهما ظهرت له داعية ذكر العبادة اما بالتصريح
واما بالتعريض فذلك يدل على ان الرياء كان خفيا في باطنه

فصل اذا عرفت حقيقة الرياء وكثرة مداخله فعليك
بالتشمر في معالجته وعلاجه في دفع الاسباب الباعثة عليه
وهي ثلث حب المدح وخوف الذم والطمع واما حب
المدح كمن يهجم على صف القتال ليقال انه شجاع او يظهر
العبادات ليقال انه ورع وعلاجه ما تقدم في علاج حب
الجاه وهو ان تعلم انه كمال وهمي لا حقيقة له وعلاجه في
الرياء خاصة ان يقرر على نفسه ما فيه من الضرر فان العسل
وان كان لذيذا فاذا علم ان فيه سما سهل تركه فليقرر على
نفسه انه يقال له في يوم فقره بسبب ريائه يا فاجر يا غادر
استهزأت بالله عز وجل وراقبت العباد وتحببت اليهم وتقربت
حمدهم بذم الله تعالى وطلبت رضاهم بسخطه اما كان احد اهون
عليك من الله تعالى فلو لم يكن الا هذا الخزي والخجلة لكان
كافيا في المنع عنه كيف وقد انضم اليه العقوبة واحباط

العبادة

وانه ربما ترجح به كفة السيئات بعد ان قارنت كفة الحسنات
فيكون سبب هلاكه وليقرر على نفسه ان رضى الناس غاية
لا تدرك ومن طلب رضى الناس بسخط الله تعالى اسخطهم عليه
فكيف يترك رضى الله بما لا يطمع في حصوله واما الباعث
الثاني وهو الخوف من ذمهم فيقرر على نفسه ان ذمهم
لن يضره ان كان محمودا عند الله عز وجل ولم يتعرض لذم
الله ومقته خوفا من ذم الخلق ويكفيه ان الناس لو علموا
ما في باطنه من قصد الرياء لمقتوه ويأبى الله الا ان يكشف
ستره حتى يعرف نفاقه فيمقته الناس ايضا بعد ان مقته الله
عز وجل ولو اخلص واعرض بقلبه عنهم وجرد نظره الى الله
تعالى لكشف لهم اخلاصه له واحبوه واما باعث الطمع فيدفعه
بان يعلم ان ذلك امر موهوم وفوات رضى الله تعالى ناجز ويعلم
ان الله تعالى هو المسخر للقلوب وان من طمع في الخلق لم يخل عن
الذل والمهانة والمنة ومن اعرض عن الطمع في الخلق كفاه
الله تعالى وسخر له القلوب فاذا احضر في قلبه نعيم الآخرة والدرجات
الرفيعة وعلم ان ذلك يفوت بالرياء اعرض قلبه عن الخلق
واجتمع همه وفاضت عليه انوار الاخلاص وامده الله سبحانه

بمعرفته

بمعرفته وتوفيقه **فصل** لعلك تقول اني قررت هذه كله
على نفسي ونفر عن الرياء قلبي ولكن ربما هجم علي وارد الرياء
بغتة في بعض العبادات عند اطلاع الخلق فما العلاج
عند هجومه فاعلم ان اصل هذا العلاج ان تخفي عبادتك
كما تخفي فواحشك ففيه السلامة روي ان بعض اصحاب
ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له اظهرت ما كان
سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا واخفاء العبادة
انما يشق في البداية فاذا صار عادة الف الطبع لذة المناجاة
في الخلوة ومهما هجم وارد الرياء فعلاجه ان تجدد على قلبك
ما رسخ فيه من قبل من المعرفة بالتعرض لمقت الله عز وجل مع
عجز الناس عن منفعتك ومضرتك حتى تنبعث منه كراهية
لداعية الرياء ثم الشهوة (اي شهوة المدح) تدعو الى اجابة الرياء بتخييل العمل
والفرح به والكراهية تدعو الى رده والاعراض عنه وتكون
اليد للاقوى فان قويت الكراهية حتى منعتك من الركون
اليه والتحبب حالتك التي كنت عليها فلم تزد ولم تنقص
ولم تتكلف اظهار الفعل وايثاره فقد اندفع عنك الاثم
ولم تتكلف اكثر من ذلك واما دفع الخواطر ودفع الطبع عن

الى قبول الناس

عن الميل الى قبول الناس فلا تدخل تحت التكليف وانما منتهى
التكليف الكراهية والاباء عن اجابة الداعية **فصل** يجوز
اظهار الطاعات لاجل اقتداء الناس وترغيبهم اذا صحت
النية ولم يكن معه شهوة خفية وعلامته ان يقدر ان الناس
لو اقتدوا باحد اقرانه وكفي مؤنة الترغيب واخبر بان اجره
في الاسرار كاجره في الاظهار فلا يرغب في الاظهار فان كان
ميله الى ان يكون هو المقتدى به اكثر ففيه داعية الريا لانه
ان كان يطلب سعادة الناس وخلاصهم فقد حصل ذلك بغيره
ولم يفته الا اظهار نفسه وكذلك يجوز كتمان المعاصي والذنوب
ولكن بشرط ان يكون غرضه ان لا يعتقد فيه الورع بل لا يعتقد
فيه الفسق ولا باس بفرحه باستتار معاصيه وحزنه بانكشافها
اما فرحا بستر الله عليه واما فرحا بموافقة امر الله تعالى فانه يحب
كتمان المعاصي وينهى عن المجاهرة بها ولانه يكره ان يذم
فيتألم به اذ التألم بذم الناس ليس بحرام بل يوجبه الطبع
وانما الحرام الفرح بمدح الناس اياه بالعبادة فان ذلك
كالجزاء اخذه على العبادة واما لانه يخاف ان يقصد بسوء اذا
عرفت معصيته واما لانه يستحي من ظهورها والحياء غير الريا

ولذلك

ولذلك قد يمتزج به واما ترك الطاعة خوفا من الريا
فلا وجه له قال الفضيل الريا ترك العمل خوفا من الريا
اما العمل لاجل الناس فهو شرك بل ينبغي ان يعمل ويخلص
الا اذا كان العمل في ما يتعلق بالخلق كالقضاء والامامة
والوعظ فاذا علم من نفسه انه بعد الخوض فيه لا يملك
نفسه بل يميل الى دواعي الهوى يجب عليه الاعراض والترك
كذلك فعل جماعة من السلف واما الصلاة والصدقة فلا
يتركهما الا اذا لم تحضره اصلا نية العبادة بل لو تجرد نية
الريا فلا يصح عمل فليتركه اما ما اعتاد فعله فحضر جماعة
فيخاف على نفسه الريا فلا ينبغي ان يتركه بل ينبغي ان يستمر
على عبادته ويجتهد في دفع باعث الريا **خاتمة** في مجامع
الاخلاق ومواقع الغرور فيها اعلم ان الاخلاق المذمومة
كثيرة ولكن ترجع اصولها الى ما ذكرناه ولا يكفيك تزكية
وهي اصول العشرة
النفس عن بعضها حتى تتركها عن جميعها ولو تركت واحدا
اي اصول العشرة
منها غالبا عليك فذلك يدعو الى البقية لان بعض صفاته
ترتبط بالبعض ويتقاضى بعض الاخلاق الذميمة بعضا
ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم والسلامة المطلقة لا تنال

حالي

بدفع بعض الامراض بل انما تنال بالصحة المطلقة كما ان الحسن
لا يحصل بحسن بعض الاعضاء ما لم يحسن جميع الاطراف والنجاة
في حسن الخلق قال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان
الخلق الحسن وقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق وقيل له ما الدين قال الخلق الحسن وقال حسن
الخلق خلق الله تعالى وقال النبي افضل المؤمنين ايمانا احسنهم
خلقا وقد كثرت الاقاويل في حقيقته وبيان حده والاكثرون
تعرضوا لبعض ثمراته ولم يحيطوا بجميع تفصيله والذي يطلعك
على حقيقته ان تعلم ان الخلق والخلق عبارتان فيراد بالخلق
الصورة الظاهرة وبالخلق الصورة الباطنة وذلك لان
الانسان مركب من جسد يدرك بالبصر ومن روح ونفس
تدرك بالبصيرة لا بالبصر ولكل واحد منهما هيئة اما قبيحة واما
حسنة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا ولذلك اضافه
الله عز وجل الى نفسه واضاف البدن الى الطين فقال
اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
ووصف الروح بامر رباني فقال قل الروح من امر ربي
واعني بالروح والنفس ههنا معنى واحدا وهو الجوهر

العارف

العارف المدرك من الانسان بالهام الله تعالى كما قال
ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح
من زكيها وقد خاب من دسيها وكما ان للحسن الظاهر
اركانا كالعين والانف والخد والفم ولا يوصف الظاهر بالحسن
ما لم يحسن جميعها فكذلك الصورة الباطنة لها اركان لا بد
من حسن جميعها حتى يحسن الخلق وهي اربعة معان
قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل
بين هذه القوى الثلث فاذا استوت هذه الاركان الاربعة
واعتدلت وتناسقت حصل حسن الخلق اما قوة العلم فا
عتدالها وحسنها ان تصير بحيث يدرك بها الفرق بين الصدق
والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات
وبين الجميل والقبيح في الاعمال فاذا انصلحت هذه القوة
كذلك حصلت منها ثمرة الحكمة وهي راس الفضايل قال الله
عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا
اولوا الالباب واما قوة الغضب فاعتدالها ان يحصل
انقباضها وانبساطها على موجب اشارة الحكمة والشرع وكذلك
قوة الشهوة واما قوة العدل فهي في ضبط قوة الغضب

مطلب صورة باطنة

وقوة الشهوة تحت اشارة الدين والعقل فالعقل منزلته
منزلة الناصح وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ
الممضي لاشارة العقل والغضب والشهوة وهما اللذان
تنفذ بهما الاشارة وهما كالكلب والفرس للصياد فان
حسن بعض هذه دون بعض كان كما لو حسن بعض اعضآ
الوجه فلا يطلق اسم الحسن له الا اذا حسن الجميع واعتدل
فاذا حسنت واعتدلت انشعب منه جميع الاخلاق
واما قوة الغضب فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة والله
يحب الشجاعة وان مالت الى طرف الزيادة سميت تهورا
وان مالت الى النقصان تسمى جبنا وتتشعب من اعتدالها
خلق الكرم والنجدة والشهامة والحلم والثبات وكظم الغيظ
والوقار والتودد واما افراطها فيحصل منه خلق التهور
والصلف والبذخ (اي التفاخر) والاستشاطة والكبر والعجب واما تفريطها
فيحصل منه الجبن والمهانة والمذلة والخساسة وعدم الغيرة
وضعف الحمية على الاهل وصغر النفس واما الشهوة فيعبر
عن اعتدالها بالعفة وعن افراطها بالشره وعن تفريطها
وضعفها بالجمود فيصدر من العفة السخآء والحيآء والصبر

والسماحة

والسماحة والقناعة والورع والمساعدة والظرف
وقلة الطمع ويصدر عن افراطها (اي قوة الشهوة) الحرص والشره والوقاحة
والتبذير والتقتير والريآء والهتكة والمجانة والملق تملق
والحسد والشماتة والتذلل للاغنيآء واحتقار (لزوالهم) الفقرآء
وغير ذلك واما قوة العقل فيصدر من اعتدالها حسن
التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن
والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفس
واما افراطها فيحصل منه الجربزة والدهآء والمكر والخداع
ويحصل من تفريطها وضعفها البله والحمق والغمارة (اي الحمق) و
البلادة والانخداع فهذه هي روابط الاخلاق وانما
معنى حسن الخلق في الجميع وسط بين الافراط والتفريط
فخير الامور اوساطها (خير الامور اوسطها) وكلا طرفي قصد الامور ذميم ولذلك
قال عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما وقال تعالى اشدآء على الكفار
رحمآء بينهم ومهما مال واحد من هذه الجملة الى الافراط
والتفريط فبعد لم يكمل حسن الخلق فصل طريق

اصلاح هذه الاخلاق كلها المجاهدة والرياضة
ونعني بالمجاهدة ان تتكلف الصفة المفرطة الغالبة
خلاف مقتضاها فتعمل بنقيض موجبها فان غلب البخل
فلا تزال تتكلف البذل بالمجهود وتداوم عليه مرة بعد
اخرى حتى يسهل عليك البذل في محله فان غلب التبذير
فلا تزال تتكلف الامساك حتى يصير عادة فيسهل عليك
الامساك في محله وكذلك في خلق الكبر وساير الاخلاق وقد
ذكرناه في كتاب رياضة النفوس على التفصيل وينبغي ان
تعلم انه من يبذل تكلفا فليس بسخي وان من يتواضع
تكلفا وهو ثقيل على نفسه فهو عاطل عن خلق التواضع
بل الخلق عبارة عن هيئة للنفس يصدر عنها الفعل
بسهولة من غير روية وتكلف لكن التكلف هو طريق
تحصيل الخلق فانه لا يزال يتكلف اولا حتى يصير ذلك طبعا
وعادة فيفهم من هذا ان البخيل قد يبذل وان السخي
قد يمسك فلا تنظر الى الفعل بل الى الهيئة الراسخة التي تصدر
منها الافعال بيسر من غير تكلف واعلم ان تفاوت الناس
في الحسن الباطن كتفاوتهم في الحسن الظاهر ولم يبلغ
الحسن

الحسن المطلق الا على الندور وانما سلم ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اثنى الله سبحانه عليه فقال
وانك لعلى خلق عظيم وليست النجاة موقوفة على
الكمال البالغ لكن على ان يكون الميل الى الحسن اكثر
فان القبيح المطلق في الظاهر ممقوت والحسن المطلق
معشوق وما بينهما درجات فالقريب من الحسن
المطلق اسعد في الدنيا من القريب الى القبيح المطلق
وكذلك يتفاوت سعادة الاخرة بحسب تفاوت حسن
الصورة الباطنة **فصل** اعلم انك قد تظن بنفسك
حسن الخلق وانت عاطل عنه فاياك ان تغتر وينبغي
ان تحكم فيه غيرك فتسأل عنه صديقا بصيرا لا يداهنك
وبالجملة اذا انسبك غيرك الى سوء الخلق اوشك ان تكون
كذلك لان اكثر الاخلاق يتعلق بالغير فينبغي ان تظن بها
ومن مواقع الغرور فيه مثلا ان تغضب فتظن انك
تغضب لله تعالى وتظهر العبادة وتظن انك تظهر الاقتداء
وتكف من الاكل وطلب الدنيا وتكظم الغيظ وانما يهون
عليك ذلك ان تعرف به فيكون الرياء هو الباعث

على الجميع وكذلك يكثر مواقع الغرور فيه على ما ذكرناه في كتاب
الغرور فان هذا الكتاب لا يحتمل استقصاءه فصل ينبغي ان
تفتقد هذه الاخلاق من قلبك وتبدا بالاهم فالاهم وتقبل
على اغلب هذه الصفات فتكسرها على التدريج واظن ان
الاغلب عليك حب الدنيا وساير المعاصي والاخلاق المذمومة
تتبعها ولا يمكنك الخلاص من حب الدنيا الا بان تطلب
خلوة خالية وتتفكر في سبب اقبالك على الدنيا واعراضك
عن الاخرة فلا تجد له سببا الا محض الجهل والغفلة فان اقصى
عمرك في الدنيا مائة سنة فهب ان مملكة وجه الارض تسلم
لك من المشرق الى المغرب في مائة سنة اليس تفوتك
بها المملكة في مدة لا آخر لها وهي مملكة الاخرة فان كان
لا يدخل في خيالك طول الابد فقدر الدنيا كلها مملوة ذرا
وقدر طايرا ياخذ في كل الف الف سنة حبة واحدة
فتفنى الذرة ولم ينقص من الابد شيء لان الباقي ايضا
لا نهاية له كما كان قبل ذلك وانت ترى نفسك ترضى بتعب
الاسفار اما في تجارة او طلب رياسة وهذا التعب
الناجز لاجل شيء موهوم ربما يدركك الموت قبله وربما لا يصفوا
لك

لك ان ظفرت به وانما ترضى بذلك لانك تستحقر التعب
سنة مثلا بالاضافة الى بقية العمر وجملة عمرك بالاضافة
الى الابد اقل من سنة بالاضافة الى عمرك بل لا اضافة
بينهما فتفكر فيه لينكشف جهلك على القرب ولعلك تقول
انما افعل ذلك على توقع العفو فان الله كريم رحيم
فاقول ولم لا تترك الحراثة والتجارة وطلب المال على
توقع العثور على كنز في خراب فان الله تعالى كريم لا ينقص
من ملكه شيء لو عرفك في منامك كنزا من الكنوز حتى تاخذه
فان قلت ذلك نادر وان كان داخلا في قدرة الله تعالى
فاعلم ان توقع العفو مع خراب الاعمال والاخلاق
كتوقع كنز في خراب بل ابعد منه واندر وقد نبهك الله تعالى
عليه فقال وان ليس للانسان الا ما سعى وقال ام نجعل
الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ورغبك عن طلب المال فقال وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها فما بالك تكذب بكرمه في الدنيا ولا تتكل
عليه ثم تخدع نفسك بالكرم في الاخرة وانت تعلم ان
رب الدنيا والاخرة واحد لعلك تقول عواقب

امور الدنيا قد انكشفت لي بالعيان واطمانت نفسي اليها
واما الاخرة فلم اشاهدها ولست اجد التصديق المحقق
في قلبي فلذلك فترت رغبتي في ترك الدنيا نقدا بما هو موعود
نسئية ولست اثق به فاقول لو كنت من ارباب البصاير
لانكشف لك امر الاخرة صريحا كما انكشف امر الدنيا واذا لم
تكن من اهله فتفكر في اقاويل ارباب البصاير فان الناس
في امر الاخرة اربعة اصناف صنف اثبتوا الجنة والنار كما
ورد به القران وقد سمعت انواع نعيمها وانكال جحيمها
وصنف لم يثبتوا اللذات والالام الحسية بل اثبتوهما على
سبيل التخيل كما في المنام حتى يكون كل واحد في جنة او نار
يراها وحده وزعموا ان تاثير ذلك فيه كتاثير الحقيقة لان
تالم النايم كتالم اليقظان وانما تخلص عنه بالتنبه وذلك
في الاخرة دايم لا انقطاع له وصنف ثالث اثبتوا الاما عقلية
ولذات عقلية وزعموا ان ذلك اعظم من الحسية ومثلوا
ذلك باستشعار لذة الملك والاستشعار بزوالها فان زوال
الملك يوثر الاما كثيرة بدنية على ما يظفر به عدوه وياخذ
مملكته ويستسخره مع ان ظفر العدو لا يوجب الم البدن وهولاء هم

اصناف

اصناف اعني الاصناف الثلثة وفيهم الانبياء والاولياء
والحكماء وكلهم اتفقوا على اثبات سعادة موبدة وشقاوة
موبدة وان السعادة لا تنال الا بترك الدنيا والاقبال
على الله عز وجل ولو مرضت ولم تكن من اهل البصيرة في
طب ورايت افاضل الاطباء قد اتفقوا على شي لم تتوقف
في اتباعهم وصنف رابع ليسوا من النظار في الامور
الالهية بل من الاطباء والمنجمين اقتصر نظرهم على الطبايع
الاربع ومزاجها وراوا قوام الروح موقوفا عليها ولم
يتفطنوا لحقيقة الروح الالهي الحقيقي الذي هو العارف
بالله تعالى بل لم يدركوا الا الروح الجسماني الذي هو بخار
انضجته حرارة القلب ينتشر في العروق الضوارب الى
جميع البدن فيقوم به الحس والحركة وهي الروح التي
توجد للبهايم ايضا فاما الروح الخاص الانساني المنسوب
الى الله سبحانه حيث قال ونفخت فيه من روحي فلم يتفطنوا
له فظنوا ان الموت عدم وانه يرجع الى فساد المزاج وانت
في حق هولاء بين امرين اما ان تتحقق غلطهم او تعلم
قطعا صحة قولهم فان جوزت خطاهم لزمك الاعراض

عن الدنيا بمجرد الاحتمال فانك لو كنت صادق الجوع وظفرت
بطعام وسمعت بانه فاخبرك صبي انه فيه سم وان حية ولغت
فيه فاستبت الجوع وتركت الاكل لانك تقول ان كان كاذبا
فليس يفوتني الا لذة الاكل وان كان صادقا ففيه الهلاك
ومثل هذا الاحتمال لا يمكن الهجوم عليه فليت شعري احتمال
الخلود في النار كيف يجب العاقل الهجوم عليه فكيف لا يكون
كاليقين التام في الحذر منه حتى تنبه عليه الشاعر مع ركاكة
عقله فقال زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاموات قلت
اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما
وان قلت اني اعلم ضرورة صدق هؤلاء فان الموت عدم
وانه لا عقاب ولا ثواب فان الانبياء والاولياء مغرورون
او ملبسون وانما الذي انكشف له حقيقة الحق هو هذا
الطبيب الجاهل وزعمت اني اعلم ذلك كما اعلم ان الاثنين
اكثر من الواحد حتى لا يختلج فيه ريب فيدل هذا على
فساد المزاج وركاكة العقل والبعد عن قبول العلاج لكن
مع هذا يقال لك ان كنت تطلب الراحة في الدنيا فقد يقتضاك
عقلك ايضا مجاهدة الشهوات وكسرها فان الراحة في

الحرية والخلاص عن اسر الشهوات لا في اتباعها فانها
اذا تسلطت على النفس فهي الآم ناجزة تحمل النفس
على احتمال كل ذل ومشقة وما المستريح في الدنيا
الا تاركها والزاهد فيها واما طالبها فلا يزال في عناء
فالمعطل ايضا ان عقل قليلا ترك الدنيا لكثرة عنائها وسرعة
فنائها وخسة شركائها فان لم تكن في امر الاخرة على تخمين
ولا من مشاهدة افات الدنيا على يقين فما انت الا من
جواب ان
الحمقى المغرورين ولتعلمن نباه بعد حين ولمثلك يقال
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون القسم
الرابع في الاخلاق المحمودة وهي عشرة اصول الاصل الاول هي التوبة
فانها مبدا طريق السالكين ومفتاح سعادة المريدين قال
الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال تعالى
وتوبوا الى الله جميعا وقال النبي صلى الله وسلم التايب
حبيب الله والتايب من الذنب كمن لا ذنب له وقال
عليه السلام لله افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل
في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه
فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته

مطلب التوبة

فطلبها حتى اذا اشتد عليه الجوع والعطش او ما شاء الله
عز وجل ارجع الى المكان الذي كنت فيه فانام حتى اموت
فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته
عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد
المؤمن من هذا العبد براحلته وزاده **فصل** حقيقة
التوبة الرجوع عن طريق البعد الى طريق القرب ولكن
لها ركن ومبداء وكمال اما مبداءها فهو الايمان
ومعناه سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه ان
الذنوب سموم فيشتعل منه نار الخوف والندم وينبعث
من هذه النار صدق الرغبة في التلافي والحذر اما في
الحال فبترك الذنوب واما في الاستقبال فالعزم على الترك
واما في الماضي فبالتلافي على حسب الامكان وبذلك
يحصل الكمال **فصل** اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف
لك انها واجبة على كل احد وفي كل حال ولذلك قوله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا فخاطب الجميع مطلقا اما وجوبها
فلان معناها معرفة كون الذنوب مهلكة والانبعاث
لتركها وهو جزء من الايمان اعني هذه المعرفة فكيف

لا يجب

لا يجب واما وجوبها على كل واحد فهو ان الانسان مركب
من صفات بهيمية وسبعية وشيطانية وربوبية
حتى يصدر من البهيمية الشهوة والشره والفجور
ومن السبعية الغضب والحسد والعداوة والبغضاء
ومن الشيطانية المكر والحيلة والخداع ومن الربوبية
الكبر والعز وحب المدح والاستيلاء واصول هذه الاخلاق
هذه الاربع وقد عجنت في طينة الانسان عجنا محكما
لا يكاد يتخلص منها وانما ينجو من ظلماتها بنور الايمان
المستفاد من العقل والشرع فاول ما يخلق في الادمي
البهيمية فيغلب عليه الشره والشهوة في الصبا ثم يخلق
فيه السبعية فيغلب عليه المعادات والمنافسة
ثم يخلق فيه الشيطانية فيغلب عليه المكر والخداع اذ
تدعوه السبعية والبهيمية ان يستعمل الكياسة في حيل
قضاء الشهوة وتنفيذ الغضب ثم يظهر فيه بعد ذلك
صفات الربوبية وهو الكبر والاستيلاء وطلب العلو
ثم بعد ذلك يخلق العقل الذي يظهر فيه نور الايمان وهو
من حزب الله وجنود الملائكة وتلك الصفات من جنود الشيطان

اي صفات الذي يصدر من السبعية والبهيمية والربوبية

وجنود العقل يكمل عند الاربعين ويبدو اصله عند البلوغ
واما سائر جنود الشيطان يكون قد سبق الى القلب
قبل البلوغ واستولى عليه والفته النفس واسترسلت
في الشهوات متابعة لها الى ان يرد نور العقل فيقوم القتال
والتطارد بينهما في معركة القلب فان ضعف جند العقل بنور
الايمان لم يقو على ازعاج جنود الشيطان فتبقى جنود الشيطان
مستقرة آخرا كما سبق الى النزول اولا وقد سلم للشيطان
مملكة القلب وهذا القتال ضروري في فطرة الآدمي اذ
لا يتسع خلقة الولد كما لا يتسع خلقة الاب وانما تجلي حال
ادم صلوات الله عليه لتتنبه به ان ذلك كان مكتوبا عليه
وهو مكتوب على جميع اولاده في القضاء الازلي الذي
لا يقبل التبديل فاذا لا يستغني احد عن التوبة **فصل** واما
وجوبها في كل حال فلان الانسان لا يخلو في جميع احواله
عن ذنب في جوارحه او في قلبه ولا يخلو عن خلق من
الاخلاق الذميمة مما يجب تزكية القلب عنه فانه مبعد
عن الله والاشتغال باماطته توبة لانه رجوع عن طريق البعد
الى طريق القرب فان خلا عن جميع ذلك فلا يخلو عن غفلة

عن

وانما حكى لك

عن الله وذلك ايضا طريق البعد ويلزمه الرجوع عنه
بالذكر ولذلك قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت
فان كان حاضرا على الدوام وانى يتصور ذلك فلا
يخلو عن ملازمة مقام نازل عن المقامات الرفيعة
وراءه وعليه ان يترقى منه الى ما فوقه وفي تجاوزه منه
استغفار عن مقامه الذي خلفه لانه تقصير بالاضافة الى
ما ادركه وذلك لا نهاية له فلذلك قال عليه السلام
انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله تعالى في اليوم والليلة
سبعين مرة ولكل ذلك كان توبة منه الا ان توبة العوام
عن الذنوب الظاهرة وتوبة الصالحين عن الاخلاق
الذميمة الباطنة وتوبة المتقين عن مواقع الريبة
وتوبة المحبين عن الغفلة المنسية للذكر وتوبة العارفين
عن الوقوف على مقام يتصور ان يكون وراءه مقام
والمقامات في القرب من الله لا نهاية لها فتوبة العارف
لا نهاية لها ايضا **فصل** التوبة اذا استجمعت شرائطها
فهي مقبولة لا محالة ولا يخفى عليك ذلك ان فهمت معنى
القبول فمعنى القبول ان يحصل في قلبك استعداد القبول

التوبة على مراتب الانسان

لتجلي انوار المعرفة في القلب وانما مثله كالمرآة تحجبه عن
التجلي كدورات الشهوة والرغبة فيها ثم ترتفع من كل ذنب
ظلمة اليه ومن كل حسنة نور اليه فالحسنات تصقل النفس
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة
تمحها ونسبة التوبة الى القلب نسبة الصابون الى الثوب
ولا بد ان يزول منه الوسخ اذا استعمل فيه على وجهه ومن
تاب فانما يشك في قبول التوبة لانه ليس يستيقن تمام
شروطها كما ان من شرب المسهل لا يستيقن حصول الاسهال
به لانه لا يدري وجود تمام الشرائط في ادويتها ولو تصور
انا يعلم ذلك لتصور ان يعلم القبول في حق الشخص المعين و
لكن هذا الشك في الاعيان لا يشككنا في ان التوبة في
نفسها طريق القبول لا محالة **فصل** علاج التوبة حل عقدة
الاصرار فانه لا مانع منها سوى الاصرار ولا حامل عليه سوى
الغفلة والشهوة وذلك مرض في القلب وعلاجه كعلاج
امراض البدن لكن هذا المرض اكثر من مرض الابدان
لثلثة اسباب احدها انه مرض لا يعرف صاحبه انه مريض
وهو كبرص على وجه من لا مرآة له فانه لا يعالجه لانه لا يعرفه

في بيان علاج

ولو

ولو اخبره غيره ربما لم يصدقه الثاني ان عاقبة هذا
المرض لم يشاهدها الانسان ولم يجربها فلذلك تراه
يتكل على عفو الله ويجتهد في علاج مرض البدن غاية
الجهد الثالث وهو الداء العضال فقد الاطباء فان
الطبيب هو العالم العامل وقد مرض العلماء في هذه
الاعصار مرضا عسر عليهم علاج انفسهم لان الداء
المهلك هو حب الدنيا وغلب ذلك على العلماء واضطروا
الى الكف عن تحذير الخلق من الدنيا كيلا تنكشف فضيحتهم
فافتضحوا لما اصطلحوا على الاقبال على الدنيا والتجاذب
لها والتكالب عليها فبهذا السبب عم الداء وانقطع
الدواء واشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذ لم
يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا بل صار كل
واحد كأنه صخرة في فم الوادي لا هي تشرب ولا تترك
الماء يتشرب غيرها وجملة القول في علاجه ان تنظر
في سبب الاصرار وهو يرجع الى خمسة اسباب اولها
ان العقاب الموعود ليس بنقد والطبع يستهين
بما لا يوجد محققا في الحال وعلاجه ان تتفكر لتعلم ان

العلاج في سبب الاصرار

ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت وان الموت
اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه لعله في آخر ايامه
او في آخر سنة من عمره ثم يتفكر انه كيف يتعب في الاسفار
ويركب الاخطار حذرا من الفقر في الاستقبال الثاني ان
اللذات والشهوات اخذت بمخنقه اي بعنقه في الحال فليس يقدر
على قلعها وعلاجه ان يتفكر انه لو ذكر له طبيب نصراني بان
شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وهو الذ الاشياء
عنده كيف يتركه فليعلم ان الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
اصدق من الطبيب النصراني والخلود في النار اشد من
الموت بالمرض وليقس على نفسه انه اذا كان يشق عليه
ترك اللذات اياما قلايل فكيف لا يشق عليه ملابسة النار
والحرمان عن الفردوس ونعيمه ابد الدهر الثالث انه
يسوف بالتوبة يوما فيوما وعلاجه ان يتفكر ويعلم ان
بناء خطر السعادة والشقاوة على ما ليس اليه جهل
ممن اين يعلم انه يبقى الى ان يتوب وان اكثر صياح اهل
النار من التسويف لانهم سوفوا حتى فاجاهم مرض
ساقهم الى الموت كيف وانما يسوف لانه عاجز عن قمع
الشهوة في

في الحال فانما كان ينتظر يوما يسهل فيه قمع الشهوات
فهذا يوم لم يخلق اصلا بل مثاله مثال من يريد ان
يقلع شجرة يعني بالضعف وقوة رسوخ الشجرة فيؤخرها
الى السنة القابلة وهو يعلم ان الشجرة تزداد كل يوم رسوخا
وقوة تزداد كل يوم قصورا ونقصانا وذلك غاية الجهل
الرابع ان يعتقد نفسه بالكرم والعفو وذلك غاية الحمق اي العجز عن قلع الشجرة
او وحي الشيطان في معرض القرين قال النبي صلى الله عليه
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الخامس ان يكون والعياذ
بالله شاكا في الاخرة وقد ذكرنا علاجه في خاتمة الاخلاق
الذميمة **فصل** التوبة عن الذنوب كلها مباحة واجبة
وعن الكباير اهم والاصرار على الصغيرة ايضا كبيرة فلا
صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع رجوع واستغفار وتواتر
الصغاير عظيم التاثير في تسويد القلب وهو كتواتر قطرة
الماء على الحجر فانه يحدث فيه حفرة لا محالة مع لين الماء
وصلابة الحجر وتعظم الصغيرة باسباب احدها ان يستصغرها
العبد ويستهين بها فلا يغتم بسببها قال بعضهم الذنب

الذنب لا ينفع قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا الثاني
السرور بها والتبجح بسببها واعتقاد التمكن منها نعمة حتى
ان المذنب ليفتخر فيقول اما رايتني كيف شتمته وكيف
مزقت عرضه وكيف خدعته في المعاملة وذلك اعظم التاثير
في تسويد القلب الثالث ان يتهاون بستر الله تعالى عليه ويظن
ان ذلك لكرامته عند الله تعالى ولا يدري انه ممقوت وقد
امهل ليزداد اثما فيكون في الدرك الاسفل من النار الرابع
ان يجاهر بالذنب ويظهره او يذكره بعد فعله في الخبر كل الناس
معافى الا المجاهرون الخامس ان تصدر الصغيرة من
عالم يقتدى به وذلك عظيم لانه يبقى بعد موته فطوبى لمن
مات وماتت معه ذنوبه ومن سن سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من عمل بها وروي ان بعض علماء بني اسرائيل
تاب عن ذنوبه وبدعته فاوحى الله الى نبي زمانه ان
ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت
من عبادي فادخلتهم النار ومع الجملة فلا باعث على التوبة
الا الخوف الصادر عن البصيرة والمعرفة فلنذكر فضيلة
الخوف **الاصل الثاني في الخوف** وقد جمع الله تعالى للخائفين

الهدى

الهدى والرحمة والعلم والرضوان وناهيك بذلك فضلا
فقال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال
انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا
عنه ذلك لمن خشي ربه وقال صلى الله عليه وسلم راس الحكمة
مخافة الله وقال عليه السلام من خاف الله خافه كل شيء
ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء وقال الله تعالى
وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له
امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني
في الدنيا امنته يوم القيامة **فصل** اعلم ان حقيقة الخوف
هو تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال
وقد يكون ذلك الخوف من جريان ذنوب وقد يكون الخوف
من الله تعالى بمعرفة صفاته التي توجب الخوف لا محالة وهذا
اكمل واتم لان من عرف الله خافه بالضرورة ولذلك قال
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقد اوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله تعالى واعلم ان
الواقع في مخالب السبع انما لا يخافه اذا لم يعرف السبع

فان علم ان من صفة السبع انه يهلكه ولا يبالي فان تركه لم
يكن لرقة عليه وشفقته فانه احقر عنده من ان يشفق
عليه فلا بد من ان يخاف ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم
ولكن من عرف انه لو اهلك الاولين والاخرين لم يبال ولم
ينقص شي من ملكه قل فمن يملك لكم من الله شيا ان اراد
ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا وكم اهلك
من عباده في الدنيا وعرضهم لانواع العذاب ولم تاخذه
رقة ولا شفقة فان ذلك محال عليه فلا بد وان يخاف فمعرفة
الجلال والعزة والاستغناء يورث الهيبة بالضرورة وهذا اكمل
انواع الخوف وافضلها **فصل** علاج الخوف وتحصيله على
رتبتين احدهما معرفة الله تعالى فانها توجب الخوف بالضرورة
فان الواقع في مخالب السبع لا يحتاج الى علاج ليخاف
ان كان يعرف السبع ومن عرف جلال الله تعالى واستغناءه
وانه خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها
اهلا وانه تمت كلمته بالسعادة والشقاوة في حق كل احد
صدقا وعدلا وان ذلك لا يتصور تغيير ولا يعرف عن
تنفيذ قضائه الازلي صارف وهو لا يدري ما الذي سبق

به

به القضاء في حقه ولا يدري ما الذي يختم له به واحتمل عنده
ان يكون مقضيا له بشقاوة الابد فهذا لا يتصور ان لا يخاف
واما من عجز عن حقيقة المعرفة فعلاجه النظر الى الخائفين
ومشاهدة احوالهم او سماع ذلك فان اخوف خلق الله
الانبيا والاوليا والعلما واهل البصيرة واعظم الخلق
امنا الغافلون الاغبياء الذين لا يمتد نظرهم الى السابقة
ولا الى الخاتمة ولا الى معرفة جلال الله تعالى وهذا كما ان
الصبي لا يخاف الحية ما لم ينظر الى ابيه يخافها ويهرب منها وترتعد
فرايصه اذا رآها فينظر اليه فينقلب ويشتد خوفه وان
لم يعرف بالحقيقة صفة الحية وقد قال صلى الله عليه وسلم
ما جاني جبرائيل عليه السلام قط الا وهو يرتعد فرايصه
فرقا من النار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرائيل
وميكائيل يبكيان فاوحى الله سبحانه اليهما ما لكما تبكيان قالا
يا رب ما نامن مكرك فقال تعالى هكذا كونا لا تامنا مكري
ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقيل لما خلق الله تعالى
النار طارت افئدة الملائكة عن اماكنها فلما خلق بني ادم
عادت وكان ازيز قلب ابراهيم عليه السلام يسمع في الصلوة

من مسيرة ميل وبقي داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا
لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه لطائر ليتني مثلك يا طائر لم اخلق وقال ابو ذر
رضي الله عنه وددت لو اني شجرة تعضد وقالت عائشة
رضي الله عنها وددت لو اني نسيا منسيا [اي تقطع] وقد حكينا احوال
الخائفين في كتاب الخوف فليتامل القاصر عن ذروة المعرفة
احوال الانبياء والاولياء والعارفين ليعلم انه احق بالخوف
منهم واذا تامل ذلك بالحقيقة غلبه خوفه **فصل** الخوف
سوط يسوق العبد الى السعادة ولا ينبغي ان يفرط بحيث
يورث القنوط فذلك مذموم بل اذا غلب ينبغي ان يمزج
الرجاء به نعم ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء ما دام العبد مقارنا
للذنوب فاما المطيع المتجرد لله تعالى فينبغي ان يعتدل خوفه
ورجاؤه مثل عمر رضي الله عنه حيث قال لو نودي ليدخل
الجنة جميع الخلق الا رجل واحد لرجوت ان اكون ذلك الرجل
واما اذا قرب الموت فالرجاء وحسن الظن بربه اولى به وقال
عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه والرجاء
بخلاف التمني فان من لا يتعاهد الارض ولا يبث البذر

ثم

[illegible]

ثم ينتظر الزرع فهو متمني مغرور وليس براج انما الراجي
من تعهد الارض وسقاها وبث البذر وحصل كل سبب
يتعلق باختياره ثم بقي يرجو ان يدفع الله الصواعق [اي الآفة]
والقواطع وان يمكنه من الحصاد بعد الانبات ولذلك قال
عز وجل ان الذين امنوا والذين هاجروا [اي رجعون عن المعاصي] وجاهدوا في
سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم وبالجملة
فثمرة الرجاء الترغيب في الطلب وثمرة الخوف الترغيب
في الهرب ومن رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه
واقل درجات الخوف ما يحمل على ترك الذنوب وعلى الاعراض
عن الدنيا وما لا يحمل على ذلك فهو حديث نفس وخواطر
لا وزن لها تشبه رقة النساء والاثمرة لها بل الخوف اذا
اتم اثمر الزهد في الدنيا فلنذكر الزهد ومعناه **الاصل
الثالث في الزهد** وقد قال الله تعالى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة [الدنيا] لنفتنهم فيه
ورزق ربك خير وابقى وقال من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
في الاخرة من نصيب وقال في حق قارون فخرج على قومه

مطلب الزهد

في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير لمن آمن وعمل صالحا فتبين ان الزهد ثمرات العلم وقال
صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره
وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا
الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همته وحفظ
عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة
ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام وعن معنى الشرح قال ان النور
رسول الله صلعم
اذا دخل القلب انشرح الصدر وانفسح قيل وهل لذلك من
علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال استحيوا من الله
حق الحياء قيل انا نستحي وقال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون
رسول الله صلعم
ما لا تاكلون وقال من زهد في الدنيا ادخل الله تعالى الحكمة قلبه او
انطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه
منها سالما الى دار السلام وقال عليه السلام لا يستكمل العبد
حقيقة الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف

وحتى

وحتى يكون قلة الشيء احب من كثرته وقال اذا اراد الله
بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب
نفسه وقال ازهد في الدنيا يحبك الله تعالى وازهد فيما في
ايدي الناس يحبك الناس وقال من اراد ان يؤتيه الله
علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا **فصل**
مطلب للزهد حقيقة واصل وثمرة
للزهد حقيقة واصل وثمرة اما حقيقته فهو عزوف النفس
اي احباب
عن الدنيا وانزواؤها عنها طوعا مع القدرة عليها
واصلها العلم والنور الذي يشرق في القلب حتى ينشرح به
الصدر ويتضح فيه ان الآخرة خير وابقى وان نسبة الدنيا الى
الآخرة اقل من نسبة خزفة الى جوهرة وثمرتها القناعة من
الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب والاصل نور
المعرفة فيثمر حال الانزواء ويظهر على الجوارح بالكف الا عن
مطلب الضروري من زاد الطريق مسكن وملبس ومطعم واثاث
قدر الضرورة في زاد الطريق والضروري من زاد الطريق
مسكن وملبس ومطعم واثاث اما المطعم فله طول وعرض
اما طوله فبالاضافة الى الزمان واقصر درجاته الاقتصار
على دفع الجوع في الحال فاذا دفعه غدوة لم يدخر شيئا
لعشائه واوسطه ان يدخر لشهر الى اربعين يوما فقط

وادناه ان يدخر لسنة فان جاوز ذلك خرج عن جميع ابواب
الزهد الا ان لا يكون له كسب ولا ياخذ من الايدي كداود
الطائي فانه ملك عشرين دينارا فامسكها وقنع بها عشرين
سنة فذلك لا يبطل مقام الزهد ودرجته في الاخرة الا
عند من يشترط التوكل في الزهد واما عرضه فاقله نصف
رطل واوسطه رطل واعلاه مد والزيادة عليه يبطل الزهد
واما الجنس فاقله ما يقوت ولو النخالة واوسطه خبز
الشعير واعلاه خبز البر غير منخول فان نخل فهو تنعم لا زهد
واما الادام فاقله الخل والبقل والملح واوسطه الادهان
واعلاه اللحم وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان دام
لم يكن صاحبه زاهدا قالت عائشة رضي الله عنها كان
ياتي اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم مصباح ولا نار وقيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم منذ قدم المدينة ثلثة ايام من خبز البر واما الملبس
فاقله ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد واعلاه قميص
وسراويل ومنديل من الجنس الخشن ويكون بحيث ان
غسل ثوبه لم يجد غيره فان كان صاحب قميصين لم يكن زاهدا

قال

قال ابو بردة اخرجت عائشة رضي الله عنها كساء ملبدا
وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
في هذين وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة لها
علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابو
جهم الحديث وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد
فلما سلم عن صلاته قال اعيدوا الشراك الخلق فاني نظرت
اليه في الصلاة وكان احتذى نعلين جديدين فاعجبه
حسنهما فخر ساجدا فقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي
خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى مسكين راه وقد
عد على قميص عمر رضي الله عنه اثنا عشرة رقعة بعضها من ادم
واشترى علي رضوان الله عليه في خلافته ثوبا بثلثة دراهم
وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من
رياشه وقال بعضهم قومت ثوب سفيان ونعليه بدرهم
ودانقين وقال علي رضوان عليه ان الله عز وجل اخذ على
ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي
بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره واما المسكن فادناه
ان يقنع بزاوية في مسجد او رباط كاهل الصفة واعلاه ان

المسكن

يطلب

لنفسه موضعا خاصا وهي حجرة اما بشراء او اجارة بشرط
ان لا يزيد سعته على قدر الحاجة ولا ينباه ولا يهتم بتجصيصه
وفي الاثر ان من رفع بناءه فوق ستة اذرع ناداه مناد
الى اين يا افسق الفاسقين ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج
خصا فقال ان الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام
بيتا من خص فقيل له لو شئت لاتخذته من الطين فقال
هذا كثير لمن يموت وقال عليه السلام من بنا فوق ما يكفيه
كلف ان يحمله يوم القيامة وقال كل بناء وبال على صاحبه يوم
القيامة الا ما اكن من حر وبرد واما اثاث البيت ففيه
ايضا درجات وادناها حال عيسى بن مريم عليه السلام اذ
لم يكن معه الا مشط وكوز فراى انسانا يمتشط باصابعه
فرمى المشط وراى آخر يشرب بيديه فرمى الكوز والاوسط
ان يجعل لجنس الحاجة واحدا في كل غرض ويجتهد ان يستعمل
واحدا في اغراض وقال عمر رضي الله عنه لعمير بن سعيد وهو
امير حمص ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكأ عليها

واحمل

واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيها طعامي ومعي
قصعتي آكل فيها واغسل راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل
فيها شرابي وطهوري فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع
لما معي فقال صدقت وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار
ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض
ثوبا وكان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام
عليه وسادة من ادم حشوها ليف وعباءة خشنة فهذه
سيرة الزهاد في الدنيا فمن حرم هذه الرتبة فلا اقل من
ان يحرص على فواتها ويجتهد ان يكون قربه منهم اكثر من قربه من
المتنعمين في الدنيا فصل الزهد على درجات احدها ان
يرى نفسه مائلة الى الدنيا ولكن يجاهدها وهذا التزهد
وليس بزاهد ولكن بداية الزهد الثانية ان تنفر نفسه
من الدنيا ولا تميل اليها لعلمه بان الجمع بينها وبين نعيم الاخرة غير ممكن
فتسمح نفسه بتركها كما تسمح نفس من يبذل درهما ليشتري
جوهرة وان كان الدرهم محبوبا عنده وهذا زهد الثالثة
ان لا تميل نفسه الى الدنيا ولا تنفر عنها بل يكون وجودها وعدمها
عنده بمثابة واحدة ويكون المال عنده كالماء وخزانة الله تعالى

كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه رغبة ونفورا وهذا هو الاكمل
لان الذي يبغض شيئا فهو مشغول به كالذي يحبه ولذلك
ذم الدنيا عند رابعة العدوية فقالت لولا قدرها ما ذكرتم
في ذمها وحمل الى عائشة رضي الله عنها مائة الف درهم
فلم تنقص عنها ولكن فرقتها في يومها فقالت خادمتها لو اشتريت
بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لو ذكرتني لفعلت فهذا
هو الغني وهو اكمل من الزهد ولكنه مظنة غرور الحمقاء فكل
مغرور يستشعر في نفسه ان لا علاقة لقلبه مع الدنيا وعلامة
ذلك ان لا يدرك الفرق بين ان يسرق جميع ماله او يسرق
مال غيره فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به **فصل** الزهد بكماله
هو الزهد في الزهد بان لا يعتد به ولا يراه منصبا فان من ترك
الدنيا وظن انه ترك شيئا فقد عظم الدنيا اذ الدنيا عند ذوي
البصائر لا شيء وصاحبها كمن منعه عن دار الملك كلب
على بابه فالقى اليه لقمة خبز وشغله به ودخل دار الملك وجلس
على سرير الملك فان الشيطان كلب على باب الله تعالى والدنيا
كلها اقل من لقمة بالاضافة الى الملك اذ اللقمة لها نسبة
الى الملك اذ يفنى بامثالها والاخرة لا يتصور ان يفنى بامثال
الدنيا

لان الدنيا لها نهاية

الدنيا لا نهاية لها **فصل** الزهد باعتبار الباعث
عليه درجات احدها اي الاولى ان يكون باعثه الخوف من النار
وهذا زهد الخائفين والثانية وهي اعلى منه ان يكون
باعثه الرغبة في نعيم الاخرة وهذا زهد الراجين و
العبادة على الرجاء افضل منها على الخوف لان الرجاء يقتضي
المحبة الثالثة وهي اعلاها ان يكون الباعث عليه
الترفع عن الالتفات الى سوى الحق تنزيها للنفس
عنه واحتقارا لما سوى الله وهذا زهد العارفين وهو
الزهد المحقق وما قبله معاملة اذ ينزل صاحبها عن شيء
عاجلا ليتعاض عنه اضعافه اجلا **فصل** الزهد باعتبار
ما فيه من الزهد على درجات وكماله الزهد في كل ما سوى
الله تعالى في الدنيا والاخرة ودونه الزهد في الدنيا خاصة
دون الاخرة ثم يدخل فيه كل ما فيه حظ وتمتع في
الدنيا من مال وجاه وتنعم ودون ذلك ان يزهد
في المال دون الجاه او في بعض الاشياء دون البعض
وذلك ضعيف لان الجاه الذ واشهى من المال فالزهد
فيه اهم **فصل** الزهد ان تتزوى عن الدنيا طوعا
اي ان تتنح

مع القدرة عليها اما ان زويت عنك وانت راغب فيها
فذلك فقر وليس بزهد ولكن للفقر ايضا فضل على الغني
لانه منع عن التمتع بالدنيا فهذا هو الافضل ممن مكن
من الدنيا والتمتع بها حتى الفها واطمأن اليها ولم يتجافى
قلبه عنها فيعظم الالم والحسرة عند الموت ويكون الدنيا
كانها جنته ويكون كانها سجن الفقير اذ يشتهي الخلاص
من آلامها والفقر من اسباب السعادة قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى يحمي عبده عن الدنيا وهو يحبه كما
يحمي احدكم مريضه عن الطعام والشراب وقال عليه السلام
يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائها بخمس مائة عام
وقال خير هذه الامة فقراؤها وقال اذا رايت الفقر
مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى
مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام
من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل يا رب
فقير واعلم ان الفقير ان كان قانعا بما اعطى غير شديد الحرص
على الطلب فدرجته قريب من درجة الزاهد قال صلى الله
عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا

وقنع

وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم الفقراء الصبر هم جلساء الله قريب الى رحمة
تبارك وتعالى وقال احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع
واوحى الله تعالى الى اسمعيل صلوات الله عليه وسلامه اطلبني
عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون
وعلى الجملة انما يعظم ثواب الله عز وجل للفقير عند القناعة
والصبر والرضى والصبر على الفقر مبدأ الزهد ولا تتم
هذه المقامات الا بالصبر فلنذكره **الاصل الرابع** في الصبر — مطلب في بيان الصبر
قال الله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وجمع للصابرين
بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال عز من قائل اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال
ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
وقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا
اي من بني اسرائيل
وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وذكر
الله سبحانه في القرآن الصبر في نيف وسبعين موضعا وقال
صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال من اقل ما اوتيتم
اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما
فاته من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز

الجنة

وسئل النبي عليه السلام مرة عن الايمان فقال هو الصبر وقال عيسى
عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون فصل
حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى
وهو من خاصة الآدمي الذي هو كالمركب من شعب ملكية و
بهيمية لان البهيمة لم يسلط عليها الا دواعي الشهوة والملائكة
لم يسلط عليهم الشهوة بل جردوا للشوق الى مطالعة جمال
الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها فهم يسبحون
الليل والنهار لا يفترون فليس فيهم داعية الشهوة فلم يتصور
الصبر للملك ولا البهيمة بل الانسان تسلط عليه جندان يتطاردان
احدهما من حزب الله وملائكته وهو العقل وبواعثه والثاني
من جنود الشيطان وهي الشهوة ودواعيها وبعد البلوغ يظهر
بواعث الدين والعقل اذ يحمل على النظر الى العواقب ويتدرج
بقتال جند الشيطان فان ثبت باعث الدين في مقابلة
باعث الهوى حتى غلبه فقد حصل مقام الصبر اذ لا يتصور
الا عند تعارض الباعثين على التناقض وذلك كالصبر على
شرب الدواء البشيع اذ يدعو اليه داعي العقل ويمنع منه
داعي الشهوة وكل من غلبته شهوته لم يقدم عليه ومن غلب

عقله

عقله شهوته فصبر على مرارته لينال الشفاء وشرط الايمان
انما يتم بالصبر لان حلية اعمال الايمان على خلاف باعث الشهوة
فلا يتم الا بثبات باعث الدين في مقابلته ولذلك قال الصوم
نصف الصبر لان الصبر تارة في مقابلة داعي الشهوة وتارة تكون
في مقابلة داعي الغضب والصوم هو كسر لداعية الشهوة
فصل الصبر ثلاث درجات بحسب ضعفه وقوته الدرجة
العليا ان تقمع داعية الهوى بالكلية حتى لا يبقى لها قوة للمنازعة
ويتوصل اليها بدوام الصبر وطول المجاهدة وذلك من الذين
قيل لهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية وهم ينادي
المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
الدرجة السفلى ان تقوى داعية الهوى وتسقط منازعة
باعث الدين وتغلب الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان
وذلك من الذين قيل فيهم ولكن حق القول مني لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين وعلامته شيئان احدهما
ان يقول انا اشتاق الى التوبة ولكن تعذر علي فلست
اطمع فيها وهذا هو القانط وهو الهالك الثاني ان لا يبقى
فيه شوق الى التوبة ولكن يقول الله كريم رحيم مستغن

عن توبتي فلا تضيق الجنة الواسعة والمغفرة الشاملة عني
وهذا المسكين قد صار عقله اسير شهوته فلا يستعمل الا
في استنباط حيل قضاء الشهوة فصار عقله كالمسلم الاسير
بين الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور
وحملها على العنق والنظر الى اسيرتهم فانظر كيف يكون حال العبد
اذا اخذ اعز اولاد الملك وسلمه الى اخس اعدائه حتى
استرقه واستسخره ففي مثل حاله يكون قدوم هذا الغافل المنهمك
على الله تعالى نعوذ بالله منه الدرجة الوسطى ان لا يفتر على المحاربة
ولكن يكون الحرب بينهما سجالا تارة له اليد وتارة عليه اليد
وهذا من المجاهدين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا الاية وعلامة هذا ان يترك من الشهوات ما هو اضعف
ويعجز عما هو اغلب وربما يغلبها في بعض الاوقات دون
بعض وهو في جميع الاحوال متحسر على عجزه ومتشمر المعاودة
الى مجاهدته وقتاله وذلك هو الجهاد الاكبر ومن اعطى واتقى
وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وبالجملة فقد قصر عن
البهيمة التي لم تقاوم بقوة عقله شهوته وقد امد بالعقل
وحرم عنه البهيمة ولذلك قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم
افضل

افضل سبيلا **فصل** اعلم ان الحاجة الى الصبر عامة في جميع
الاحوال لان جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو عن
نوعين فانه اما ان يوافق هواه او يخالفه فان وافق هواه
كالصحة والسلامة والثروة والجاه وكثرة العشيرة (والانصار) فما احوجه
الى الصبر معها فانه ان لم يضبط نفسه طغى وانهمك في التنعم (الى التعب)
واتباع الشهوات ونسي المبدا والمنتهى ولذلك قالت الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين بلينا بفتنة الضراء فصبرنا
وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك قيل يصبر على البلاء كل مؤمن
ولا يصبر على العافية الا صديق ومعنى الصبر فيها ان لا يركن اليها
ويعلم ان كل ذلك وديعة عنده ويرجع على القرب وان لا ينهمك
في الغفلة والتنعم ويؤدي حق شكر النعم وذلك مما يطول النوع
الثاني ما يخالف الهوى وذلك اربعة اقسام الاول الطاعات
والنفس تنفر عن بعضها بمجرد الكسل كالصلاة وعن بعضها
بالبخل كالزكاة وعن بعضها بهما جميعا كالحج والجهاد والصبر
على الطاعة من الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر في ثلثة
احوال احدها اول العبادة بتصحيح الاخلاص والصبر عن
شوائب الرياء ومكايد الشيطان ومكايد النفس وغرورها

الثانية حالة العمل كيلا يتكاسل عن تحقيق اداته بفرضه
وسننه ويبدع على شرطه كالادب مع حضور القلب
ونفي الوسواس الثالثة بعد الفراغ وهو ان يصبر على كتمه
وافشائه للتظاهر به رياء وسمعة ونحو ذلك من الصبر الشديد
على النفس القسم الثاني المعاصي وقد قال صلى الله عليه
وسلم المجاهد من جاهد هواه والمهاجر من هجر السوء
والصبر على المعاصي اشد لا سيما عن معصية صارت عادة
مألوفة اذ يتظاهر فيه على بواعث الدين جندان جند الهوى
وجند العادة فان انضم الى ذلك سهولة فعل وخفة المؤنة
فيه لم يصبر عنها الا صديق وذلك كمعاصي اللسان فانها هينة
سهلة وذلك كالغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس
ويحتاج في دفع ذلك الى اشد انواع الصبر القسم الثالث
ما لا يرتبط باختيار العبد ولكن له اختيار في دفعه و
تداركه كالذي يناله من غيره بيد او لسان فالصبر على ذلك
بترك المكافات تارة يجب وتارة يستحب وقال بعض الصحابة
ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى قال الله
عز وجل ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون

وقال

وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين
القسم الرابع ما لا يدخل اوله وآخره تحت الاختيار كا
المصائب بموت الاعزة وهلاك الاموال والمرض وذهاب
اي كموت اولاده واحبابه
بعض الاعضاء وساير انواع البلاء والصبر عليه من اعلى
المقامات قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القران
على ثلاث مقامات صبر على اداء الفرائض وله ثلثمائة درجة
وصبر على محارم الله تعالى وله ستمائة درجة وصبر على مصيبة
عند الصدمة الاولى وله تسع مائة درجة وقال صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم
يشتكي الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه
من العباد
فاذا ابرأته ابرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي و
وقال اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله
او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة
ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عليه السلام
انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال من اجلال الله تعالى ومعرفة
حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك فقد عرفت

انك لا تستغني عن الصبر في جميع احوالك وبه يظهر انه
شطر الايمان وشطره الآخر فيما يتعلق بالاعمال وهو الشكر
فقد قال صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر و
نصف شكر وهذا باعتبار النظر الى الاعمال والتعبير بالايمان
عنها الاصل الخامس الشكر قال الله تعالى وقليل من عبادي
الشكور وقال لئن شكرتم لازيدنكم وقال واشكروا لي ولا
تكفرون وقال وسيجزي الله الشاكرين وقال ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وقال النبي صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر
منزلة الصايم الصابر عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبكي في تهجده فقالت عائشة رضي الله عنها وما يبكيك وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون
عبدا شكورا وقال ينادي يوم القيامة ليقم الحامدون فيقوم
زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون
قال الذين يشكرون الله على كل حال وقال الحمد رداء الرحمن
فصل اعلم ان الشكر من المقامات العالية وهو اعلى من
الصبر والخوف والزهد وجميع المقامات التي سبق ذكرها
لانها ليست مقصودة في انفسها وانما يراد لغيرها فالصبر يراد

منه

منه قهر الهوى والخوف سوط يسوق الخائف الى المقامات
المقصودة المحمودة والزهد هرب من العلائق الشاغلة
عن الله تعالى واما الشكر فمقصود في نفسه ولذلك لا ينقطع
في الجنة وليس فيها توبة ولا خوف ولا صبر ولا زهد و
الشكر دايم في الجنة ولذلك قال الله تعالى وآخر دعواهم ان
الحمد لله رب العالمين وتعرف ذلك بان تعرف حقيقة الشكر
وانه ينتظم من علم وحال وعمل اما العلم فالعلم بالنعمة والمنعم
بان النعم كلها من الله تعالى وهو المنعم بجميعها والوسايط كلهم
مسخرون مقهورون وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد
فانهما داخلان فيه بل الرتبة الاولى في معارف الايمان
التقديس ثم اذا عرفت ذاتا مقدسة وعرفت انه لا مقدس
الا واحد فهو التوحيد ثم اذا علمت ان كل ما في العالم فهو
موجود من ذلك الواحد والكل نعمة منه خاصة فهو الحمد والى
هذا الترتيب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان
الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة
ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وهذا لان التقديس
والتوحيد داخلان في الحمد وزيادة وهذه الوريقات بازاء

بإزاء هذه المعارف وأما حركة اللسان فمفضلها بحسب صدورها
عن المعرفة أو تجديدها للاعتقاد في القلب فإن القلم آلة لإزالة
الغفلة لينمحي أثرها واعلم أنك إذا اعتقدت أن لغير الله دخلاً
في النعمة الواصلة إليك لم يصح حمدك ولم تتم معرفتك وشكرك
وكنت كمن يخلع عليه الملك وهو يرى أن لعناية الوزير
دخلاً في خلعة الملك أو في إيصالها إليه أو في تيسيرها وكل ذلك
إشراك في النعمة وتوزيع فرحك بالنعمة عليهما نعم لو رأيت
الخلعة الواصلة إليك بتوقيع الملك بقلمه فذلك لا ينقص من
شكرك لأنك تعلم أن القلم مسخر له لا دخل له في النعمة بنفسه فإنك
لا يلتفت قلبك إلى الفرح بالقلم والشكر له وكذلك قد لا يلتفت
إلى الخازن والوكيل إذ يعلم أنهما مضطران إلى العطاء بعد الأمر
مسخران لا مدخل لهما بأنفسهما في النعمة فكذلك من انفتحت
بصيرته علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمر الله تعالى كا
لقلم والكاغد في التوقيع وأن قلوب الخلق خزائن الله تعالى
ومفاتيحها بيد الله عز وجل فيفتحها بأن يسلط عليها دواعي
جازمة حتى يعتقد أن خيرها في البذل فلا يعقد ذلك لا
يستطيع ترك البذل فيكون مضطرا إلى الاختيار لما سلط عليه

من دواعي

من دواعي الاختيار فإنه لا يعطيك أحد شيئا إلا لغرض نفسه
ليستفيد به في الآجل ثوابا وفي العاجل ثناء وذكرا أو غير
ذلك وما لم يعلم أن منفعته في منفعتك فلا يعطيك فإذا ليس
هو منعما عليك إذ سعى لنفسه إنما المنعم عليك من سخره و
سلط هذه الدواعي عليه وقرر في نفسه أن غرضه منوط
بالأداء والإنعام فإن عرفت الأمور كذلك كنت موحدا و
تصور منك الشكر بل بهذه المعرفة هي عين الشكر قال موسى عليه
السلام في مناجاته إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت
فكيف شكرك قال علم أن ذلك مني فكان معرفته ذلك شكره الأصل الثاني
الحالة المستمدة من المعرفة وهي الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع
والإجلال ومن يرسل إليه بعض الملوك فرسا فيتصور أن
يفرح به من ثلاثة أوجه أحدها من حيث إنه ينتفع بالفرس
أو من حيث يستدل به على عناية الملك بشأنه وإنه سينعم
عليه بما هو أعظم منه أو من حيث إن الفرس يكون مركبا له
حتى يسافر إلى حضرة الملك ويخدمه والأول ليس من الشكر
في شيء فإنه فرح بالنعمة لا بالمنعم والثاني داخل في الشكر
شيئا لكنه ضعيف بالإضافة إلى الثالث فكمال الشكر أن يكون

الفرح بما يفتح اليه تعالى من نعم لا بالنعمة من حيث هي نعمة بل
بها من حيث انها وسيلة اذ بنعمته يتم الصالحات وعلامة
هذا ان لا يفرح بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى بل يغتم بها
ويفرح بما زوى الله تعالى عنه من شغل الدنيا وفضولها وهذا
اكمل الشكر فمن لم يستطع فعليه بالثاني واما الاول يفرح
بالنعمة لا بالمنعم وليس ذلك من الشكر في شيء الركن الثالث
العمل وذلك بان يستعمل نعمه في محابه لا في معاصيه وهذا
لا يقوم به الا من عرف حكمة الله تعالى في جميع خلقه وانه لما
ذا خلق كل شيء وشرح ذلك يطول وقد ذكرنا منه طرفا في
الاحياء وجملته ان تعلم مثلا ان العين نعمة منه فشكرها ان
تستعملها في مطالعة كتاب الله وكتب العلم ومطالعة السموات
لتعتبر بها وتعظم خالقها وان تستر كل عورة يراها من المسلمين
وتستعمل اذنه في سماع الذكر وما ينفعه في الآخرة ويعرض
عن الاصغاء الى الملاهي والفضول وتستعمل اللسان في ذكر
الله تعالى والحمد له واظهار الشكر منه دون الشكوى ومن سئل
عن حاله فشكا فهو عاص لانه شكا ملك الملوك الى عبد ذليل
لا يقدر على شيء فان شكر فهو مطيع واما شكر القلب فيستعمله

في الفكر

في الفكر والذكر والمعرفة واضمار الخير للخلق وحسن النية
وكذلك في اليد والرجل وساير الاعضاء والاموال وغير ذلك
مما لا ينحصر فصل اعلم انه انما يتمكن في كمال الشكر من
شرح الله صدره فهو على نور من ربه يرى في كل شيء حكمة
وان سره محبوب الله فيه ومن لم ينكشف له ذلك فعليه باتباع
السنة وحدود الشرع فتحتها اسرار الشكر وليعلم انه لو
نظر الى غير محرم مثلا فقد كفر نعمتي العين ونعمة الشمس
وكل نعمة لا تتم النظر اليها الا بها فان الابصار انما يتم بالعين
وبنور الشمس والشمس انما يتم بالسموات فكانها كفر نعمة الله
تعالى في السموات والارض وقس على هذا كل معصية فانها
انما تتمكن باسباب تستدعي وجود جميعها خلق السموات
والارض ولهذا غور عميق اشرنا اليه في كتاب الشكر من
كتاب الاحياء ونكتفي ههنا بمثال واحد وهو ان الله
تعالى خلق الدراهم والدنانير ليكون حاكمة في الاموال كلها
يعرف بها القيم ولولاها لتعذرت المعاملات اذ لا يدري
كيف يشترى الثياب بالزعفران والدواب بالاطعمة فانها
لا مناسبة بينهما وانما يشترى كان في روح المالية ومعيار

خلق الدراهم والدنانير لتكون حاكمة في الاموال كلها

مقدار ارواحها هو النقدان فمن كنزهما كان كمن حبس
حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت الاحكام [اي الدراهم والدنانير] ومن اتخذ
منها آنية كان كمن استعمل حاكما من حكام المسلمين في
الحياكة والفلاحة [من الدراهم والدنانير] التي يقدر عليها كل احد حتى تعطل الحكم
وذلك اشد من الحبس ومن اربى فيهما وجعلهما مقصد
تجارته بالمصارفة بين جيدهما [من الربا] ورديهما كان كمن شغل
الحاكم عن الحكم فاتخذه سخرة لنفسه ليحتطب ويكنس له
ويكتسب له القوت وكل ذلك ظلم وتغيير لحكم الله عز وجل في
خلقه وعباده ومضادات الله تعالى في محابه ومن لا ينكشف
له بنور البصيرة هذه الاسرار عرف على لسان الشرع [اي الشرع] صورته
دون معناه وقيل له الذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الى قوله تكنزون
وقيل من شرب في اناء من ذهب او فضة فكانما يجرجر في
بطنه نار جهنم وقيل الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما
يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس الآية فالصالحون
يقفون على الحدود ولا يعرفون اسرارها والعارفون
اذا اطلعوا على الاسرار بانفسهم وشاهدهم واشواهد

الشرع

الشرع ازدادوا نورا على نور والعميان الجاهلون
يحرمون الوقوف على الحدود والعثور على الاسرار جميعا
فلا هم كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام وهم الذين قال
[الله] فيهم ولكن حق القول مني الآية وقال تعالى افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى الآية وقال
ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الى قوله فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى [اي ضيقا] وآيات الله حكمته في خلقه وقد القيت
الى الخلق على لسان الانبياء صلوات الله عليهم كما فصلت
في جملة الشريعة من اولها الى آخرها وما من حد من حدود
الشرع الا وفيه سر وخاصية وحكمة يعرفها من يعرفها
وينكرها من يجهلها وشرح ذلك طويل فليطلب من كتاب
الشكر ولا تصور تمام الشكر الا ممن قام لله تعالى وحده
مخلصا لا رغبة فيه لغيره فلنذكر الاخلاص والصدق

الاصل السادس في الاخلاص والصدق اعلم ان الاخلاص
حقيقة واصلا وكمالا فهذه ثلاثة اركان واصل النية اذ
فيها الاخلاص وحقيقته نفي الشوب عن النية وكماله
الصدق الركن الاول النية وقد قال الله تعالى ولا تطرد الذين

مطلب في الاخلاص والصدق

يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ومعنى النية
ارادة وجهه وقال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات الحديث
وقال ان الملائكة ترفع صحيفة عمل العبد فيقول الله تعالى
القوها فانه لم يرد بها وجهي واكتبوا له كذا وكذا فيقول
الملائكة انه لم يعمل منها شيئا فيقول الله عز وجل انه نواه انه نواه
وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل اتاه الله علما ومالا
فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله ما اتاه لعملت
كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما
فهو يخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني الله تعالى ما اتاه لعملت
كما يعمل فهما في الوزر سواء وقال من غزا ولا ينوي الا عقالا
فله ما نوى ويقال ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان رمل في ايام
قحط فقال في نفسه لو كان هذه الرمل طعاما لقسمته بين الناس
فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وشكر
حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقال
عليه السلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول
في النار فقيل ما حال المقتول فقال اراد قتل صاحبه وقال من
تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداه فهو زان ومن

اي على صداق دين

اذان

اذان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق فصل حقيقة
النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة
وبيانه ان جميع اعمالك لا تصح الا بقدرة وارادة وعلم والعلم
ينتج الارادة والارادة باعثة للقدرة والقدرة خادمة
الارادة بتحريك الاعضاء مثاله انه خلق فيك شهوة الطعام الا
انها قد تكون فيك راكدة كانها نائمة واذا وقع بصرك على طعام
حصلت المعرفة بالطعام فانتهضت الشهوة للطعام فامتدت
اليد اليه وانما امتدت بالقوة التي فيها المطيعة لاشارة الشهوة
باليد فانتهضت الشهوة بحصول المعرفة المستفادة من طليعة
الحس وكما خلق فيك شهوة الى الاشياء الحاضرة خلق فيك
ايضا ميلا الى اللذات الاجلة ينتهض ذلك الميل باشارة المعرفة
الحاصلة من العقل والقدرة ايضا تخدم هذا الميل بتحريك
الاعضاء فالنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة
والذي يغير وقد يكون الباعث له ميلا الى المال فذلك
نية وقد يكون الباعث ميلا الى ثواب الاخرة فذلك نية
فاذا النية عبارة عن الارادة الباعثة ومعنى اخلاصها
تصفية الباعث عن الشوب فصل اذا حصل العمل بباعث

اختلاف

النية فالنية فالعمل بهما تمام العبادة فالنية احد جزئي العبادة
لكنها خير الجزئين لان الاعمال بالجوارح ليست مرادة الا لتاثيرها
في القلب ليميل الى الخير وينفر عن الشر فيتفرغ للفكر والذكر
الموصلين له الى الانس والمعرفة اللذين هما سبب سعادته
في الاخرة فليس المقصود من وضع الجبهة على الارض وضع
الجبهة على الارض بل خضوع القلب ولكن القلب يتاثر
بالاعمال الجوارح وليس المقصود من الزكاة ازالة الملك
بل ازالة رذيلة البخل وهو قطع علاقة القلب من المال
وليس المقصود من الضحية لحومها ولا دماؤها ولكن
استشعار القلب للتقوى بتعظيم شعاير الله تعالى والنية عبارة
عن نفس ميل القلب الى الخير فهو متمكن في حدقة المقصود
فهو خير من عمل الجوارح الذي اختاره منه سراية اثره الى
محل المقصود وهو القلب ولذلك يورث جميع اعمال
القلب دون الجوارح اثرا او عمل الجارحة دون حضور
القلب هباء ولا اثر له ومثالهما قصد معالجة المعدة فما يصل
من الادوية بالشرب اليها انفع مما يطلى به ظاهر المعدة ليسري
اليها اثره وكذلك اذا لم يسر اثر الطلاء الى المعدة كان باطلا

وبهذا

وبهذا التحقيق يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن
خير من عمله **فصل** اذا عرفت فضل النية وانها تحل حدقة
المقصود فيعترفيها فاجتهد ان تستكثر من النية في جميع
اعمالك حتى تنوي بعمل واحد نيات كثيرة ولو صدقت رغبتك
هديت لطريقه وبكفيك مثال واحد وهو ان الدخول في
المسجد والقعود فيه عبادة ويمكن ان ينوي فيه ثمانية
امور اولها ان يعتقد انه بيت الله عز وجل وان داخله
زاير الله تعالى فينوي ذلك قال عليه السلام من قعد في المسجد
فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زايره ثانيها نية المرابطة
لقول الله تعالى وصابروا ورابطوا وقيل معناه انتظار الصلاة
بعد الصلاة وثالثها الاعتكاف ومعناه كف السمع والبصر
والاعضاء عن الحركات المعتادة فانه نوع صوم قال صلى الله
عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها
الخلوة ودفع الشواغل للزوم السر للفكر في الاخرة وكيفية
الاستعداد لها وخامسها التجرد للذكر وسماعه او اسماعه
لقوله صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى او يذكر
به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى وسادسها ان يقصد افادة

علم وتنبيه من يسيء الصلاة ونهيًا عن منكر وامرًا بمعروف
حتى يتيسر بسببه خيرات ويكون شريكًا فيها وسابعها ان يترك
الذنوب حياءً من الله عز وجل بان يحسن نيته في نفسه
وقوله وعمله حتى يستحيي منه من رآه ان يقارف ذنبًا وثامنها
ان يستفيد اخًا في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة
والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله في الله وقس
على هذا سائر الاعمال فباجتماع هذه النيات تزكو الاعمال
وتلتحق باعمال المقربين كما انه بنقيضها تلتحق باعمال الشياطين
كمن يقصد من القعود في المسجد التحدث بالباطل والتفكه
باعراض الناس ومجالسة اخوان اللهو واللعب وملاحظة
من يجتاز به من النسوان والصبيان ومناظرة من ينازعه
من الاقران على سبيل المباهاة او المراياة باقتناص قلوب
المستمعين لكلامه وما يجري مجراه وكذلك لا ينبغي ان يغفل في
المباحات عن حسن النية ففي الخبر ان العبد يسئل يوم القيامة
عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعه
وعن لمس ثوب اخيه ومثال النية في المباحات ان من تطيب
يوم الجمعة يمكنه ان يقصد التنعم بلذته او التفاخر باظهار ثروته

او

او التزويق للنساء او اخوان الفساد ويتصور ان ينوي
اتباع السنة وتعظيم بيت الله تعالى واحترام يوم الجمعة ودفع
الاذى عن غيره بدفع الرائحة الكريهة وايصال الراحة
اليهم بالرائحة الطيبة وحسم باب الغيبة اذا شموا منه
رائحة كريهة والى الفريقين الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم من تطيب في الله جاء يوم القيامة وريحه اطيب من
المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن
من الجيفة **فصل** اعلم ان النية لا تدخل تحت الاختيار فلا
ينبغي ان تغتر فتقول بلسانك وقلبك نويت من القعود في
المسجد كذا وكذا او تظن انك قد نويت اذا عرفت من قبل
ان النية هي الباعث المحرك الذي لولاه لم يتصور وجود
العمل والنية المتكلفة كقول القائل نويت ان احب فلانا او
اعشقه او نويت ان اعطش او اجوع او اشبع فان لكل
هذه دواعي وصوارف وتحققها باسبابها اذ لا يتصور
حصولها دون اسبابها وقول القائل نويتها قبل تحققها حديث
نفس لا نية فمن غلب على قلبه شهوة الوقاع من اين ينفعه
قوله نويت الوطء لحراثة الولد وتكثير عدد من به المباهاة

بل لا تظفر بانبعاث هذه النيات من قلبك الا اذا قوي ايمانك
وتمت معرفتك بحقارة الحظوظ العاجلة وعظم ثواب الاخرة
حتى اذا غلب ذلك عليك انبعثت منك الرغبة ضرورة في كل
ما هو وسيلة الى ثواب الاخرة وان لم ينبعث فلا نية لك ولمثل
هذا توقف السلف في جملة من الخيرات حتى روي ان محمد ابن
سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني
النية وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال
بعضهم انا في طلب نية لعبادة رجل منذ شهر فما صحت لي نية
بعد ومن عرف حقيقة النية وعلم انها روح العمل فلا يتعب
نفسه بعمل لا روح له وتحقق ذلك ان المباح قد يصير افضل
من العبادة اذا حضرت فيه نية فمن له نية في الاكل والشرب
ليقوى على العبادة وليس ينبعث له نية الصوم في الحال
فالاكل اولى له ومن مل العبادة وعلم انه لو نام لعاد نشاطه
فالنوم افضل له بل لو علم مثلا ان الترفه بمداعبة (اي اهله وعياله) وحديث
مزاح في ساعة يرد نشاطه فذلك افضل له من الصلاة مع
الملال قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وقال
ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك

عونا

عونا لي على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا النفوس فانها
اذا اكرهت عميت وهذه دقائق يستثقلها الظاهريون
من الفقهاء كما يستثقل الطبيب الضعيف من الاطباء معالجة
المحرور باللحم والحاذق منهم قد يامر به ليعيد قوة المريض
حتى يحتمل الدواء النافع بعده الركن الثاني في اخلاص
النية وقد قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء وقال الا لله الدين الخالص وقال
الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم
لله وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الاخلاص سر من
سري استودعته قلب من احببت من عبادي وقال لمعاذ
اخلص العمل يجزك القليل منه وقال ما من عبد يخلص
العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه

حقيقة الاخلاص

فصل حقيقة الاخلاص تجرد الباعث الواحد وتنقيته
الاشراك وهو ان يشترك باعثان وكل ما يتصور ان يمازجه
غيره فاذا صفا عن كل شوب منه سمي مخلصا وقد عرفت
ان النية هي الباعث فمن لا يعمل الا للريا فهو مخلص ومن
لا يعمل الا لله فهو مخلص ولكن خصص الاسم باحد الجانبين

بالعبادة كالالحاد فانه ميل ولكن خصص بالميل الى الباطل
وزوال الاخلاص بشوائب الرياء قد ذكرناه ولكن قد يزول
باعراض اخر فان الصائم قد يقصد مع العبادة ان ينتفع
بالحمية الحاصلة بالصوم وقد يقصد المعتق ان
يتخلص بالعتق من مؤونة العبد وسوء خلقه والحاج
يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او يهرب من مشقة تعهد العيال
او من ايذاء الاعداء او من التبرم بالمقام مع الاهل ويتعلم
العلم ليسهل عليه طلب المعاش او يكون محترم وسابغ العلم عن الظلم اي المتعلم قد
او يكتب مصحفا ليجود خطه او يحج ماشيا ليخفف مؤونة الكراء
او يتوضأ ليتنظف او يتبرد او يغتسل لتطيب رائحته او يعتكف
ليخف عليه كراء المسكن او صام ليخفف عن نفسه تعب الطبخ
وشراء الطعام او تصدق ليدفع عن نفسه ابرام السائل
او يعود مريضا ليعاد اذا مرض فهذه الاعراض قد تتجرد وقد
يشوب قصد العبادة شوبا خفيا فاذا خطر شيء من هذه
الاعراض في الفعل فقد ذهب الاخلاص وذلك عسير جدا او
لذلك قال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن ذلك
عزيز وقال ابو سليمان الداراني طوبى لمن صحت له خطوة واحدة

لا يريد

لا يريد بها الا الله عز وجل وكان معروف الكرخي يضرب نفسه
ويقول يا نفسي اخلصي تتخلصي **فصل** اعلم ان امتزاج
هذه الشوائب على مراتب فانها قد تغلب وقد تكون
مغمورة وقد تكون مساوية لقصد العبادة ولا تحبط اصل
الثواب في المباحات وفيما يبقى يشوب من ارادة الله عز وجل
وله ثواب بقدر ذلك الشوب والباقي لا ثواب عليه فاما
اذا كان في العبادة امر بان يخلصها لله تعالى فان كان الشوب
غالبا بطلت العبادة وان كان مساويا او مغلوبا بطل الاخلاص
ولكن هل يتوقف انعقاد العبادة وحصول اصلها على انتفاء
الشوائب كلها فيه نظر اشرنا اليه في الرياء ويطلب استقصاؤه
من كتاب الاحياء الركن الثالث الصدق وهو كمال
الاخلاص قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصدق ويتحرى
الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وقال الله تعالى واذكر
في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ويكفي بفضيلة الصدق
ان يدرك به فضيلة الصديقين واعلم ان للصديق مراتب
ستا من بلغ في جميعها رتبة الكمال استحق اسم الصديق اولها

في القول في جميع الاحوال ما يتعلق بالماضي والمستقبل و
الحال ولهذا الصدق كمالان احدهما الحذر عن المعاريض
ايضا فانه وان كان صدقا في نفسه يفهم خلاف الحق
والمحذور من الكذب تفهيم خلاف الحق اذ اكتسب القلب
صورة معوجة كاذبة بازاء كذب اللسان واذا مال وجه
القلب من الصحة الى الاعوجاج لم ينجل الحق له على الصحة حتى
لا يصدق رؤياه والمعاريض لا تقع في هذا المحذور لانه
صدق في نفسه لكن يوقع في المحذور الثاني وهو تجهيل
المغي فلا ينبغي ان يفعل ذلك الا لغرض صحيح وكماله الثاني ان
يرعى الصدق في الفاظه مع الله تعالى فاذا قال وجهت وجهي (اي الصدق)
وفي قلبه في تلك الحالة شيء سوى الله عز وجل فهو كاذب
واذا قال اياك نعبد وهو مع ذلك عبد للدنيا او النفس
او لغيره لم يمكنه تحقيق صدق هذا الكلام في القيامة ولذلك
قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم تعس (اي هلك) عبد الدرهم والدينار الصدق الثاني في
النية وهو ان تمحض فيه داعية الخير فان كان فيه شوب
فقد فات الصدق يقال هذا صادق الحموضة وصادق

للحلاوة

[illegible]

للحلاوة اذا كان محضا يرجع هذا الى نفس الاخلاص
والصدق الثالث في العزم فان العبد قد يعزم على التصدق
ان رزق مالا او على العدل ان رزق الولاية وعزمه تارة
تكون مع ضعف وتردد وتكون بجزم فاقويا لا تردد فيه فالجزم
القوي يسمى قويا صادقا كما وجبه (وتارة) عمر من نفسه رضي الله
عنه حيث قال لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان
اتأمر على قوم فيهم ابو بكر ودرجات عزم الصديقين في القوة
متفاوتة واقصاها ان تنتهي الى الرضا بضرب الرقبة
دون الحقيقة والصدق الرابع الوفاء بالعزم فان النفس
قد تسخو بالعزم اولا ولكن عند الوفاء ربما تتوانى عن كمال
التحقيق لان المؤنة في العزم هين وانما المشقة في التحقيق
ولذلك قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال و
ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
الى قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا
الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الصدق الخامس في
الاعمال بان يكون بحيث لا يدل على شيء من الباطن الا والباطن

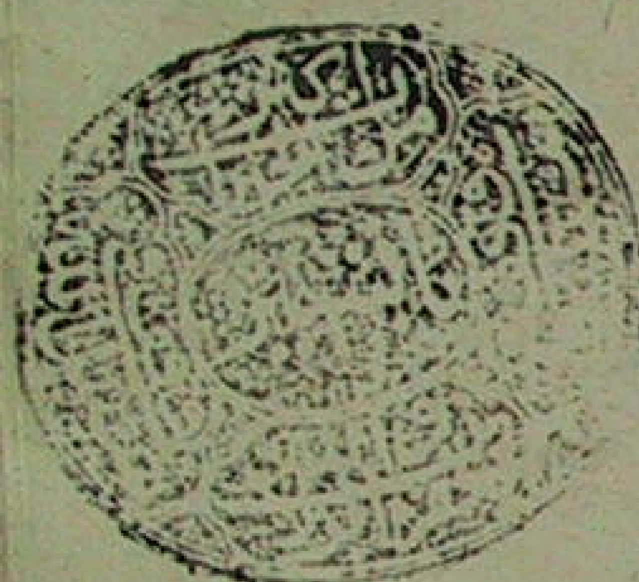
مطلب الصدق في العزم

مطلب الصدق الوفاء بالعزم

مطلب الصدق في الاعمال

متصف به ومعناه استواء السريرة والعلانية فالماشي على هدو
يدل بحاله على انه ذو وقار في باطنه فان لم يكن كذلك في الباطن
والتفت قلبه الى ان يخيل الى الناس انه ذو وقار في باطنه
فذلك الرياء وان لم يلتفت الى الخلق قلبه ولكنه غافل فليس
ذلك برياء ولكن يفوت به الصدق ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي
صالحة وقال عبد الواحد كان الحسن البصري اذا امر بشيء
كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شيء كان من اترك الناس
له ولم ار قط احدا اشبه سريرته بعلانيته منه الصدق السادس
وهو اعلى ابواب الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجاء
والحب والرضاء والتوكل وغيرها فان لهذه المقامات اوايل
ينطلق الاسم بها ولها حقايق وغايات اذ يقال هذا هو الخوف
الصادق وهي الشهوة الصادقة ولذلك قال الله تعالى انما
المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك
هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
الآية فهذه درجات الصدق فمن تحقق في جميعها فهو صديق
ومن لم يصب بعضها فرتبته بقدر صدقه ومن جملة الصدق

تحقق



حقق القلب بان الله تعالى هو الرزاق والتوكل عليه فلنذكره
الاصل السابع في التوكل في التوكل قال الله تعالى وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقال تعالى فتوكلوا ان كنتم مومنين وقال تعالى ان الله
يحب المتوكلين وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال
اليس الله بكاف عبده وقال ان الذين يعبدون من دون
الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال النبي
صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال من انقطع
الى الله كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب
ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وكان اذا اصاب اهله
خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا امرني ربي
فقال وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا
نحن نرزقك والعاقبة للتقوى **فصل** حقيقة التوكل عبارة
عن حالة تصدر عن التوحيد ويظهر اثرها على الاعمال فله
ثلاثة اركان المعرفة والحال والعمل الركن الاول المعرفة
وهي الاصل واعني بها التوحيد فانه انما يتوكل على الله من لا
يرى فاعلا سوى الله وكمال هذه المعرفة يترجمه قولك لا اله

الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير اذ فيه
ايمان بالتوحيد وكمال القدرة والجود والحكم التي يستحق بها
الحمد فمن قال ذلك صادقا مخلصا فقد تم توحيده وثبت في
قلبه الاصل الذي منه ينبعث حال التوكل واعني بالصدق
منه ان يصير معنى القول وصفا لازما لذاته غالبا على قلبه لا يتسع
لتقدير غيره فصل لهذا التوحيد له لبابان وقشران فطباقته
اربع كاللوز له لب ثم الدهن لب لبه والقشرة العليا قشر قشره
فالقشرة العليا القول باللسان الجحد الثانية الاعتقاد بالقلب
جزما وهو درجة عوام الخلق ودرجة المتكلمين اذ لا يتميزون
عن العوام الا بصنعة الحيلة في دفع تشويش المبتدعة عن هذه
الاعتقادات الثالثة وهي اللب ان ينكشف بنور الله عز وجل
حقيقة هذا التوحيد وهو بالحقيقة وذلك بان يرى الاشياء الكثيرة
ويعلم انها كلها صادرة عن فاعل واحد على الترتيب وذلك بان
تعرف سلسلة الاسباب وكيفية تسلسلها وارتباطها وان السلسلة
بحسب الاسباب وصاحب هذا المقام بعد في تفرقة لانه يرى
الافعال وكثرتها وارتباطها بالفاعل الرابعة هو لب اللب ان
لا يرى في الوجود الا واحدا ويعلم ان الموجود بالحقيقة واحد

وانما

وانما الكثرة منه في حق من تفرق نظره كالذي يرى من الانسان
فقط ارجله ثم يديه ثم وجهه ثم راسه فيغلب عليه كثرته فان
راى الانسان جملة واحدة لم يخطر بباله الاحاد بل كان يذكر
الشي الواحد فكذلك الموحد لا يفرق نظره بين السماء
والارض وساير الموجودات بل يرى الكل في حكم الشي الواحد
وهذا له غور يستدعي كشفه تطويلا فاطلبه من كتاب التوحيد
والشكر من كتب الاحياء لتقف على تلويحات منه والفناء
في التوحيد والشكر انما يقع في هذا التوحيد وذلك بان يصير مستغرقا
بالواحد الحق لا يلتفت قلبه الى غيره ولا الى نفسه فان نفسه
من حيث هي نفسه غير الله وان لم يتحقق له معنى الغيرية بنظر
آخر واعتبار على وجه آخر فصل حقيقة التوكل انما يستدعي
توحيد الفعل ولا يستدعي الفناء في توحيد الذات بل المتوكل
يجوز ان يرى الكثرة والاسباب والمسببات نعم ما عندي ان ذلك
يخفي عليك فيما يدخل فيه اختيار الادميين فانك اذا رايت
المطر سببا في النبات فتعلم ان المطر مسخر بواسطة الغيم والغيم
مسخر بواسطة الريح والبخرة الجبال وكذلك الجبال جمادات
مسخرة الى ان ينتهى الى الاول لا محالة وان كنت لا تعرف عدد الوسايط

مطلب حقيقة التوكل انما يستدعي توحيد الفعل

ولكن ينبغي ان يشاهد ارتباط السلسلة بسببها صح الا ان يعلم

فلا يخبرك ذلك وانما الذي يخفى عليك افعال الادميين فانك
تقول من اطعمني طعاما فانما يطعمني باختياره فان شاء اعطى
وان شاء منع فكيف لا اراه فاعلا وانما مثلك في الالتفات
اليه مثل النملة ترى سواد الخط على البياض يحصل من حركة
القلم فتضيف ذلك الى القلم اذ حدقتها الصغيرة الضعيفة لا
تمتد الى الاصبع ومنها الى القدرة المحركة لليد ومنها الى ارادة
التي القدرة مسخرة لها ومنها الى المعرفة التي تتوقف انبعاث
الارادة والجزامها عليها ومنها الى صاحب القدرة والعلم
والارادة فكذلك انت تضيف افعال العباد الى ارادتهم ومعرفتهم
وقدرتهم اذ ليس يمتد نظرك الى القلم الذي تنسطر المعرفة
به في الواح القلوب ومنه الى الاصابع التي تنتهي الى قلوب
العباد ومنها الى اليد التي بها خمرت طينة آدم بها ومنها الى
القدرة التي بها تتحرك اليد لتخمير الطينة ومنها الى القادر الذي
منه يبدو واليه يعود وذلك لانك لا تعرف معنى قول النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته ولا معنى قوله تعالى
خمرت طينة آدم بيدي ولا معنى قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم فانك لا تعلم قلما الا من قصب ولا يدا ولا اصابع الا من

لحوم

لحوم وعظام ولا صورة الا الالوان والاشكال فان انكشف
لك ذلك علمت انك اذ رميت ما رميت ولكن الله رمى حيث
سلط عليك دواعي جازمة ومعرفة حاكمة على القطع بان
نجاتك في الرمي فلا جرم انبعثت القدرة التي انفرد بخلقها
خادمة للارادة والمعرفة خادمة بالتسخير والاضطرار
علمت انك مضطر الى عين الاختيار فتفعل ان شئت ذلك
وتشاء اذا شاء الله شئت ام ابيت وهذا الآن فيه سر
يحرك قاعدة الجبر والاختيار ويوهم تناقض التوحيد وتكليف
الشرع وقد شرحناه في كتاب التوحيد والتوكل والشكر من
كتب الاحياء فاطلبه ان كنت من اهله فصل لا يكفي
الايمان بتوحيد الفعل والذات في اثارة حالة التوكل حتى
ينضاف اليه الايمان بالرحمة والجود والحكمة اذ به يحصل
الثقة بالوكيل الحق وهو ان تعتقد جزما وينكشف لك
بالبصيرة ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم
بل على اكمل ما يتصور ان يكون عليه حال العقل ثم زادهم
اضعاف ذلك علما وحكمة ثم كشف لهم عواقب الامور و
اطلعهم على اسرار الملكوت في لطائف الحكمة ودقائق الخفي

فصل الايمان برحمة الله وجوده وحكمته

والبشر ثم امرهم ان يتدبروا الملك والملكوت لما دبروه باحسن مما هو
عليه ولم يمكنهم ان يزيدوا ولا ينقصوا عليه منه جناح بعوضة ولم
يستصغروا البتة دفع مرض ونقص وعيب وفقر وضر وجهل وكفر
ولا ان يغيروا قسمة الله تعالى من رزق واجل وقدرة وعجز وطاعة
ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلا محضا لا جور فيه وحقا صرفا
لا نقص فيه ولمستقامة تامة لا قصور فيها ولا تفاوت بل كل ما يرون
نقصا فيرتبط به كمال آخر اعظم منه وما ظنوه ضررا فتحته نفع اعظم
منه لا يتوصل الى ذلك النفع الا به وعلموا قطعا ان الله تعالى حكيم جواد
رحيم لم يبخل على الخلق اصلا ولم يقصر في اصلاحهم امرا وهذا الآن
بحر آخر في المعرفة يتحرك امواجه سر القدر الذي منع من ذكره المكاشفون
ويتحير فيه الاكثرون ولا يعقله الا العالمون ولا يدرك تأويله الا
الراسخون وان حظ العوام ان يعتقدوا ان كل ما يصيبهم لم يكن
ليخطئهم وما يخطئهم لم يكن ليصيبهم وان ذلك واجب الحصول
بحكم المشية الازلية وانه لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل
صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر الركن الثاني حال التوكل ومعناه ان تتكل امرك الى الله
عز وجل وتثق به قلبك وتطمئن بالتفويض اليه نفسك ولا تلتفت

الى

الى غير الله تعالى اصلا او يكون هنالك مثال من وكل في خصومة في مجلس
القاضي من علم انه اشفق الناس عليه واقواهم في كشف الباطل
واذا فهم منه احرصهم عليه فانه يكون ساكنا في بيته مطمئن القلب
غير متفكر في امر الخصومة غير مستعين باحد الناس لعلمه بان
وكيله حسبه وكافيه في غرضه وانه لا يقاومه غيره فمن تحققت
معرفته بان الرزق والاجل والخلق والامر بيد الله تعالى وهو منفرد
به لا شريك له وان جوده وحكمته ورحمته لا نهاية لها ولا يوازيها
رحمة غيره وجوده اتكل قلبه بالضرورة عليه وانقطع نظره من
غيره فان لم ينقطع فلا يكون ذلك الا لاحد امرين احدهما ضعف
اليقين بما ذكرناه وضعف اليقين انما يكون لتطرق شك اليه
او لعدم استيلائه على القلب فان الموت يقين لا شك فيه ولكنه
اذ لا يستولي على القلب فهو كشك لا يقين فيه الامر الثاني ان
يكون القلب في الفطرة جبانا ضعيفا والجبن والجراءة فطرتان
والجبن يوجب كون النفس مطيعة للاوهام لا شك في بطلانها حتى
قد يخاف الانسان ان يبيت مع الميت في فراش او في بيت مع علمه
بان الله لا يحييه وان قدرته عليه كقدرته على ان يقلب في يده
العصا حية وهو لا يخاف ذلك بل قد يرتبه العسل بالعذرة فيتعذر

عليه تناوله مع علمه بانه تشبيه كاذب ولكن ذلك لطوارق النفس وركاكة
الاوهام فكما لا يخلو الانسان عن شيء منه وان ضعف فكذلك
لا يبعد ان يحصل النقص بالتوحيد بحيث لا يخالجه ريب ومع ذلك
فيفزع القلب الى الاسباب **فصل** اذا عرفت ان التوكل عبارة
عن حالة القلب في الثقة بالوكيل الحق وقطع الالتفات الى غيره
فاعلم ان فيه ثلاث درجات احداها ما ذكرناه وهو كالثقة في
الوكيل في الخصومة بعد اعتقاد كماله في الهداية والقدرة والشفقة
والثانية وهي اقوى منها تضاهي حالة الصبي في ثقته بامه وفزعه
اليها في كل ما يصيبه وذلك الثقة بشفقتها وكفالتها ولكنه في توكله
فان عن توكله فانه ليس يحصل بفكر وكسب وان كان لا يخلو
توكله عن نوع ادراك واما التوكل على الوكيل بالخصومة فكان
لكسب بالمكان لفكر والنظر والثالثة وهي ان تكون بين يدي
الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فانه يفزع بامه
ويتعلق بذيلها بل هذا كالصبي علم انه وان لم يفزع بامه
فانها تطلبه وان لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وان لم تسئلها اللبن
فهي تبتدئ بارضاعه فيكون هذا الشخص في حق الله عز وجل
ساقط الاختيار لعلمه بانه مجرى القدر فلا يبقى فيه متسع

لغير

لغير الانتظار لما يجري عليه وهذا المقام ينافي الدعاء والسؤال
ولا يمتنع الدعاء في المقام الثاني والاول ويمتنع التدبير
في المقام الآخر ويمتنع الجهال في الثاني ايضا الا في التعلق
بالوكيل فقط وفي الاول يمتنع التدبير بالتعلق بغيره ولا يمتنع
بالطريق الذي رسمه الوكيل وسنه له وامره به الركن الثالث
في الاعمال وقد يظن الجهال ان شرط التوكل ترك الكسب
وترك التداوي والاستسلام للمهلكات وذلك خطاء لان ذلك
حرام في الشرع والشرع قد اثنى على التوكل وندب اليه فكيف
ينال ذلك بمحظوره وتحقيقه ان سعي العبد لا يعدو اربعة اوجه
وهو جلب ما ليس بموجود من النفقة او حفظ الموجود
او دفع الضرر كيلا يحصل او قطعه كي يزول الاول جلب النافع
والاسباب ثلثة اما مقطوع به واما مظنون ظنا ظاهرا يوثق
به او موهوم اما المقطوع به فمثاله ان لا تمد اليد الى الطعام
وهو جائع ويقول هذا اسعى وانا متوكل او يريد الولد ولا
يواقع اهله او يريد الزرع ولا يبث البذر وهذا جهل
لان سنة الله تعالى لا تتغير وقد عرفك ان ارتباط هذه المسببات
بهذه الاسباب من السنة التي لا تجد لها تبديلا واما التوكل

مطلب تحقيق التوكل والاسباب

مطلب مقطوع

فيه بامرين احدهما ان تعلم ان اليد والطعام والنية والقدرة
التناول وجميع ذلك من قدرة الله تعالى والثاني ان لا يتكل
عليها بقلبه بل على خالقها وكيف يتكل على اليد وربما يفلج في الحال
او يهلك الطعام وذلك يتحقق قوله لا حول ولا قوة الا بالله فا
لحول هي الحركة والقوة هي القدرة فاذا كان هذا حالك فانت
متوكل وان سعيت واما المظنون فكاستصحاب الزاد في
البوادي والاسفار فليس تركه شرطا في التوكل بل هي سنة
الاولين بل يكون الاعتماد على فضل الله تعالى بعد دفع السراق و
ابقاء الزاد والحياة والقدرة على التناول واما الموهومات
فكالاستقصاء في حيل المعيشة واستنباط دقايق الامور فيها
وذلك ثمرة الحرص وقد يحمل على اخذ الشبهه فكل ذلك يناقض
التوكل والدليل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين
بانهم لا يكتوون ولا يسترقون ولم يصفهم بانهم لا يسكنون
الامصار ولا يكتسبون فاما نسبته الى السبب كنسبة الرقية
والكي فتركهما من شرط التوكل الفن الثاني من تدبير الاسباب
الادخار فالمتوكل اذا ورث مالا وادخر لسنة فما فوقها بطل
توكله وان قنع بقوت يومه وفرق الباقي فهو تمام التوكل

وان

١٢٠

وان ادخر لاربعين يوما قال سهل التستري بطل توكله ولا يناله
المقام المحمود الذي وعد للمتوكلين وقال الخواص لا يبطل و
اتفقوا على ان الزيادة عليه تبطل الا اذا كان معيلا فله ان
يدخر قوت عياله لسنة كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حق عياله وفي حق نفسه كان لا يدخر من غدائه لعشائه
ولا شك ان طول الامل يناقض التوكل ومهما قلت مدة
الادخار كانت الرتبة اعظم ولكن سنة الله تعالى جارية بتكرار
الارزاق عند تكرار السنة فالادخار لاكثر من سنة غاية الضعف
وليس من التوكل في شيء فاما ادخار الكوز واثاث البيت
فذلك جايز لان سنة الله تعالى لم تجر بتكررها كتكرر الارزاق
ويحتاج اليها في كل وقت وليس كثوب الشتاء فانه لا
يحتاج اليه في الصيف وادخاره على خلاف التوكل قال
النبي صلى الله عليه وسلم في فقير دفن انه يحشر يوم القيامة
ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة فيه كان كالشمس
الضاحية كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه
الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة كالفرار
من السبعة ومن الجدار المايل ومجرى السيل او دفع الامراض

بادوية وذلك ايضا له درجات فلتستنبط ايضا بالقياس الى ما
ذكرناه وقد فسرناه في الاحياء **فصل** اعلم ان ترك الادخار
محمود لمن غلب يقينه وقوي قلبه واما الضعيف الذي يضطرب
قلبه لو لم يدخر لم يتفرغ للعبادة فالافضل له ان يدع طريق المتوكلين
والاجمل نفسه ما لا تطيقه اذ فساد ذلك في حقه اكثر من صلاحه
بل يعالج كل واحد على حسب حاله وقوته وقد تنتهي القوة
الى ان يجوز السفر في البوادي من غير زاد وذلك لمن يصبر عن
الطعام اسبوعا ويقنع بالحشيش فان ذلك لا يعوزه غالبا
في البادية فاما الضعيف اذا فعل ذلك فعاص ملق نفسه
في التهلكة والقوي ان حبس نفسه في كهف جبل ليس
فيه حشيش ولا يجتاز به انسان فهو ايضا حرام لانه
خالف سنة الله تعالى وانما جاز له ذلك في البوادي لان سنة
الله جارية بانها لا تخلو عن الحشيش وقد يجتاز بها الادميون
فاذا اقوى كان هلاكه نادرا فلم يكن بذلك عاصيا فله ان
يسافر في البادية متكلا على لطيف صنع الله تعالى وغير قاصر
النفاته وعلى الاسباب الجلية الواضحة **الاصل الثامن في**
المحبة قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال قل ان كان اباؤكم

وابناؤكم

وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله ورسوله الآية وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب
الله عز وجل وقال ابو بكر رضي الله عنه من ذاق خالص
محبة الله عز وجل منعه ذلك من طلب الدنيا واوحشه
من جميع البشر وقال الحسن البصري رحمه الله من عرف الله
تعالى احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمومن لا يلهو حتى يغفل
واذا تفكر حزن **فصل** اعلم ان اكثر المتكلمين انكروا محبة الله
تعالى واولوها وقالوا لا معنى لها الا الامتثال لاوامره و
الا فما لا يشبههم شيء ولا يشبه شيئا ولا يناسب طباعنا
فكيف نحبه وانما يتصور منا ان نحب من يوافق جنسنا
وهؤلاء محرومون بجهلهم بحقائق الامور وقد كشف
الغطاء من هذا في كتاب المحبة من كتب الاحياء غطاء   لعلها
لتصادفه منها اسرار لا تحتملها الكتب منها فاقنع في هذا
المختصر بتلويحات واشارات **فصل** اعلم ان كل لذيذ

محبوب ومعنى كونه مبغوضا نفرة النفس عنه لكونه مولما فان
قوي البغض والنفرة سمي مقتا واعلم ان الاشياء التي تدركها
بحواسك وجميع مشاعرك اما ان تكون موافقة لك ملايمة وهو
اللذيذ او تكون منافية مخالفة وهو المولم او لا موافقة ولا
مخالفة وهو الذي لا الم فيها ولا لذة وكل لذيذ محبوب للنفس
الملتذة ميل لا محالة اليه واعلم ان اللذة تتبع الادراك والادراك
ادراكان ظاهر وباطن اما الظاهر فبالحواس الخمس فلا جرم اي لا شبهة
لذة العين في الصورة الجميلة ولذة الاذن في النغمات الموزونة
الطيبة ولذة الذوق والشم في الطعوم والروايح الملايمة
الموافقة ولذة جملة البدن في ملامسة الناعم اللين
وجملة ذلك محبوبة للنفس اي للنفس ميل اليها واما
الادراك الباطن فهو اللطيفة التي محلها القلب تارة يعبر
عنها بالعقل وتارة بالنور وتارة بالحس السادس ولا ينظر
الى العبارات فتغلط بل قال النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي
من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة
فنعلم ان الطيب والنساء فيهما حظ الشم واللمس والبصر
والصلاة لا حظ فيها للحواس الخمس بل للادراك السادس

الذي

الذي محله القلب ولا يدركها من لا قلب له وان الله يحول
بين المرء وقلبه ومن اقتصر من لذته على الحواس الخمس
فهو بهيمة لان البهيمة تشاركه فيها واما خاصية
الانسان التمييز بالبصيرة الباطنة ولذة البصر الظاهر
في الصور الجميلة الظاهرة ولذة البصيرة الباطنة في
الصور الجميلة الباطنة **فصل** لعلك تقول ما معنى الصور
الجميلة الباطنة فاقول ما عندي انك لا تخلي من
نفسك حب الانبياء والعلماء والصحابة ولا تترك
من نفسك تفرقة بين الملك العادل العالم الشجاع الكريم
العطوف على الخلق وبين الظالم الجاهل البخيل الغليظ — الفظ
وما عندي انك اذا حكي لك صدق ابي بكر وسياسة
عمر وسخاوة عثمان وشجاعة علي رضوان الله عليهم
لا تجد في نفسك خفقة وارتياحا وميلا الى صفاتهم
والى كل موصوف بخلال (اي خصال) الكمال من نبي وصديق و
عالم وكيف تنكر هذا وفي الناس من يفتدي بنفسه
ارباب المذاهب ويحمله حبه لهم على البذل بالمال
والنفس في الذب عنهم ثم يتجاوز ذلك حد العشق

مطلب قدرة الله وعلمه عالي على قدرة [illegible] سائر مخلوقاته وعلمها

وانت تعلم ان حبك لهؤلاء ليس لصورهم الظاهرة فانك
لم تشاهد صورهم ولو شاهدتها ربما لم تستحسنها وان استحسنت
فلو شوهت صورهم الظاهرة وبقيت صفاتهم المعنوية
الباطنة لبقي حبهم واذا فتشت عن محبوبك منهم رجع
بعد التفصيل الطويل الذي لا يحتمله هذا الكتاب الى ثلاث
صفات العلم والقدرة والنزاهة عن العيوب اما العلم
فعلمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وعجائب ملكوته
ودقائق شريعة انبيائه واما القدرة فقدرتهم على
انفسهم بكسر شهواتها وحملها على الصراط المستقيم وقدرتهم
على العباد بسياستهم وارشادهم الى الحق واما النزاهة
فسلامة باطنهم من خبث الجهل والبخل والحسد وخبائث
الاخلاق واجتماع كمال العلم والقدرة مع حسن
الاخلاق وهو حسن الباطن وهي الصورة الباطنة
التي لا تدركها البهيمة ومن في مثل حالها بالبصر الظاهرة
ثم اذا احببت هؤلاء بهذه الصفات وعلمت ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اجمع منهم لهذه الخصال
كان حبك له اشد بالضرورة فارفع نظرك الآن من النبي

الى

الى مرسل النبي وخالقه جل وعلا والمتفضل على الخلق ببعثته
لتعلم ان بعثة الانبياء حسنة من حسناته ثم انسب قدرة
الانبياء وعلمهم وطهارتهم الى علم الله سبحانه وقدرته وقدسه
لتعلم انه لا قدوس سوى الواحد الحق وان غيره لا يخلو من
عيب ونقص بل العبودية اعظم انواع النقص فانه كمال
لمن لا اقدام له لنفسه ولا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا
رزقا ولا اجلا واني علم ان يشكل عليه صفات باطنه في
مرضه وصحته بل لا يعلم جميع جوارحه الباطنة وتفصيلها وحكمها
بالتحقيق فضلا عن ملكوت السموات والارض وانسب هذا
الى العلم الازلي المحيط بجميع الموجودات ومعلومات لا نهاية لها
الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض والى
قدرة خالق السموات والارض الذي لا يخرج موجود عن قبضة
قدرته في وجوده وبقائه وعدمه وانسب نزاهته من
العيوب الى قدسه لتعلم انه لا قدوس ولا قدرة ولا علم الا
للواحد الحق وانما لغيره القدرة التي اعطاه ولا يحيطون
بشيء من علمه الا بما شاء وما اوتي من العلم الا قليلا فانظر
الآن هل يمكنك ان تنكر ان هذه الصفات والمحامد محبوبة

او تنكر ان الموصوف بكمال الجلال هو الله تعالى وانظر كيف تنكر حبه
بعد ذلك **فصل** ان قصرت بصيرتك عن ادراك الجلال والكمال
والميل الى مطالعته والفرح به والعشق له فلا تقصر عن الميل
الى المنعم المحسن اليك ولا تكونن اقل من الكلب فانه يحب
صاحبه الذي يحسن اليه وتأمل في هذا العالم هل لاحد
احسان اليك سوى الله تعالى وهل لك حظ ولذة وتنعم في شيء
وحرص على نعمة الا والله سبحانه خالقها ومبقيها وخالق
الشهوة اليها والتلذذ بها وتفكر في اعضائك ولطف صنع
الله تعالى بك فيها لتحبه باحسانه اليك فتكون (حتى لا تكون) من عوام الخلق ان
لم تقدر ان تحبه لجماله وجلاله كما تحبه الملائكة لذلك وامتثل
قوله عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني
لحب الله وعند هذا تكون كالعبد السوء يحب ويعمل لاجل الاجرة
والنفقة فلا جرم يزيد (اي الاشتهار) حبك وينقص بزيادة الاحسان ونقصانه
وذلك ضعيف جدا بل الكامل من تحب الله لجلاله وجماله ومحامد
صفاته التي لا يتصور ان يشارك فيها وكذلك اوحى الله تعالى الى
داود عليه السلام ان اود الاوداء الي من عبدني بغير نوال (الا عطاء)
لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من اظلم ممن عبدني
لجنة

لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان
اطاع ومر عيسى عليه السلام بطائفة من العباد وقد نحلوا
وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال مخلوقا خفتم
ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حبا
له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا ومعكم امرت
ان اقيم **فصل** العارف لا يحب الا الله تعالى فاذا احب
غيره فيحبه لله عز وجل اذ قد عرفت ان المحب يحب المحبوب
واثاره وبلاده وصنعته وتصنيفه وكل ما هو منه واليه
نسبته وكل ما في الوجود صنع الله عز وجل وتصنيفه
وكل الخلق عباد الله تعالى وان احب الرسول احبه لانه
رسول محبوبه وان احب الصحابة فلانهم محبوب رسوله
ولانهم محبوه وعبيده والمواظبون على طاعته وان احب
طعاما فلانه يقوي مركبه الذي به يصل الى محبوبه اعني البدن
وان احب الدنيا فلانها زاده الى محبوبه وان احب النظر
الى الازهار والانوار والصور الجميلة فلانها صنعة محبوبه
وهي دلالات على جماله وجلاله ومذكرات لصفات المحامد
التي هي المحبوبة في ذاتها وان احب المحسن اليه والمعلم اياه
رسول الله

صح محبته لله فقط ولجماله
وجماله والا وجه
كان المحبة على جماله وجماله

علوم الدين فيحبه لانه واسطة بينه وبين محبوبه في ايصال
علمه وحكمته اليه ومن يعلم انه الذي قيضه لتعليمه وارشاده والانفاق
عليه من ماله وانه لولا تسليط الدواعي اليه واضطراره بسلسلة
البواعث والاغراض الى ارشاده والانفاق عليه لما فعله
واعظم الخلق احسانا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولله المنة والفضل بخلقه وبعثه كما قال هو الذي بعث
في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وما الرسول الا عبد مسخر مبعوث محمول على
تبليغ الرسالة بالاضطرار ولذلك قال تعالى انك لا تهدي من
احببت ولكن الله يهدي من يشاء وتأمل سورة الفتح في
قوله تعالى ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح
بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقد انزله منزلة النظارة
وقال اذا رايت عباد الله يدخلون في دين الله فقل بحمد الله
لا بحمدك وهو معنى التسبيح بحمد ربه فان التفت قلبك الى نفسك
وسعيك فاستغفره ليتوب عليك واعلم انه ليس لك من الامر
شيء ومن هاهنا نظر عمر رضي الله عنه حيث وصل كتاب خالد
بعد فتح مكة من خالد سيف الله المسلول على المشركين الى ابي بكر

صفة

ان هذا المكتوب من خالد سيف الله

امير

امير المؤمنين فقال الحق ناصر الله المسلمين نظر خالد الى نفسه وسماها
سيفا مسلولا على المشركين ولو لاحظ الحق كما هو لعلم انه ليس
ذلك بسيفه ولكن الله تعالى سيره في ارادته بنصرة الاسلام فينصره
بخطرة واحدة وهو خاطر رعب يلقيه في قلب كافر فينهزم
وينظره غيره اليه فينهزم ويعم الهزيم فينظر خالد ومن هو في مثل
حاله انه على كلمة الاسلام نصراهة وحقه سيفه ويطلع عمر رضي
الله عنه ومن هو في مثل حاله من الصديقين والاولياء على
حقيقة الحال ويعلم حاجة خالد الى الاستغفار وان يسبح بحمد ربه
انه اذا راى ذلك كما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لا
موجب للمحبة الا امران احدهما الاحسان والاخر غاية الجلال
والجمال بكمال المجد والحكمة والعلو والقدرة والتقديس
من العيب والنقص ولا احسان الا منه ولا جلال ولا
جمال ولا قدس الا له فكل ما في العالم من حسن واحسان
فهو حسنة من حسنات جوده يسوقها الى عباده بخطرة واحدة
يخلقها في قلب المحسن فكل ما في العالم من صورة مليحة وهيئة
جميلة تدرك بعين او سمع او شم فانها من اثار قدرته وحجب بعض
معاني جماله وجلاله فليت شعري لمن عرفه بالمشاهدة الحقيقة

الا على

والبرهان القاطع جميع هذا كيف يتصور ان يلتفت الى غير
الله تعالى او يحب غير الله عز وجل **فصل** اعلم ان لذة العارف
في الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية اعظم من كل لذة
يتصور ان يكون في الدنيا سواها وذلك لان اللذة على قدر
الشهوة وقوة الشهوة على قدر الملايمة [اي الموافقة] والموافقة مع
المشتهى وكما ان اوفق الاشيا للابدان الاغذية فاوفق
الاشيا للقلوب المعرفة فالمعرفة غذاء القلب واعني با
لقلب الروح الرباني الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من
امر ربي وقال تعالى ونفخت فيه من روحي فاضافه الى نفسه
وهذا الروح لا يكون للبهايم ولكن هو [اي في ادم ع م] مثل حالها من الانس
بل يختص به الانبياء والاوليا ولذلك قال تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فالمعرفة
اوفق الاشيا لهذا الروح لان الاوفق لكل شي خاصيته
فالصوت الطيب لا يوافق البصر لانه ليس من خاصيته
وخاصية روح الانسان معرفة الحقائق وكلما كان المعلوم
اشرف كان العلم به الذ ولا اشرف من الله تعالى ولا اجل منه

معرفته

فمعرفته ومعرفة صفاته وذاته وعجايب ملكه وملكوته الذ
الاشيا عند القلب لان شهوة ذلك اشد الشهوات ولذلك
تخلق [اي شهوة المعرفة] آخرا بعد ساير الشهوات فكل شهوة تاخرت فهي
اقوى مما قبلها فاول ما يخلق شهوة الطعام ثم تخلق شهوة
الوقاع فيترك شهوة الطعام لاجلها ويحقر فيه ثم تخلق
له شهوة [الجماع] الرياسة والجاه والغلبة فيستحقر فيها شهوة النكح
والمطعم ثم تخلق له شهوة المعرفة التي هي الاستيلا على كل
الموجودات فيستحقر فيها الجاه والرياسة وهي آخر شهوات
الدنيا واقواها وكما ان الصبي ينكر شهوة الوقاع ويتعجب
ممن يتحمل مؤونة النكاح لاجلها فاذا بلغ شهوة الوقاع
اكب عليها واترك شهوة الجاه والرياسة ولم يبال بفواتها
في قضاء شهوة الفرج فكذلك المشغوف [اي الحريص] بشهوة الجاه و
الرياسة ينكر لذة المعرفة اذ لم تخلق بعد فيه شهوتها وقد
ينتهي شغفه وشره على الجاه الى مرض قلبه حتى لا يقبل شهوة
معرفة الله تعالى اصلا كما يفسد المزاج المريض فيسقط شهوة
الغذاء حتى يموت وقد ينعكس طبعه فيشتهي الطين والاشيا
المضرة المهلكة وهي مقدمات الموت فكذلك مرض القلب

وقد ينتهي الى حد ينكر المعرفة ويبغضها ويبغض اهلها والمقبلين
عليها ولا يدرك الا لذة الرياسة والمطعم والمنكح وذلك هو الميت
الذي لا يقبل العلاج وفي مثله قيل انا جعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن
يهتدوا اذا ابدا وفيهم قيل اموات غير احياء وما يشعرون
ايان يبعثون فصل هذه المعرفة وان عظمت لذتها فلا نسبة
لها الى لذة النظر الى وجه الله الكريم في الدار الاخرة وذلك لا
يتصور في الدنيا يسير لا يمكن الآن كشفه ولا ينبغي ان تفهم
من النظر ما يفهمه العوام والمتكلمون فيحتاج في تقديره الى
جهة ومقابلة فذلك من نظر من اقتصر على القصور في بحبوحة
عالم الشهادة حتى لم يجاوز المحسوسات التي هي مدركات
البهائم لكن ينبغي ان تفهم ان الحضرة الربوبية تنطبع (تنتقش) صورتها
وترتيبها العجيب على ما هو عليه من البهاء والعظمة والجلال
والجمال في قلب العارف كما تنطبع مثلا صورة العالم المحسوس
في حواسك فكانك تنظر اليه وان غمضت عينيك فان فتحت العين
وجدت الصورة المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين
لا تخالفها في شي الا ان الابصار في غاية الوضوح بالنسبة
الى

الى التخيل وكذلك ينبغي ان تعلم ان في ادراك ما لا يدخل في الخيال
والحس ايضا درجتين متفاوتتين في الوضوح غاية
التفاوت ونسبة الثانية الى الاولى كنسبة الابصار الى
التخيل فيكون الثانية غاية الكشف فيسمى لذلك مشاهدة
ورؤية والمرئية لم تسم رؤية لانها في العين اذ لو خلقت
في جبهته لكانت رؤية بل لانها غاية الكشف وكما ان تغميض
الاجفان حجاب عن غاية الكشف في المبصرات فكدورة
الشهوات وشواغل هذا القالب المظلم حجاب عن غاية
المشاهدة ولذلك قال الله تعالى لن تراني ولكن انظر الى
الجبل وقال لا تدركه الابصار فاذا ارتفع الحجاب بعد الموت
انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة ويكون لكل واحد بقدر
معرفته فلذلك تزيد لذة اولياء الله سبحانه في النظر على لذة
غيرهم ولذلك يتجلى الله تعالى لابي بكر رضي الله عنه خاصة
ويتجلى للناس عامة وكذلك لا يراه الا العارفون لان
المعرفة بذر النظر بل هي التي تنقلب مشاهدة كما ينقلب
التخيل ابصارا فلذلك لا تقتضي مقابلة وجهة وشرح هذا
طويل فاطلبه من كتاب المحبة في الاحيا فصل لو كان

معشوقك وانت تراه من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار
وفي حالة ضعف الشوق العشق وفي حالة اجتمع عليك تحت
ثوبك عقارب وزنابير تلدغك وتشغلك فلا تخلو ان لذتك من
مشاهدة معشوقك تضعف فلو اشرقت الشمس دفعة فارتفع
الستر الرقيق وانصرفت عنك العقارب والزنابير وهجم عليك
عليك المفرط البليغ فلا نسبة لهذه اللذة العظيمة التي تحصل
الآن الى ما كان قبل ذلك وكذلك فافهم انه لا نسبة النظر الى
لذة المعرفة بل هي اعظم منها كثيرا والستر الرقيق فالبدن والعقارب
شواغل الدنيا وهمومها وشهواتها وهجوم الشوق العشق شدة
الشهوة لانقطاع المضعفات والمنغصات عنها واشراق الشمس
هو استعداد حرقة القلب لاحتمال تمام التجلي فانها في هذه
الحياة لا يحتمل كما لا يحتمل بصر الخفاش نور الشمس فصل
انما ضعفت شهوة معرفة الله تعالى وحجبة سائر الشهوات وانما
خفيت معرفة الله تعالى مع جلائها لشدة ظهورها ومثاله انك
تعلم ان اظهر الاشياء المحسوسات ومنها المبصرات ومنها النور الذي
به يظهر كل الاشياء ثم لو كانت الشمس دائمة لا تغيب ولا يقع
لها ظل لكنت لا تعرف وجود النور وكنت تنظر الى الالوان

فلا

العشق

لللذة

فلا ترى الا الحمرة والسواد والبياض واما النور فلا تدركه
الا بان يغيب الشمس او يقع لها حجاب بحاله ظل فتدركه
باختلاف الاحوال بين الظلمة والضياء ان النور شيء اخر
يعرض للالوان فتصير مبصرة ولو تصور لله سبحانه غيبة او للانوار
قدرته حجاب عن بعض الاشياء لادركت من التفاوت ما يضطر
معه الى معرفة ولكن الموجودات كلها لما تساوت في الشهادة
لخالقها بالوحدانية من غير تفاوت خفي الامر لشدة جلائه
ولو تصور انقطاع انوار قدرته عن السموات والارض لانهدمت
وانمحقت وادركت في الحال من التفاوت ما يضطر الى المعرفة
بالقدرة والقادر وهذا مثال ما ذكرناه وتحته اسرار وفيه
مواقع غلط فاجتهد لعلك تقف على اسراره ولا ترتبك
في مواقع غلط فمنه غلط من قال انه في كل مكان وكل من
نسبه الى مكان او جهة فقد زل فضل ورجع غاية نظره
الى التصرف في محسوسات البهائم ولم يجاوز الاجسام وعلائقها
واول درجات الايمان مجاوزتها فبه يصير الانسان انسانا
فضلا من ان يصير مؤمنا فصل اعلم ان للمحبة علامات كثيرة
يطول احصاؤها ومن علاماتها التقديم امر الله تعالى على هواه

مطلب ان للمحبة علامات كثيرة

النفس والتقيد بالورع ورعاية حدود الشرع ومن علاماتها
الشوق الى لقائه والخلو عن كراهية الموت الا من حيث
يتشوق الى زيادة المعرفة فان لذة المشاهدة بقدر كمال
المعرفة فانها بذر المشاهدة فتختلف لا محالة باختلافها ومن
علاماتها الرضى بالقضاء ومواقع قدر الله عز وجل فلنذكر
معنى الرضاء حتى لا يغتر الانسان بما يصادفه في نفسه من
خطرات تخطر فيظن انها حقيقة الحب لله تعالى فان ذلك عزيز
جدا الاصل التاسع الرضى بالقضاء قال الله تعالى رضي الله
عنهم ورضوا عنه وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا
ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال اعبد الله
تعالى بالرضاء فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال
لطائفة ما انتم فقالوا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فقالوا
نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال
مؤمنون ورب الكعبة وفي رواية انه قال حكماء علماء كادوا
من فقههم ان يكونوا انبياء ومما اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي
من قلوبهم ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون

وقال

وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا الله لا اله الا انا من لم
يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليطلب
ربا سوائي فقال خلقت الخير وخلقت له اهلا وخلقت
الشر وخلقت له اهلا فطوبى لمن خلقته للخير ويسرت الخير
على يديه وويل لمن خلقته للشر ويسرت الشر على يديه وويل ثم ويل
لمن قال لم وكيف واوحى الله سبحانه الى داود عليه السلام
تريد وأريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك
ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما
اريد فصل قد انكر الرضى جماعة وقالوا لا يتصور الرضى
بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر فقط وانما اتوا من انكار
المحبة ومن تحققها والرضى بالبلاء وبما يخالف الطبع و
الهوى وذلك يتصور من ثلثة اوجه احدها ان يدهش
مشاهدة الحب وافراطها عن الاحساس بالالم وذلك مشاهد
في حب المخلوقين وفي غلبة الشهوة والغضب حتى ان
الغضبان تصيبه الجراحة ولا يحس بها في الوقت وحتى ان
الحريص يصيبه شوكة في رجله فلا يحس بها ثم اذا سكن حرصه
وظفر بمراده عظم المه واذا تصور ان يتغير الم يسير بحب

يسير تصور ان يعظم الم كثير بحب قوي بالغ فان كل واحد من
الحب والالم يقبل الزيادة لا يتصور والشك وفيهما تصور
هذا في عشق يرجع الى ميل الى صورة مركبة من لحم ودم
مشحونة بالاقذار والخبائث وانما يدرك بعين ظاهرة
يغلب الغلط عليها حتى قد ترى الكبير صغيرا والبعيد قريبا و
القبيح جميلا فكيف لا يتصور بالادراك جمال الحضرة الربوبية
والجلال الازلي الابدي الذي لا يتصور انقطاعه ونقصانه
المدرك بالبصيرة الباطنة التي هي اصدق واوضح عند اهلها
من البصر الظاهر ومن هذا الاصل قال الجنيد رحمه الله قلت
لسري السقطي رحمه الله هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت
وان ضرب بالسيف قال لا وان ضرب بالسيف سبعين ضربة
ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء لحبه حتى لو احب الله تعالى
النار احببت الدخول في النار وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله
ما بقي لي فرح الا في مواقع قدر الله تعالى وضاع لبعض
الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده
عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب
ولدي الوجه الثاني من الرضاء ان يحس بالالم ويكرهه

بالطبع ولكن يرضى به بعقله وايجابه لمعرفته بجزالة الثواب
على البلاء كما يرضى مريض بالم الفصد وشرب الدواء بعلمه
بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح بمن يهدي اليه الدواء
وان كان بشيعا وكذلك يرضى التاجر بمشقة السفر وهو
خلاف طبعه وهذا ايضا يشاهد مثله في الاعراض الدنيوية
فكيف ينكر في السعادة الاخروية وروي ان امراة فتح الموصلي
الانصاري عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما
تجدين الم الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي
مرارة وجعه فاذا من ايقن ان ثواب البلاء اعظم مما فاته
لم يبعد ان يرضى به الوجه الثالث ان يعتقد ان لله تعالى تحت
كل اعجوبة لطيفة بل لطائف وذلك يخرج عن قلبه لم وكيف
حتى لا يتعجب مما يجري في العالم مما يظنه الجاهل تشويشا
واضطرارا وميلا عن الاستقامة ويعلم ان تعجبه كتعجب موسى من
الخضر عليهما السلام لما خرق سفينة الايتام وقتل الغلام
واقام الجدار كما في سورة الكهف فلما كشف الخضر عن السر
الذي اطلع عليه سقط تعجبه وكان تعجبه بناء على ما اختفى عنه
من تلك الاسرار وكذلك افعال الله تعالى مثاله ما حكي من رجل من البراهمين

انه كان يقول في كل ما يصيبه الخيرة فيما قدر الله تعالى وكان
في بادية ومعه اهله وليس له الا حمار يحمل عليه خباءه وكلب
يحرسهم وديك يوقظهم فجاء ثعلب واخذ الديك فقال خيرة
وجاء ذيب فقتل الحمار فحزن اهله فقال خيرة ثم اصيب
الكلب فمات فقال خيرة فتعجب اهله من ذلك حتى اصبحوا وقد
سُبي من حولهم واسترقوا اولادهم وكان تقديرهم مكانهم
بصوت الديك ومكان بعضهم بنباح الكلب ومكان بعضهم
بنهيق الحمار فقال قد رايتم ان الخيرة فيما قدر الله سبحانه
فلو لم يهلكهم الله عز وجل لهلكهم وهلكنا وروى ان نبيا كان
يتعبد في جبل وكان بالقرب منه عين فاجتاز بها فارس وشرب
ونسي عندها صرة فيها دنانير فجاء آخر فاخذ الصرة ثم جاء
رجل فقير على ظهره حزمة حطب فشرب واستلقى ليستريح فرجع
الفارس في طلب الصرة فلم يرها فاخذ الفقير فطالبه وعذبه
فلم يجدها عنده فقتله فقال النبي الهي ما هذا اخذ الصرة ظالم
آخر وسلطت هذا الظالم على الفقير حتى قتله فاوحى الله اليه اشتغل
بعبادتك فليس معرفة اسرار الملك من شانك ان هذا الفقير
كان قد قتل ابا الفارس فمكنته من القصاص وان ابا الفارس

كا

كان قد اخذ الف دينار من مال آخذ الصرة فرددته اليه
من تركته فمن ايقن امثال هذه الاسرار لم يتعجب من افعال
الله تعالى ويتعجب من جهل نفسه ولم يقل لم وكيف فمن صنع بما دبره
الله في ملكوته وهاهنا وجوه اربع تنشعب عن محض
المعرفة بكمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب الاسباب المتوجهة
الى المسببات ومعرفة القضاء الاول الذي هو كلمح البصر
ومعرفة القدر الذي هو سبب ظهور تفاصيل القضاء و
انها رتبت على اكمل الوجوه واحسنها وليس في الامكان احسن
منها واكمل ولو كان وادخر لكان بخلا لا جودا او عجزا ينافي
القدرة وينطوي تحت ذلك معرفة سر القدر وكما ان من ايقن
ذلك لم ينطو ضميره الا على الرضا فكذلك كل ما يجري من الله
وسر ذلك يطول والاحصة فيه ايضا فلنرجع فصل لعلك
تقول كيف اجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى وبين بغض
اهل الكفر والعصيان وقد تعبدت به شرعا وذلك مراد الله
تعالى فيهم فاعلم ان طائفة من الضعفاء ظنوا ان ترك الامر
بالمعروف من جملة الرضا بالقضاء وسموه حسن الخلق وهو
جهل محض بل عليك ان ترضى وان تكره جميعا والرضا والكراهية

تضاد ان اذا توارد اعلى شيء واحد من وجه واحد ولا يتناقض
ان يقتل عدوك الذي هو عدو عدوك ايضا فترضاه من حيث
انه عدوك وتكرهه من حيث انه عدو عدوك فكذلك
للمعصية وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه بقضائه ومشيته
فهو من هذا الوجه مرضي به ووجه الى العاصي من حيث انه صفته
وكسبه وعلامة كونه ممقوتا من الله تعالى فهو من هذا الوجه مكروه
وقد يتعبدك الله عز وجل ببغض من يبغضه من المخالفين لامره
فعليك بما تعبدك به والامتثال له ولو قال لك محبوبك اني
اريد ان امتحن حبك بان اضرب عبدي وارهقه الى ان يشتمني
فمن ابغضه فهو محبي ومن احبه فهو عدوي فيمكنك ان تبغض
عبده اذا شتمه مع انك تعلم انه الذي اضطره الى الشتم وكان
ذلك مرادا منه فيقول اما فعله الشتم فاني ارضى به من حيث انه
تدبير لك في عبدك ومرادك ممن اردت امتحانه واما شتمه من حيث
هو صفته وعلامة عداوته فاني ابغضه لاني احبك فابغض لا
محالة من عليه عداوتك وهذه دقيقة زل فيها الضعفاء فكذلك
تيها فتون فيها فصل كذلك ينبغي ان لا تظن ان معنى الرضا با
لقضاء ترك الدعاء بل ترك السهام الذي ارسل اليك حتى يصيبك

مع قدرتك على دفعه بالترس بل يتعبدك الله عز وجل بالدعاء ليستخرج
به من قلبك صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع لقبول
الالطاف والانوار فمن جملة الرضا بقضائه ان يتوصل الى
محبوباته بمباشرة ما جعله سببا له بل ترك الاسباب مخالفة لمحبوبه
ومناقضة لرضاه فليس من الرضا للعطشان ان لا يمد
اليد الى الماء البارد زاعما انه رضي بالعطش الذي هو من
قضاء الله تعالى بل من قضاء الله تعالى ومحبته ان يزال العطش بالماء
فليس في الرضا بالقضاء ما يوجب الخروج عن حدود الشرع
ورعاية سنة الله تعالى اصلا بل معناه ترك الاعتراض على الله عز وجل
اظهارا واضمارا مع بذل الجهد في التوصل الى محاب الله من عباده
وذلك بحفظ الاوامر والنواهي

مطلب ذكر الموت

الاصل العاشر ذكر الموت

اعلم ان المقامات التسع التي ذكرناها ليست على رتبة واحدة
بل بعضها مقصودة لذواتها كالمحبة والرضا فانهما اعلى المقامات
وبعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر اذ التوبة
رجوع عن طريق البعد الى طريق القرب والزهد ترك الشواغل
للاقبال على القرب والخوف سوط يسوق الى ترك الشواغل والصبر
جهاد مع الشهوات القاطعة لطريق القرب وكل ذلك غير مطلوب

لذاته بل المطلوب القرب وذلك كالمعرفة والمحبة فانهما مطلوبة لذاتها
لا لغيرها ولكن لا يتم ذلك الا بقطع حب غير الله تعالى عن القلب فاحتيج
الى الخوف والصبر والزهد لذلك ومن الامور العظيمة النفع فيه
ذكر الموت فلذلك اوردناه ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره اذ به
واكثر رسول الله ع
ينتغص حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب منها قال الله تعالى
قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقال صلى الله عليه
وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقال من كره لقاء الله
كره الله لقاءه وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله
هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة
عشرين مرة ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه
الضحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شوبوا مجلسكم بذكر
مكدر اللذات قيل وما هو قال الموت وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو تعلم البهايم من الموت ما يعلم ابن ادم لما اكلتم سمينا
وقال كفى بالموت واعظا وقال تركت فيكم واعظين صامتا
وناطقا فالصامت الموت والناطق القران وذكر رجل عند
عليه السلام واحسن الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم
للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم
رسول الله ع م
ليس

ليس هناك وقال رجل من الانصار يا رسول الله من اكيس
الناس واكرم الناس فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم
له استعدادا اولئك هم الاكياس ذهبوا براحة الدنيا وكرامة
الاخرة **فصل** اعلم ان الموت عظيم هايل وما بعده اعظم
منه وفي ذكره منفعة عظيمة فانه يبغض الدنيا ويبغضها
الى القلب وبغضها راس كل حسنة كما ان حبها راس كل خطيئة
وللعارف في ذكره فائدتان احداهما النفرة عن الدنيا و
والاخرى الشوق الى الاخرة فان المحب لا محالة مشتاق ومعنى الشوق
في المحسوسات استكمال الخيال بالترقي الى المشاهدة فان المشتاق
اليه مدرك لا محالة بالخيال وغايب عن الابصار واحوال
الاخرة ونعيمها وجمال الحضرة الربوبية مدرك كذلك للعارف
يعرفه كانه نظر من وراء ستر رقيق فكذلك للعارف معرفة كانها
ينظر من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار وضعف النور
فهو مشتاق الى استكمال ذلك بالتجلي والمشاهدة ويعلم ان
ذلك لا يكون الا بالموت فلذلك لا يكره الموت لانه لا يكره لقاء
الله تعالى ولا سبب اقبال الخلق على الدنيا الا قلة التفكر في الموت
وطريق الفكر فيه ان يفرغ الانسان قلبه عن كل فكر سواه

ويجلس في خلوة ويباشر الموت بصميم قلبه ويتفكر في اقرانه
واشكاله الذين مضوا فيتذكرهم واحدا واحدا ويتذكر حرصهم و
أملهم وركونهم الى الجاه والمال ثم يتذكر مصارعهم عند الموت
وتحسرهم على فوات العمر وتضييعه ثم يتفكر في اجسادهم كيف
تمزقت في التراب وصارت جيفة ياكلها الديدان ثم يرجع
الى نفسه ويعلم انه كواحد منهم أمله كاملهم ومصرعه كمصرعهم
ثم ينظر في اعضائه وينظر كيف تتفتت والى حدقته كيف
ياكلها الدود والى لسانه كيف يتهرى وتصير جيفة في فيه
فاذا فعلت ذلك تنغصت عليك الدنيا وكيف سعيدا اذ السعيد
من وعظ بغيره فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها
الناس كان الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا
وجب وكان الذين نشيع من الاموات سفر عن قريب الينا
راجعون نبوئهم احداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم
قد نسينا كل واعظة وامنا كل جائحة **فصل** اصل الغفلة
عن الموت طول الامل وذلك عين الجهل ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم لعبد الله ابن عمر رضي الله عنهما اذا اصبحت فلا تحدث
نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح

وخذ

وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله
لا تدري ما اسمك غدا وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف
ما اخاف على امتي خصلتان اتباع الهوى وطول الامل واشترى
اسامة وليدة الى شهرين بمائة وقال صلى الله عليه وسلم
الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهرين ان اسامة لطويل
الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان
شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله عز وجل روحي ولا رفعت
طرفي وظننت اني واضعه ولا لقمت لقمة الا ظننت اني
لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم
تعقلون فعدوا انفسكم في الموت والذي نفسي بيده انما
توعدون لآت وما انتم بمعجزين وقال صلى الله عليه وسلم
نجا صدر هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة
بالبخل والامل وقال عليه السلام اكلكم يحب ان يدخل الجنة
قالوا نعم قال اقصروا آمالكم واجعلوا آجالكم بين ابصاركم
واستحيوا من الله حق الحياء **فصل** اعلم ان العارف الكامل
والمستهتر بذكر الله تعالى مستغن عن ذكر الموت بل حاله الفناء
في التوحيد لا التفات له الى ماض ومستقبل ولا الى الحال

جارية

ام سعيد

من حيث انه حال بل هو ابن وقته يعني انه كالمتحير المذكور ه
فلا تعقل فقط او شي وكذلك يفارقه الخوف والرجاء لانهما
سوطان يسوقان العبد الى هذه الحالة التي هو ملابسها
بالذوق فكيف يذكر الموت وانما يراد ذكر الموت لقطع علاقة
قلبه عن ما يفارقه بالموت والعارف قد مات مرة في حق
الدنيا وفي حق كل ما يفارقه بالموت فانه قد ترفع وتنزه
عن الالتفات الى الاخرة ايضا فضلا عن الدنيا وقد تمحض
عليه ما سوى الله عز وجل ولم يبق له من الموت الا كشف
الغطاء ليزداد به وضوحا لا ليزداد يقينا وهو معنى قول علي
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الناظر الى غيره من
وراء ستر لا يزداد برفع الستر يقينا بل وضوحا فقط فاذا
ذكر الموت يحتاج اليه من لقلبه التفات الدنيا ليعلم انه
سيفارقها فلا يعتكف بهمته عليها ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي قلبي احبب ما احببت
فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت
فانك مجزي به **فصل** لعلك تشتهي ان تعرف حقيقة الموت
وماهيته ولن تعرف ذلك ما لم تعرف حقيقة الحياة ولن
تعرف

مطلب بيان الر

تعرف حقيقة الحياة ما لم تعرف حقيقة الروح وهي نفسك
وحقيقتك وهي اخفى الاشياء منك ولا تطمع في ان تعرف
ربك قبل ان تعرف نفسك واعني بنفسك روحك التي هي
خاصية الامر المضافة الى الله تعالى في قوله قل الروح من امر
ربي وفي قوله ونفخت فيه من روحي دون الروح الجسماني
اللطيف الذي هو حامل قوة الحس والحركة التي تنبعث
من القلب وتنتشر في جملة البدن في تجاويف العروق
الضوارب فيفيض منها نور الحس على العين ونور السمع
على الاذن وكذا سائر القوى والحواس كما يفيض من السراج
نور على حيطان البيت اذا ادير في جوانبه فان هذه الروح
تشارك البهائم فيها وتمحق بالموت لانه بخار اعتدل نضجه
عند اعتدال مزاج الاخلاط فاذا انحل المزاج بطل كما يبطل
النور الفائض من السراج عند انطفاء السراج بانقطاع
الدهن عنه او بالنفخ فيه وانقطاع الغذاء عن الحيوان
تفسد هذه الروح لان الغذاء له كالدهن في السراج والقتل
له كالنفخ في السراج فهذه هي الروح التي يتصرف في
تعديلها وتقويتها علم الطب ولا تحمل هذه الروح المعرفة

والامانة بل لحمال الامانة الروح الخاصية للانسان ونعني
بالامانة تقلد عهدة التكليف بان يتعرض لخطر الثواب
والعقاب في الطاعة والمعصية وهذه الروح لا تموت
ولا يفنى بل يبقى بعد الموت اما في نعيم وسعادة او جحيم و
شقاوة فانه محل المعرفة والتراب لا ياكل محل المعرفة والايمان
اصلا كما نطقت به الاخبار وشهدت له شواهد الاستبصار
ولم ياذن الشرع في تحقيق ذكر صفته اذ لا يحتمله الا الراسخون
في العلم وكيف يذكر وله من عجايب الاوصاف ما لم يحتمله اكثر عقول
الخلق في حق الله تعالى ولا تطمع في ذكره وانتظر تلويحا يسيرا من
ذكر صفته بعد الموت **فصل** هذه الروح لا تفنى البتة ولا تموت
بل تتبدل بالموت حالها فقط وتتبدل منزلها فترقى من منزل الى منزل
والقبر في حقها اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر
النيران اذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها البدن
واقتناص اوايل المعرفة بواسطة شبكة الحواس اليها ومركبها
وشبكتها وبطلان الالة والمركب والشبكة لا يوجب بطلان
الصياد نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانه
غنيمة اذ يتخلص من ثقله وحمله ولذلك قال النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم الموت تحفة المومن وان بطلت الشبكة قبل الصيد
عظم فيه الحسرة والندامة والالم ولذلك يقول المقصر
رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت بل ان كان
الف الشبكة واحبها وتعلق قلبه بها وحسن صورتها
وصنعتها وما يتعلق بها كان له من العذاب ضعفان
احدهما حسرة فوات الصيد الذي لا يقتنص الا بشبكة
البدن والثاني زوال الشبكة مع تعلق القلب بها
والفه لها وهذه مبادي من مبادي معرفة عذاب القبر
ان استقصيت حقيقته قطعا **فصل** لعلك تشتهي الاستقصاء
المفضي الى التحقيق فاعلم ان هذا الكتاب لا يحتمله واقنع
منه بالانموذج اليسير وافهم ان معنى الموت زمانة البدن
وانت تعرف ان زمانة البدن خروجها عن طاعتك مع وجود
شخصها ببطلان معنى القوى التي بواسطتها تستعمل البدن
فافهم ان الموت زمانة مطلقة في جميع الاعضاء ببطلان
قواها وسلب الموت منك يدك ورجلك وعينك وساير
حواسك وانت باق اعني حقيقتك التي انت بها انت
فانك الان الانسان الذي كنت في الصبي ولعله لم يبق

فيك من تلك الاجسام شيء بل انحلت كلها وحصل بالغذاء
بدلها وانت انت وجسدك غير ذلك الجسد وان كان لك
معشوق تفتقر فيه الى حواسك عظم عذابك بفراق
معشوقك وجميع ملاذ الدنيا معشوق ولا ينال الا بالحواس
ولا فرق في عذاب العاشق بين ان يحجب عنه معشوقه و
بين ان يفقأ عينه او يسلب هو عنه بان يحمل الى موضع
حتى لا يراه فان الالم من عدم الرؤية ومن احب اهله
وماله وعقاره وفرسه وجاريته وثيابه بيتا لم يفارقها
سواء سلبت هذه الاشياء عنه او سلب هو عنها بان
حمل الى موضع اخر وحيل بينه وبينها والموت يسلبك
عن هذه الاشياء ويحول بينك وبينها فيكون عذابك بقدر
عشقك لها والموت يخلي بينك وبين الله ويقطع عنك
هذه الحواس الشاغلة المشوشة فيكون لذتك في قدومك
على الله عز وجل بقدر حبك له وانسك بذكره ولاجل هذا
نبهك وقال انا تدرك الا لازم فالزم تدرك واجمع العبارات
عن نعيم اهل الجنة ان لهم فيها ما يشتهون واجمع العبارات
لعذاب الاخرة قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون والالم

الا

ولا ملذة الا الشهوة ولكن عند مصادفة المشتهى ولا
مولم الا الشهوة ولكن عند مفارقة المشتهى ولا ينبغي
ان تغتر الان فيقول ان كان هذا سبب عذاب القبر
فانا في امان منه اذ لا علاقة بيني وبين متاع الدنيا فان
هذا لا تدركه بالحقيقة ما لم تقطع الدنيا وتخرج عنها
بالكلية فكم من رجل باع جارية على ظن انه لا علاقة بينه
وبينها فلما اخذها المشتري اشتعل قلبه من نيران الفراق
واحترق بها احتراقا بما القى نفسه في الماء والنار ليقتل
نفسه ويتخلص منها فكذلك يكون حالك في القبر في كل ما
تعلق به قلبك في الدنيا ولذلك قال المصطفى احبب
ما احببت فانك مفارقه ووراء هذا عذاب اعظم منه
وهو حسرة الحرمان عن القرب من الله عز وجل والنظر الى
وجهه الكريم وينكشف بالموت عظم قدر ما فات منه
وان كان لا يعظم قدره عندك قبل الموت لان الموت سبب
لانكشاف ما لم يكن انكشف مثله كما ان النوم سبب
لانكشاف الغيب بمثال او غير مثال والنوم اخ الموت ولكنه
دونه بكثير فهذان عذابان يتضاعفان على كل ميت

كان عند الله احب اليه من الله تعالى وكان انسه بغير الله اكثر من انسه
بالله وهما ضروريتان ان عرفت بالحقيقة الروح وبقاءه بعد
الموت وعلائقه وما يضاده بالطبع وما يوافقه بالطبع **فصل**
فلعلك تقول المشهور عند اهل العلم ان الانسان يعدم بالموت
ثم يعاد وان عذاب القبر يكون بنيران وعقارب وحيات وما ذكرته
يخالف ذلك فاعلم ان من قال ان الموت معناه العدم فهو محجوب عن
حضيض التقليد ويفاع الاستبصار جميعا اما حرمانه عن ذروة
الاستبصار فلا تدركه ما لم تستبصر واما حرمانه عن التقليد فتعرفه
بتلاوة الايات والاخبار قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم
الله من فضله الاية هذا في السعداء واما في الاشقياء فقد
ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لما قتلوا فكان
يقول يا فلان يا فلان يذكر واحدا واحدا من صناديدهم قد
وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل
يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال والذي نفسي بيده ما
انتم باسمع لكلامي منهم لكنهم لا يقدرون على الجواب وقال صلى
الله عليه وسلم الموت هو القيامة من مات فقد قامت قيامته

واراد

مطلب عذاب القبر

واراد بهذه القيامة الصغرى والقيامة الكبرى تكون بعدها
وشرح القيامة الصغرى ان اردته فاطلبه من كتاب الصبر من
كتاب الاحياء والاخبار في الدلالة على بقاء الروح موت
وشعورهم مما يجري في هذا **فصل** فاما قولك ان المشهور من
عذاب القبر التالم بالنيران والعقارب والحيات فهذا صحيح وهو
كذلك لكني اراك عاجزا عن فهمه ودرك سره وحقيقته الا
اني انبهك على انموذج منه تشويقا لك الى معرفة الحقائق و
التشمر للاستعداد لامر الاخرة فانه نبأ عظيم انتم عنه معرضون
فقد قال عليه السلام المؤمن في قبره في روضة خضراء قد فرج
له قبره سبعين ذراعا ويضيء وجهه حتى يكون كالقمر ليلة البدر
هل تدرون فيما ذا انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله
ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة
وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسع وتسعون
حية لكل حية تسع راس ينهشونه ويلحسونه وينفخون في
جسمه الى يوم يبعثون فانظر الى هذا الحديث واعلم ان هذا
حق على هذا الوجه الذي شاهده ارباب البصائر ببصيرة اوضح
من البصر الظاهر والجاهل ينكر اذ يقول اني انظر في قبره فلا ارى

ذلك اصلا فليعلم الجاهل ان هذا ليس خارجا عن ذات الميت
اعني ذات روحه لا ذات جسده فان الروح هي التي تتألم او
تتنعم بل كان معه قبل موته متمكنا من باطنه لكنه لم يكن يحس
بلدغه لخدر كان فيه لغلبة الشهوات فاحس بلدغه بعد
الموت والتحقيق ان هذا التنين مركب من صفاته وعدد رؤسه
بقدر عدد اخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا واصل
هذا التنين حب الدنيا وتتشعب عنه رؤس بعدد ما
يتشعب عن حب الدنيا من الحسد والحقد والرياء والكبر
والشرة والمكر والخداع وحب الجاه والمال والعداوة و
البغضاء واصل ذلك معلوم بالبصيرة وكذا كثرة رؤسه
اللداغة واما احصاء عددها في تسعة وتسعين
فيوقف عليه بنور النبوة فقط فهذا التنين متمكن
من صميم فؤاد الكافر لا بمجرد جهله بالكفر بل بما يدعو
اليه الكفر كما قال تعالى ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على
الآخرة وقال تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها الآية وهذا التنين لو كان كما تظنه خارجا من ذات
الميت لكان اهون اذ ربما يتصور ان ينحرف عنه التنين

لا بل

لا بل هو متمكن من صميم فؤاده يلدغه لدغا اعظم مما يفهمه
من لدغ التنين وهو بعينه صفاته التي كانت معه في حياته
كما ان التنين الذي يلدغ قلب العاشق اذا باع جاريته هو
بعينه العشق الذي كان مستكنا في قلبه استكنان النار في الحجر
وهو غافل عنه فقد انقلب ما كان سبب لذته سبب المه وهذا
سر ما قال صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم ترد عليكم وقوله
تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من
سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه
والله رؤف بالعباد بل سر قوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين
لترون الجحيم اي ان الجحيم في باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين
لترونها قبل ان تدركها بعين اليقين بل سر قوله تعالى يستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ولم يقل انها ستحيط بل
قال هي محيطة وقوله انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم
سرادقها ولم يقل يحيط بهم وهو معنى قول من قال ان الجنة
والنار مخلوقتان وقد انطق الله سبحانه لسانه بالحق ولعله
لا يطلع على سر ما يقوله فان لم يفهم بعض معنى القرآن كذلك
فليس لك نصيب من القرآن الا في قشوره كما ليس للبهيمة

[illegible]

نصيب من البر الا في قشوره الذي هو التبن والقران غذاء
للخلق كلهم على اختلاف اصنافهم ولكن اغتذاؤهم به على قدر
درجاتهم وفي كل غذاء مخ ونخالة وحرص الحمار على التبن
اشد منه على الخبز المتخذ من اللب وانت شديد الحرص على ان
لا تفارق درجة البهايم ولا تترقى الى رتبة الانسانية بل
الى ملكية فترتك والانشراح في رياض القران ففيه متاع
لكم ولانعامكم **فصل** فان قلت فهل يتمثل هذا التنين تمثلا
يشاهده مشاهدة تضاهي ادراك البصر ام هو تالم محض
في ذاته كتألم اذا احيل بينه وبين معشوقه فاقول الابل يتمثل
له حتى يشاهده لكن تمثلا روحانيا لا على وجه يدركه من
هو بعد في عالم الشهادة اذا نظر في قبره فان ذلك من عالم
الملكوت حينئذ العاشق ايضا قد ينام فيتمثل له حاله في المنام
في صورة حية تلدغ صميم فؤاده لانه بعد بالنوم من عالم
الشهادة قليلا فيتمثل له حقائق الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة
ومنكشفا له من عالم الملكوت والموت ابلغ في الكشف من
النوم لانه اقطع لنوازع الحس والخيال وابلغ في تجريد الروح
من غشاوة هذا العالم فلذلك يكون ذلك التمثيل تاما محققا

دائما

مطلب تمثيل ان لا بد من عذاب القبر

دائما لا يزول فانه يوم لا ينتبه منه الا يوم القيامة لقد كنت
في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد واعلم
ان المستيقظ يجب النايم ان كان لا يشاهد الحية التي تلدغ
النايم فذلك غير مانع من وجود الحية في حقه وحصول
الالم به كذلك حال الميت في القبر **فصل** لعلك تقول
قد ابتدعت قولا مخالفا للمشهور منكرا عند الجمهور
اذ زعمت ان انواع عذاب الاخرة يدرك بنور البصيرة
والمشاهدة ادراكا مجاوزا حد تقليد الشرايع فهل يمكنك
ان كان كذلك حصر اصناف العذاب وتفاصيله فاعلم
ان مخالفتي للجمهور لا انكرها وكيف تنكر مخالفة
المسافر للجمهور والجمهور مستقرون في البلد الذي هو مسقط
رؤوسهم ومحل ولاداتهم وهو المنزل الاول من منازل
وجودهم وانما يسافر منهم الاحاد واعلم ان البلد منزل
البدن والقالب وانما منزل الروح الانساني عوالم
الادراكات والمحسوسات منزله الاول والمتخيلات منزل الثاني
والموهومات منزل الثالث وما دام الانسان في المنزل
الاول فهو دود وفراش فان فراش النار ليس له

الاحساس ولو كان له تخيل وحفظ للمتخيل بعد الاحساس
لما تهافت على النار مرة بعد اخرى وقد تاذى بها اولا فان
الطير وساير الحيوان اذا تاذى في موضع بالضرب يفر منه
ولم يعاوده لانه بلغ المنزل الثاني بعد وهو حفظ المتخيلات
بعد غيبوبتها عن الحس وما دام الانسان في المنزل الثاني بعد
فهو بهيمة ناقصة انما حظه ان يحذر عن شيء تاذى به وما لم
يتاذى بشيء فلا يدري انه يحذر منه وما دام في المنزل الثالث
وهو الموهومات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلا فانه قد يحذر
من الاسد اذا راه اولا وان لم يتاذ به قط فلا يكون حذره
موقوفا على ان يتاذى به مرة بل الشاة ترى الذئب اولا فتحذره
وترى الجمل والبقر وهما اعظم منه شكلا واهول منه صورة
فلا تحذرهما اذ ليس من طبعهما ايذاؤها فاولاء ان الآن
في مشاركة البهايم وبعد هذا يترقى الانسان الى عالم الانسانية
فيدرك اشياء لا تدخل في حس ولا تخيل ولا توهم ويحذر به
الامور المستقبلة ولا يقتصر حذره على العاجلة اقتصار
حذر الشاة على ما يشاهده في الحال من الذئب ومن هاهنا
يصير الى حقيقة الانسانية والحقيقة هي الروح المنسوبة
الى

الى الله تعالى في قوله ونفخت فيه من روحي وفي هذا العالم
يفتح له باب الملكوت فيشاهد الارواح المجردة عن
كسوة التلبيس وغشاوة الاشكال وهذا العالم
لا نهاية له اما عوالم المحسوسات والمتخيلات والموهومات
فمتناهية لانها مجاورة للاجسام والملتصقة بها و
الاجسام لا تتصور ان تكون غير متناهية والسير في
هذا العالم امثاله المشي الى الخيال على الماء ثم يترقى منه
الى المشي في الهواء ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان عيسى عليه السلام مشى على الماء وقال نعم ولو
ازداد يقينا لمشى في الهواء واما التردد على المحسوسات
فهو كالمشي على الارض وبينها وبين الماء عالم يجري مجرى
السفينة وفيها تتولد حركات الشيطان حتى يجاوز الانسان
عوالم البهايم فينتهي الى عالم الشياطين ومنها يافر الى
عالم الملائكة وقد يتنزل فيه ويستقر وشرح ذلك يطول وهذه
العوالم كلها منازل الهدى ولكن الهدى المنسوب الى الله تعالى
يوجد في العالم الرابع وهو عالم الارواح وهو قوله تعالى قل
ان الهدى هدى الله ومقام كل انسان ومحله ومنزلته في

في العلو والسفل بقدر ادراكه وهي معنى قول علي رضي الله عنه
الناس ابناء ما يحسنون فالانسان بين ان تكون دوداً او مطلب [illegible]
حماراً او فرساً او شيطاناً ثم يجاوز ذلك فيصير ملكاً والملائكة
درجات فمنهم الارضية ومنهم السماوية ومنهم المقربون
المرتفعون عن الالتفات الى السماء والارض القاصرون
نظرهم على جمال الحضرة الربوبية وملاحظة الوجه خاصة
وهم ابدا في دار البقاء اذ ملحوظهم هو الوجه الباقي وما
عدا ذلك فالى الفناء مصيره اعني السماء والارض وما يتعلق
بهما من المحسوسات والتخيلات والموهومات وهو معنى قوله تعالى كل
من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وبينه العالم العوالي
منازل السفر الانسانية ليترقى من حضيض درجة البهايم
الى يفاع رتبة الملائكة ثم يترقى من رتبتهم الى رتبة العشاق
منهم وهم العاكفون على ملاحظة جمال الوجه يسبحون للوجه
ويقدسونه بالليل والنهار لا يفترون فانظر الآن الى خسة
الانسان وشرفه والى بعده اشبه في معراجه والى انحطاط
درجاته في تسفله وكل الآدميين مردودون الى اسفل السافلين
ثم الذين امنوا وعملوا الصالحات يترقون منها فلهم اجر غير

ممنون

ممنون وهو جمال الوجه وبهذا يفهم معنى قوله انا عرضنا
الامانة على السماوات والارض والجبال فابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان الآية لان معنى الامانة
التعرض للعهدة والخطر ولا خطر على سكان الارض وهم
البهايم اذ ليس لهم امكان الترقي من المنزل الثالثة ولا
خطر على الملائكة اذ ليس لهم خطر الانحطاط الى حضيض
عالم البهايم وانظر الى الانسان وعجايب عوالمه كيف يعرج
الى سماء العلو ترقياً ويهوي الى الارض الحقيرة هوياً متقلدا
هذا الخطر العظيم الذي لم يتقلده في الوجود غيره فيا مسكين
كيف تهددني بالعاقبة وتخوفني مجاوزة الجمهور ومخالفة
المشهور وبذلك فرحي وسروري ان الذين يكرهون مني ذلك
الذي تشتهيه قلبي فاطو طومار الهذيان ولا تقعقع لي
بعد هذا بالشنان **فصل** واما مطالبتك اياي بتفصيل
عذاب الآخرة وذكر اصنافه فلا تطمع بالتفصيل فان ذلك داعية
الى الملل والتطويل واقنع بذكر الاوصاف فقد ظهر لي المشاهدة
ظهوراً اوضح من العيان ان اصناف عذاب الآخرة ثلثة مطلب عذاب القبر ثلثة
اعني الروحاني منها فرقة المشتهيات وخزي خجلة الفاضح

وحسرت فوت المحبوبات فهذه ثلثة انواع من النيران الروحانية
تتعاقب على روح من آثر الحياة الدنيا الى ان ينتهى الى مقاساة
النار الجسمانية فان ذلك يكون فى اخر الامر فخذ الآن شرح هذه
الاصناف الصنف الاول حرق نفرقة المشتهيات مقصورة
المستعارة من عالم الحس والتخيل التنين الذى وصفه الشرع
وعدد رؤسه وهى بعدد الشهوات ورذايل الصفات تلدغ
صميم الفؤاد لدغا مؤلما وان كان البدن لمعزل عنه فقدر فى
عالمك هذا ملكا مستوليا على جميع الارض متمكنا من جميع الملاذ
مستمتعا بما اشتهاها بالوجوه الحسان مترها الكا عليه مشعوفا
بالامارة واستعباد الخلق بالطاعة مطاعا فيهم غافضا عدوه
والمترفه واستعلى على ملاء من رعيته فى تعهد الكلاب وصار يتمتع
بنعمه ويتمتع باهله وجواريه بين يديه ويتصرف فى خزائنه
وذخائر امواله فيفرقها على اعدائه ومعاديه فانظر الآن هل
ترى على قلبه تنينا ذا رؤوس كثيرة يلدغ صميم فؤاده وبدنه لمعزل
عنه وهو يود لو انه يبتلى بدنه بامراض والآم ليتخلص منه فتوهم
هذا فربما يشم به قليلا من رائحة الحطمة الحطمة التى فيها نار الله
الموقدة التى لا تطلع الا على الافئدة اعدت لمن جمع وعدده

حسب

حسب ان ماله اخلده واعلم ان عذاب كل ميت بقدر
رؤوس هذا التنين وعدد الرؤوس بعدد المشتهيات
ولهذا من كان افقر وتمتعه بالدنيا اقل كان العذاب عليه
اخف ومن لا علاقة له مع الدنيا اصلا فلا عقاب عليه
اصلا الصنف الثانى حرق نخجلة الفاضحات فقدر رجلا
خسيسا رذيلا فقيرا عاجزا قربه ملك من الملوك ورفعه
وقواه وخلع عليه وسلم اليه نيابة ملكه ومكنه من دخول
حريمه وجملة خزائنه اعتمادا على امانته فلما عظمت عليه
نعمه طغى وبغى وصار يختزل من خزائنه ويفجر باهله وبناته
وسراياه وهو فى جميع ذلك يظهر الامانة للملك ويعتقد انه
غير مطلع على خيانته فبينما هو فى غمرة فجوره وخيانته اذ لاح
حظ روزنة فراى فيها الملك مطلعا عليه منها وعلم انه كان
يطلع عليه كل يوم ولكن كان يغضى عنه ويمهله حتى يزداد
خبثا وفجورا ويزداد استحقاقا للنكال المصبوب عليه بالاخرة انواع
العذاب صبا فانظر الى قلبه كيف يحترق بنار الخزى والخجلة وبدنه
بمعزل عنه وكيف يود ان يعذب بدنه بكل عذاب ويكتم خزيه
فكذلك انت تتعاطى فى الدنيا اعمالا هى مشتهياتك وتلك الاعمال

تمثيل الحكاية بحال الانسان بعد الموت

ارواح وحقائق خبيثة قبيحة وانت جاهل بها معتقد
حسنها فينكشف لك في الاخرة حقايقها في صورها القبيحة
فتخزي وتتخجل خجلة تورثر عليها الآما فان قلت كيف
ينكشف الى هذه ارواحها وحقايقها فاعلم انك لا تفهمه
الا بمثال فمن جملته مثلا ان يؤذن رجل في رمضان قبل الصبح
فيرى في المنام ان بيده خاتما يختم به افواه الرجال وفروج
النساء فيقول له ابن سيرين هذا رايته لاذانك قبل الصبح
فتامل الآن انه لما بعد بالنوم قليلا عن عالم الحس الجسماني الذي
انكشف له روح عمله لكن لما كان بعد في عالم التخيل لان النايم
لا يزول تخيله غشاوة الخيال فمثال متخيل وهو الخاتم والختم
ولكنه مثال ادل على روح العمل من نفس الاذان لان عالم
المنام اقرب الى عالم الاخرة والتلبيس فيه اضعف قليلا
وليس يخلو عن تلبيس ولاجله يحتاج الى التعبير فلو قال
قائل لهذا المؤذن اما تستحي ان تختم افواه الرجال وفروج
النساء لقال معاذ الله تعالى ان افعل هذا فلان اقدم
ويضرب عنقي احب الى من ان افعل ذلك فهو ينكره لانه
يجهله مع انه فعل لان روحه قاصرة عن ادراك ارواح الاشياء

وكذلك

مطلب صورة كشف غيبة

مطلب صورة كشف حسد

وكذلك لو اكلت لحما طيبا على اعتقاد انه لحم طير فقال
قائل اما تستحي انا كل لحم اخيك الميت فلان قلت معاذ الله
ان افعل ذلك والان اموت جوعا اهون على من ذلك فنظر
فاذا هو لحم اخيك الميت قد طبخ وقدم اليك وطلب عليك
فانظر كيف تفتضح به وبذلك في معزل من المه فكذلك يرى
المغتاب نفسه في الاخرة والان روح الغيبة تمزيق اعراض
الاخوان والتفكه بها وفي عالم الآخرة تنكشف ارواح
الاشياء وحقائقها وكذلك لو كنت ترمي حجارة الى حايط
فقال لك قائل اما تستحي ان تفعل ذلك والحجارة ترتد من
الحائط وتقع في دارك وتصيب حدقة اولادك فتعمى
احداقهم كلهم قلت معاذ الله تعالى ان افعل ذلك فقال ادخل
دارك فدخلت فاذا هو كذلك فانظر كيف تفتضح وتحترق
عليك تحسرا على عملك الذي ظننت انه هين وهو عند الله
عظيم وهذا روح حسدك لاخيك فانك تحسده ولا تضره
وينعكس عليك ويهلك دينك وتنقل حسناتك الى ديوانه
وهي قرة عينك لانها سبب سعادة الابد فهي اعز من حدقة
الولد فاذا انكشف لك هذا الروح فانظر كيف تحترق بنيران

في تقيسها
ر ترتيبها

الفضيحة وبذلك يعبر عنه في القرآن كثيرا ما يعبر عن الارواح
فلذلك قال تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال في
الحسد يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فيكتب هذا
المقال مثال الاذان والغيبة والحسد وقس عليه كل فعل
نهاك الشرع عنه فلذلك قبيح روح الفعل وحقيقته وحسن
ظاهره حسن للبصر الظاهر وباطنه قبيح للبصيرة الناظرة من
(وهو الرسول عليه السلام)
مشكاة نور الله عز وجل وعن هذا عبر الشرع حيث
قال تعرض الدنيا يوم القيمة في صورة عجوزة شوهاء زرقاء
صفتها كيت وكيت لا يراها احد الا ويقول اعوذ بالله عنها
فيقال هذه دنياكم التي كنتم تتهالكون عليها فيصادفون
في نفوسهم من الخزي والفضيحة ما يؤثرون النار عليه فان
اردت ان تفهم كيفية هذه الخجلة فاسمع حكاية رجل من
ابناء الملوك تزوج باجمل امراة من بنات الملوك فشرب
تلك الليلة وسكر واخطا باب الحجرة وخرج من الدار وخيل
وراى ضوء سراج فقصده على ظن انه من حجرته فدخل الموضع
فراى جماعة نياما فصاح بهم فلم يجيبوه فطلب العروس
فراى واحدة نائمة في ثياب جديدة فظن انها العروس
مضاجعها

مضاجعها واخذ يقبلها ويعانقها ويجعل لسانه في فيها
ويمص ريقها ويتلذذ بذلك في سكره غاية التلذذ ويمسح الرطوبات
التي يصيبه من جميع بدنها على ظن ان ذلك عطر ادخرته له فلما
اصبح افاق فاذا هو في ناووس المجوس واذا النيام موتى وهذه
(اي في بيت المجوس)
عجوزة شوهاء قريبة العهد بالموت عليها الحنوط وكفنها جديد
فصادف في فمه وانفه من رطوبات ريقها ومخاطها وعلى بدنه
من قاذورات اسافلها واذا هو من قرنه الى قدمه ممتلي
من قاذوراتها ثم تفكر في غشيانه اياها وابتلاعه ريقها فهجم
على قلبه من الخزي ما تمنى ان يخسف الله به الارض حتى ينسى
ما جرى عليه ولا يزال يعاود ذكره ولا ينساه اصلا بل يجد
نفسه ما عملت من سوء محضرا يود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
ويود انه يموت من هذا الخزي والالام وهو في عذاب دائم من
الغثيان والقيء ويذكر تلك المخازي ويحزن ان يطلع
عليه احد فيتضاعف حزنه فاذا هو بابيه وحشمه قد جاءوا
في طلبه واطلعوا على جميع مخازيه فهذه حال من تمتع بالدنيا
(اي المذكورات)
ينكشف له كذلك في الاخرة روحه وحقيقته وهو معنى قوله
تعالى وحصل ما في الصدور اي يعرض عليها حاصلها اي روحها

وحقيقتها ومعنى قوله يوم تبلى السرائر يكشف عن اسرار الاعمال
ارواحها القبيحة والحسنة وكما ان اطيب الاطعمة رجيعه
ما اقذر وانتن كذلك شهوات الدنيا وحاصلها وسرها في
الاخرة اقبح وافضح ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الدنيا بالطعام وعاقبتها بالرجيع الصنف الثالث
حسرة فوت المحبوبات فقدر نفسك في جماعة من اقرانك
دخلتم في ظلمة فكان فيها حجارة لا يرى الوانها فقال اقرانك
نحمل من هذا ما نطيق فلعله يكون فيه ما ننتفع بها اذا خرجنا
من الظلمة فقلت وماذا اصنع بها الحمل في الحال ثقلها واكد
بنفسي فيه وانا لا ادري عاقبتها ما هذا الا جهل عظيم فان
العاقل لا يترك الراحة نقدا بما يتوقعه نسيئة والاستيقنه
فاخذ كل واحد من اقرانك ما اطاق اخذه واعرضت
عن ذلك تستجهلهم وتسخر بهم لانهم يئنون تحت اعبائه وثقله
وانت مرفهة في الطريق تقدموا وتخلفت منهم فلما جاوزوا
الظلمة نظروا فاذا هي جواهر ويواقيت يساوي كل واحد
الف دينار فاقبلوا على بيعها وتوصلوا بها الى الجاه والنعم
واصبحوا ملوك الارض واصبحت وكل وامتنع وكل تستعبد واتهم

والسعو

فى ظلمة ... صح

وينفقون عليك في كل يوم قدرا يسيرا من فضلات الطعام فكيف
ترى اشتعال نيران الحسرة في قلبك ويدك بمعزل عنه وكم تقول
يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ويا ليتنا نرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل وتقول لهم افيضوا علينا من الماء مما افيض عليكم
ويقولون لك وهذا حرام عليك الم تكن تسخر منا وتضحك علينا
وان نسخر اليوم منك كما كنت تسخر منا فلا يزال ينقطع نياط
قلبك من التحسر ولا ينفعك التحسر ولكن تتسلى وتتوقع الموت
يخلصني من هذا فاعلم ان حال تارك الطاعة في الاخرة كذلك
ينكشف له ولكن لا تطمع في الموت المخلص بل هي حسرة ابدية دائمة
والالم يتضاعف كل يوم وان كان البدن بمعزل عنها وحقيقة العبارة
بقوله تعالى افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان
الله حرمهما على الكافرين وكذلك لانه يفيض على اهل المعرفة والطاعة
من انوار جمال الوجه ما يحصل به من اللذة مبلغ لا يوازيه نعيم
الدنيا بل يعطي اخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد
به الخبر لا يعني تضاعف المقدار بالمساحة بل تضاعف الارواح
كما ان الجوهرة تكون عشرة امثال فرس لا بالوزن والمقدار بل
بروح المالية اذ قيمته عشرة امثاله واعلم ان تحريم تلك اللذة وافا

ضيقها

عليهم ليس من جنس تحريم الرجل نعمة على عبده بغضب او باختيار
حتى يتصور تغييره بل هو كتحريم الله تعالى على الابيض ان يكون اسود
في حالة البياض وعلى الحار ان يكون باردا في حالة الحرارة وذلك
لا يتصور فيه التبديل بل مثاله ذلك كان يقول رجل شيخ بهم للعالم
الكامل وهو من الجهال الذي كان بليدا في اصل الفطرة ولم يمارس
قط علما ولم يتعلم لغة افض على قلبي من دقايق علومك فيقول
ان الله تعالى حرمه على الجاهلين معناه ان الاستعداد لقبوله انما
يكتسب بذكاء فطرة وممارسة طويلة للعلم بعد تعلم اللغة والعربية
وامور اخر كثيرة واذا بطل الاستعداد وفات استحالة الافاضة
كما تستحيل افاضة الحرارة على البارد مع بقاء البرودة فلا تظنن
ان الله تعالى يغضب عليك غضبا فيه انتقاما ثم تخرج نفسك برجاء
العفو وتقول لم يعذبني ولم يضر معصيتي بل يلزم العذاب من المعصية
كما يلزم الموت من السم واعلم ان هذه الحسرة دايمة لان منشاءها
تضاد صفتين لا يزاد تضادهما ابدا ومثاله الذي يعلق بحبل
في عنقه او رجله انما يتالم لتضاد الصفتين لا لصورة الحبل
التعليق لكن صفة الطبيعة تطلب الهوية الى السفل والمنع القهري
بالحبل الصفة الطبيعية فيتولد الالم منه من تمانعهما وكذلك الروح

الانسان

الانسان من الروح الروحاني الالهي باصل فطرته وله بحكم الطبع
حنين وشوق الى عالم العلو عالم الارواح والى افقه الملأ
الاعلى ولكن اغلال الشهوات وسلاسلها تجذبها الى اسفل السافلين
وهي شهوات الدنيا التي وهي صفة عارضة قهرت الصفة
الطبيعية ومنعتها من نيل مقتضاها والالم يتولد من بينها
والنار ايضا انما تولم للمضادة فان الملايم للتركيب بقاء
الاتصال والنار تضاد الاتصال بالتفريق بين الاجزاء ولو
لم تكن قد رايت النار فحدثت بان شيا لطيفا اتيا يماس
بدنك فيولمك لاستنكرته وقلت شي لا صلابة فيه كيف يولم باللمس
واعلم ان التضاد يولم سواء كان بسبب خارج او داخل فان
سم العقرب في العضو يولم لفرط برودته المضادة لحرارة البدن
فلا تظنن ان الالام كلها تدخل من خارج فان قلت ان العقرب
انما لدغت من خارج فاعلم ان الم السن والم العين لا يقصر
عنه وانما سببه انصباب خلط داخل مضاد لمزاج العين و
السن وليس ذلك باهون من لدغة الحية والعقرب واعلم
ان تضاد الصفات في القلب تولم ايلاما لا ينقص عما يولم
السن والعين ومثاله في اضعف الصفات ان البخيل المرائي

اذا طلب منه عطية على ملاء من الناس وعنده من يريد ان
يعرفوه بالسخاء فيبادر قلبه لتضاد صفتين (اي من البخل والرياء) اذ البخل يتقاضاه
ان لا يعطي وحب الجاه يتقاضاه ان يعطي وقلبه بين هاتين
الصفتين كشخص ينشر بمنشار متصفين فهذا امثال حسرة الفوت
وعظمها بقدر ما ينكشف من جلال قدر الفايت ولا يعلم با
لحقيقة في هذا العالم بل في عالم الكشف وهو نبأ عظيم انتم عنه
معرضون واعلم ان هذه الاصناف الثلاثة لها ترتيب فالصنف
الاول الذي يلقاه الميت المعذب وهو حرقة فرقة المشتهيات
وذلك تنبيه حب الدنيا ولذلك اضيف ذلك الى القبر وانما سبق
هذا لان اغلب الاشياء على قلب الميت في الحال فراق ما يفوته من
الدنيا من مال وجاه ومنصب ونعمة ثم بعد ذلك ينكشف له ارواح
الاعمال وحقايقها القبيحة وذلك عند الانتهار التام في الموت
وبعد العهد لغشاوة صفات الدنيا وكلما كان اعقابه في الموت
اشد صفوا للكشف اقبل فيفيض عليه عند ذلك عظيم الخزي الفضيحة
ولذلك اضيف هذا الى القيامة لانه وسط بين منزل القبر وبين دار
القرار ولذلك قال تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه
اي يوم القيامة واما حسرة فوت المحبوب فيستولي عليه آخرا

عند

عند القرار في النار فيها يقع افيضوا علينا من الماء او
مما رزقكم الله وذلك لان بعد العهد عن الدنيا ربما يخفف
عنه عذاب النزوع اليها وطول العهد بالكشف يوجب خروجه
عن خزي الافتضاح وان صورة عذاب الخزي تكون عند
هجوم الافتضاح ثم يالف الفضيحة والخزي الفا ثم عند
فتورها قليلا تنبعث حسرة الفوت اذ يظهر جلالة الفوايت
ثم تبقى حسرة الفوت اخرا وشبه ان يكون ذلك لا اخر له وهذا
كله تعرفه قطعا اذا عرفت نفسك وعرفت انك لا تموت لكن
تعمى عينك وتصم اذنك وتفلج اعضاؤك فاما الحقيقة التي بها ... انت
انت فلا يفنى بالموت اصلا بل يتغير حالك فقط فيبقى جميع معارفك
وادراكاتك الباطنة وشهواتك انما تعذبك بفراق ما احببت
وافتضاحك بظهور ما ينكشف في تلك الحالة وتحسرك على فوت
ما عرفت قدره بعد الموت لا قبله وهذه كلها مقدمات العذاب
الحسي البدني وذلك ايضا حق وله ميعاد معلوم كما ورد به الآي ... والاخبار
واقنع الآن بهذا القدر فان هذا الكلام يكاد يخرج عن حد مثل
هذا الكتاب ولا بد وان يحرك سلسلة الحمقى والجاهلين ولكنهم
اخس من ان يلتفت اليهم قال عز وجل فاعرض عن من تولى

عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فلنقتصر
على هذا ولنختم به الاصول الاربعين لنختم به كتاب جواهر القران
ومن طلب مزيدا على هذا فليطلبه من كتاب ذكر الموت من كتب
الاحياء فالغرض الاظهر من هذا الكتاب التلويحات مع التشويق
الى الاستقصاء المذكور في ذلك الكتاب ومنه ينكشف اسرار علوم
اي الاحياء
الدين ولا يعرض عن طلبه الا مشغوف بالدنيا لا يطلب من العلوم
الا ما يتخذه شبكة للحطام والة لكسب الحرام فلا يناسبه علوم
ذلك الكتاب ولا يناسبها اصلا خاتمة في مناظرة النفس اعلم
قد نبهناك وشوقناك فان اعرضت عن الاصغاء او اصغيت
بظاهر قلبك كما تصغي الى الكلام الرسمي فقد خبت وخسرت وما
ظلمت الا نفسك ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي
ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا فان اصغيت
اصغاء ذي فطنة وفهم حديد وتفكرت تفكر من له قلب عتيد او القى
السمع وهو شهيد فاخرج عن جميع ما يصدك عن سلوك الصراط
المستقيم فلا يصدك عنها الا حب الدنيا والغفلة عن الله تعالى
واليوم الاخر واجتهد ان تفرغ قلبك كل يوم ساعة عقيب

صلاة

صلاة الصبح وذلك عند صفاء الذهن فتتفكر في شانك وتنظر
في مبداك ومعادك وتحاسب نفسك وتقول لها اني مسافر تاجر
وربحي سعادة الابد ولقاء الله تعالى وخسراني شقاوة الابد
والحجاب من الله تعالى وراس مالي عمري وكل نفس من الانفاس
كنز من الكنوز وجوهرة من الجواهر اذ تجارته سعادة الابد
واي كنز اعظم من هذا واذا فني العمر انقطعت التجارة وحصل
الياس وهذا اليوم يوم جديد قد امهلني الله تعالى فيه ولو
توفني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا لاعمل صالحا فا
فاحسبي يا نفس انك قد توفيت ورجعت الى الدنيا يوما
واحدا واجتهدي في هذا اليوم الواحد وانظري لنفسك فان
لم تمهلي الغد فقد استوفيت ربح هذا اليوم ولم تخسري وان
امهلت فاستانفي للغد مثل ذلك ولا تخدعي نفسك بتمني
العفو فان ذلك ظن قد يكذب فلا ينفع التحسر ثم هب
انه قد عفا عنك اليس قد فاتك ثواب المحسنين وناهيك
به حسرة وندامة فاذا قالت نفسك ماذا اعمل وكيف اجتهد
فتقول اترك ما يفارقك بالموت والزمي ربك اللازم وهو
الله تعالى واطلبي الانس بذكره فاذا قالت فكيف اترك

الدنيا وقد استحكمت علائقها في قلبي فتقولين اقبلي على قطع
علائقها من باطن القلب كما علمناك في الاصول العشرة
من المهلكات ففتشي عن اغلب علاقة من علائقها من
حب مال او جاه او حسد او عداوة او شهوة بطن او فرج او حرص
او غير ذلك من المهلكات فليس الآن تتفكري في عظم آفاتها
واهلاكها اياك فتنبعث لمجاهدتها ومخالفة مقتضاها وقد
تخلصت منها واتيدك الله بتوفيقه ومعونته فتقدري انك في بقية
العمر مدة الحياة وقد انباك طبيب تظن صدقه ان ملاذ الاطعمة
تضرك وان الادوية البشعة تنفعك الست تصبرين القوية
على مرارة الدواء طمعا في الشفاء الست تصبرين على
الكد والتعب في السفر الطويل طمعا في الاستراحة في
المنزل فانت مسافرة ومنزلك الاخرة والمسافر لا يستريح ولم
يتحمل التعب والكد فان استراح انقطع في الطريق وهلك
وتقولين يا نفس ما الذي تطلبين من الدنيا ان طلبت
المال ووجدته وهيهات فيكون في اليهود جماعة اغنى
منك وان طلبت الجاه ونلت وهيهات فيكون في اجلاف
الاتراك وحمقى الاكراد من يستولى عليك ويكون جاهه
اعظم

اعظم من جاهك فان كنت لا تدركي آفة الدنيا وشقية
عذابها في الاخرة وبلائها افلا تترفعي عنها لخسة شركائها
اما تعلمين انك لو اعرضت عن الدنيا واقبلت على الاخرة
كنت وحيد العصر وفريد الدهر لا يوجد في الاقاليم نظيرك
وان طلبت الدنيا كان في اليهود والحمقى من يسبقك بها فاف
لدنيا يسبقك بها حمير فتفكري يا نفس وانظري لنفسك
فلا ينظر لك احد غيرك وكذلك لا تزال تناظر نفسك حتى تطاوعك
على سلوك الصراط المستقيم الى الله تعالى فهذه المناظرة اهم لك
ان كنت عاقلا من مناظرة الحنفية والشافعية والمعتزلة
وغيرهم فلم تعاديهم وتجادلهم ولا يضرك خطاؤهم ولا
خطاء غيرهم ولا هم يقبلون منك ولا انت تقبل منهم
الصواب وان صار اظهر من الشمس وتترك اعدا عدوك
بين جنبيك لا تنازعه ولا تناظره بل تساعده على ما يطالبك
به من شهواته الباطلة الباطنة فتستنبط بالفكر الدقيق
لحيل قضاء شهوته بل صغر الاعين الانعكاس والانتكاس
على قمة الراس فهل رايت قط رجلا يشاهد تحت ثوبه حيات
وعقارب اقبلت عليه لتهلكه فاخذ المروحة ليدفع الذباب
يلسعه

عن وجه غيره فهل يستحق من يفعل ذلك الا الخزي فاعلم
ان هذا حالك في اشتغالك بمناظرة غيرك واعراضك عن مناظرة
نفسك وفي هذا المعرض ينكشف لك روح علمك يوم تبلى السرائر
كما نبهت على كيفية مكاشفات الاعمال وارواحها وما لم [باسرار الاعمال و]
تناظر نفسك مدة طويلة لا تتخلى لمناجاة ربك وذكره والاقبال [الآخرة عليها]
عليه ثم طريقك مع النفس اذا خالفتك ان تعاقبها بما يزجرها
وتعلم انها كالكلب لا يتأدب الا بالضرب وان اردت ان تتعلم
طريق مناظرتها ومراقبتها ومحاسبتها ومعاقبتها فاطلبه
من كتاب المحاسبة والمراقبة فان هذا الكتاب لا يحتمله
والله تعالى يوفقنا واياك بفضله
وسعة جوده انه على ما يشاء
قدير تم الكتاب بحمد الله
وعونه



